الأدب الإسلامي

٨٥

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٨٥) - ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

أدبنا المعاصر والتاريخ

د. عبدالباسط بدر

إمام علي الشيخ وموقعه في خارطة الشعر السوداني

د. محمد صالح عثمان

المديح النبوي في شعر الشعراء الأردين غير المسلمين

فيضان قادر

الملا فتح الله الحلبي ثم المدني الشهير بالنحاس

د. زينب بيره جكلي

الإسلام والفن: كيف يلتقيان؟

د. عبدالملك بومنجل

من إصدرات

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

سلسلة أدب الأطفال

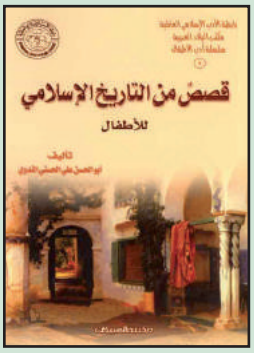

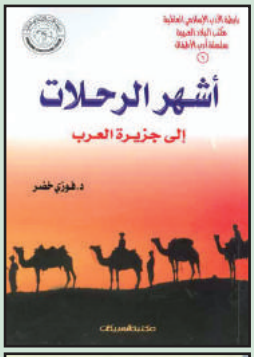

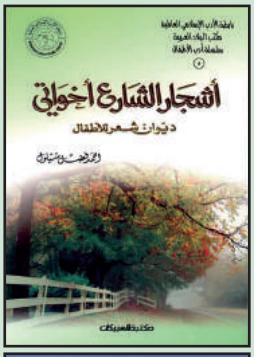

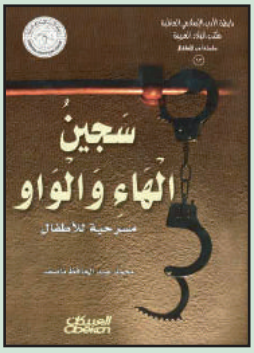

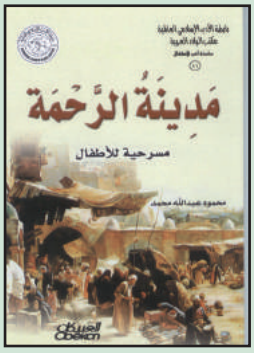

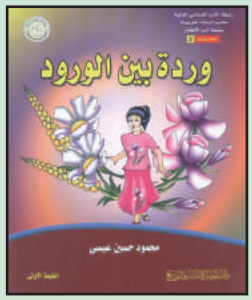

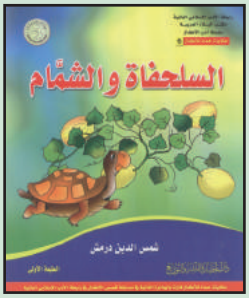

بسم الله الرحمن الرحيم

تشوهات في خارطة الثقافة العربية

إن من يتأمَّل خارطة المشهد الثقافيِّ العربي المعاصر لا يشعُر بالتفاؤل، وتبدو له هذه الخارطةُ مبتلاةً بكثير من التشوُّهات التي تُشعر أن صحَّتها معتلَّة بعلل خطيرة، وهي عللٌ أيسرها أنها لا تُسعف - كما هو شأنُ الثقافة في كلِّ أمة - على تمثُّل شخصية واضحة الملامح لهذه الأمَّة التي تُنتجها، وهُويَّة الحضارة التي تَصدُر عنها.

وهذا بؤسٌ حقيقيٌّ في ثقافة أيَّة أمَّة، وهو مُؤشِّر إلى مرض عُضال قد يُودي بها إذا لم تُشْفَ منه، وقد يكون من أبرز ما أدى إلى ذلك:

عدم وضوح التصوُّر الفكري الذي تصدُر عنه الثقافة العربية المعاصرة، فهي كخبط العَشواء، أو حاطب ليل، وكلٌّ فيها يغنِّي على لَيلاه، مما يجعل الإبداعَ الثقافيَّ خليطاً متناقضاً ينسف بعضُه بعضاً، وقد يلعن بعضُه بعضاً، وذلك عائدٌ إلى تعدُّد - أو تضارُب - المصادر والمنابع الثقافية التي يصدُر عنها الأدباء والمفكِّرون.

ولا شكَّ أن هذا التعددَ كان يمكن أن يكونَ مصدر غنًى وثَراء، لولا ما تحوَّل إليه الأمر من تنافُر وتناقُض وتشكيك في أيسَر الثوابت التي يُفْتَرض أن تشكِّل هويةَ الأمة وعقيدتَها وذوقَها. لقد تحوَّلت الدعوةُ إلى حرية الرأي إلى معوَل هدم في ثقافة هذه الأمة، بل في ثوابتها ونُصوصها القطعيَّة التي تشكل وجهَها الواضح المتميِّز.

إن الحَراك الثقافيَّ أمرٌ مستحبٌّ محمود، بل هو علامةُ صحَّة وعافية عندما ينضبط على وَفق هوية معينة تَفيء إليها الأمَّة وتلتمُّ من حولها، عندما يتَّجه هذا الحَراك نحو الوِفاق، ونحو تأسيس ثقافة الاختلاف المثمِر البنَّاء، ولكنه يكون داءً دَوِيّاً عندما يفهمُه قومٌ من بني جِلدتنا على أنه الانفلات من كلِّ قيد، والجَريُ على غير هُدى، والتشكيكُ - على طريقة الفكر الغربيِّ المادي - في كلِّ شيء، مما يجعل الأمَّة قَشَّةً في مَهَبِّ العاديات.

ومن هذا البؤس ذلك الإلغاءُ والإقصاء اللذان تمارسهُما كلُّ فرقة من الفِرَق المنتجة للثقافة عندنا في حقِّ المخالفينَ لها في الرَّأي، حتى غَدا القمعُ والاستبداد سِمةً واضحةً من سِمات هذه الثقافة.

وغَدَت شعاراتٌ تتَّهم بالتزمت، أو الرجعية، أو السلفية، أو الظلامية، أو التفسيق، أو التبديع، أو التكفير، أو ما شاكل ذلك، من الذائع المشهور الذي تحفل به كتاباتُ أهل الثقافة والفكر عندنا، وهذا ما يجعلُ الشكَّ محيطاً بكلِّ ما ينتجه أيُّ طرف من الأطراف، ويُوقع المتلقِّي – ولا سيَّما من عامَّة الناس- في بحرٍ من الحَيرة والاضطراب لا يَعرف خلاصاً منه.

إن التزمت والغلو، وإن التطرف وأحادية النظرة هو الذي يقود إلى ذلك، ولا بد من تقبل الآخر، والانفتاح عليه، فذلك يغني الثقافة، ويتجاوز بها أزمتها.

مدير التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٢) العدد (٨٥)
ربيع الأول - جمادى الأولى ١٤٣٦هـ
كانون الثاني (يناير)- آذار (مارس) ٢٠١٥م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤
Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أومايعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

د. حسين نصار

الطيب رحماني

د. سعيد أصيل

مساعد مطلق الحربي

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الحاسوب أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات ومقالات

❖ **الافتتاحية:**

-تشوهات في خارطة الثقافة العربية	مدير التحرير	١
- الإسلام والفن: كيف يلتقيان؟	د.عبدالملك بومنجل	٤
- إمام علي الشيخ وموقعه في خارطة الشعر السوداني	د.محمد عثمان صالح	١٤
- من قضايا النقد العربي القديم: الاستقلالية والانفتاح	الطيب رحماني	٣٤
- الملا فتح الله الحلبي ثم المدني الشهير بالنحاس	د.زينب صبري بيره جكلي	٤٦
- مفهوم القراءة والقارئ عند ابن المقفع	د.سعيد أصيل	٦٠
- المديح النبوي في شعر الشعراء الأرديين غير المسلمين	فيضان قادر	٧٠
- المنهج النقدي الغربي والمقدس الديني	أمينة حاج داود	٧٤
- فلسطين في الشعر الجزائري الحديث	د.محمد سيف الإسلام بوفلاقة	٨٢

❖ **الورقة الأخيرة:**

- أدبنا المعاصر والتاريخ	د.عبد الباسط بدر	١١٢

الشعر

- بلا وداع	د.أحمد البراء الأميري	١٣
- المسجد الأقصى	محمد ياسر أمين الفتوى	٢٣
- بكاء النخيل	عبد الرحيم الماسخ	٢٩
- رحلةُ الرُّوح	د.إبراهيم أبو طالب	٤٥
- من ضياء الضاد	جودت علي أبو بكر	٥٢
- قبائل النسرين هامش على قرطاس المتنبي	فهد أبو حميد	٥٣
- ما وراء القلق	محمود محمد كلزي	٦٩
- منفى	أشرف محمد قاسم	٧٢
- أماه	د.معاذ نحاس	٧٣
- يا عرب القدس متى غده؟	عبير حسين إبراهيم	٧٦
- ثمر الغرس	د.أبو فراس النطافي	٧٧
- عزف على وتر اليأس	سالم بن رزيق بن عوض	٨١
- من القيامة الأولى	عادل فرج عبد العال	٩٣
- القدس مدينة الصلاة	سهام مهران عبدالله	٩٧
- بين يدي المجد	د. حبيب المطيري	١٠٣

القصة والمسرحية

- الغريب والكلاب	صديق حامد نزاركي	٢٤
- وجوه.. وجوه (خاطرة)	نورة البقمي	٣٣
- لقاء بعد حين	خليل محمود الصمادي	٤٢
- أمازلت تكتبين؟ (نثيرة)	صورية مروشي	٥٥
- الفرقد	وليد سميح العوضي	٥٦
- عكاكيز	محمد عبد الصمد الإدريسي	٦٦
- بطل من سراب	عائشة سجيد	٨٦
- عبد الرحمن بن عوف (مسرحية)	د.حمادة إبراهيم	٨٨

الأبواب الثابتة

❖ **لقاء العدد:**

- مع الدكتور حسين نصار	حوار صلاح رشيد	٣٠

❖ **تراث الأدب الإسلامي:**

- حسن الشعر وقبيحه	الإمام القرطبي	٥٤

❖ **ثمرات المطابع:**

- بروتوكولات صهيون	د. نعمات أحمد فؤاد	٧٨

❖ **رسائل جامعية:**

- النقد التطبيقي عند حسين علي محمد.. دراسة وتقويما	مساعد مطلق الحربي	٩٤

❖ **مكتبة الأدب الإسلامي:**

- الوسطية في منهج الأدب الإسلامي	التحرير	٩٨

❖ **أخبار الأدب الإسلامي** — إعداد: شمس الدين درمش — ١٠٠

❖ **بريد الأدب الإسلامي** — ١١١

الإسلام والفن: كيف يلتقيان؟

لا يلتقي الإسلام والفن كما يلتقي الخصم مع الخصم، ولا كما يلتقي المقدس والمدنس، ولا كما يلتقي القيد مع الحرية، ولا كما يلتقي الجد مع الهزل، ولا كما يلتقي الجلال مع الابتذال؛ ولكن كما يلتقي الكل مع الجزء، والغاية مع الوسيلة، والجمال المطلق مع الجمال النسبي، والغذاء الكامل الصافي للعقل والفكر والروح والوجدان والحس مع الغذاء الذي قد يغني الفكر، ويزوّد الروح، ويشبع الوجدان، ويمتع الحس حينا من الزمن، ولكنه قد يفعل عكس ذلك: يزوّد هذه العناصر المشكّلة للكيان الإنساني موادّ هي إلى السم المهلِك أقرب منها إلى الغذاء الطيّب الحيّ.

د. عبدالملك بو منجل- الجزائر

يقول فلاسفة الفن: «إن الفن هو إنتاج موضوع له صفة البقاء. أو إحداث فعل عابر سريع الزوال، يكون من شأنه توليد لذة إيجابية لدى صاحبه من جهة، وإثارة انطباعات ملائمة لدى عدد معيّن من النظّارة أو المستمعين من جهة أخرى، بغض النظر عن أي اعتبار آخر قد يقوم على المنفعة العملية أو الفائدة الشخصية.»[1] أو إنه «ضربٌ من النشاط البشري الذي يتمثل في قيام الإنسان بتوصيل عواطفه إلى الآخرين، بطريقة شعورية إرادية، مستعملا في ذلك بعض العلامات الخارجية.»[2] أو «إن الفن هو التأمل. هو متعة العقل الذي ينفذ إلى صميم الطبيعة ويستكشف ما فيها من عقل يبعث فيها الحياة. هو فرحة الذكاء البشري حين ينفذ بأبصاره إلى أعماق الكون، لكي يعيد خلقه مرسلا عليه أضواء من الشعور. الفن هو أسمى رسالة

للإنسان، لأنه مظهر لنشاط الفكر الذي يحاول أن يتفهم العالم وأن يعيننا نحن بدورنا على أن نفهمه.»[٣]

الجدوى من الفن إذاً هي اللذة والمتعة، والفرح والبهجة، والتعبير والتواصل، والاكتشاف والمعرفة، والخلاص من رتابة الواقع والتحرر من سلطة المادة. وإذا كان الأمر كذلك، فكيف لا يلتقي الفن مع الدين عموما، ومع الإسلام على وجه الخصوص؟

إن الدين والفن يسيران بالإنسان في طريق واحد هو طريق المتعة والبهجة والحرية والجمال، والمعرفة والرقة والرفعة والكمال. نعم؛ قد يُجحفُ بعض الفن في حق الدين، وقد ينزل بعض الفن عن سمو الغاية وكبرياء الجلال وإشراق الجمال، ولكن الدين الإسلامي تحديدا لا يمكن إلا أن يكون نصيرا للفن، مَعينا للجمال، أفقا للحرية، فضاءً لإبداعٍ فنيٍّ يتجاوب فيه الجمال النسبي مع الجمال المطلق، ويتعانق فيه جمال الحق مع جمال الخير مع جمال الجمال. ولكن لهذا الإجمال تفصيلا نبينه في هذه الوقفات:

◁◁ كلاهما يَنشد الجمال، وجمال الإسلام أشمل وأرقى

الفن مهارةٌ بشرية في صناعة الجمال، وكل فنٍّ لا يستهدف هذه الصناعة أو لا يقدر على إنتاج الجمال فهو ليس بفن.

صحيحٌ أن فلاسفة الفن مختلفون بشأن وظيفة الفن: أمحصورةٌ هي في إثارة المتعة الجمالية، أم هي تتوسل بالمتعة الجمالية إلى غايات أخرى عاطفية واجتماعية وأخلاقية ودينية ومعرفية؛ ولكن المحصّل في النهاية أن الجمال مطلبٌ أساسٌ في الفن، لا يُستَغنى عنه فيه إلا إذا استُغنيَ عن الفن ذاته. فأيُّ شيءٍ هو هذا الجمال الذي هو مطلب الفن، ونزعم أنه مطلب من مطالب الإسلام أيضا؟

الفلاسفة مختلفون كذلك في تحديد مفهوم الجميل. بعضهم يرى أن الجميل هو غير النافع وغير الشهيّ، وغير الذي يحقق لنا غرضا عمليا ماديا أو اجتماعيا من أغراض المعيشة ومطامع النفس. ولكنهم مختلفون فيما إذا كان الجميل منحصرا في الشكل والصورة، أو فيما نرى ونسمع ونحس، أو هو يتعدى ذلك إلى العاطفة والشعور، والفكرة والسلوك، وإلى حركة العقل واختلاجة الروح؟

وإذا كان من المتعذر جمع الناس على رأيٍ واحدٍ في تعريف الجميل؛ بل من المتعذّر على فلاسفة الجمال تحديد مفهوم دقيق لمصطلح «الجميل»، فإن ذلك لا يمنع من الاعتقاد أن الجمالَ هو صفة موضوعية تُدرَك بحاسة الذوق مستعينةً بحواسَّ أخرى كالسمع والبصر، وبمصادرَ شعورية وإدراكية أخرى كالوجدان والعقل، بحسب طبيعة هذا الجميل ومادته وشكله. وأن علامةَ هذا الجمال، وإنْ عجز أكثر الناس عن تعليله وتحليله، هي الأثر الخاص الذي يتركه في نفس متلقيه؛ من إعجابٍ أو انشراحٍ أو بهجةٍ أو رضاً أو لذةٍ غيرِ مشوبةٍ بمنفعة مادية. وأنّ من أسرار هذا الجمال المولّد لهذه المشاعر والأحاسيس خصائصَ تطّردُ في كل جميلٍ هي الانسجام (أو التناسب)، والإثارة (أو الجدة والغرابة)، والحيوية (أو الرشاقة والخصوبة)[٤]. وأن الخاصية العامة لكل جميل هي الجاذبية، دون أن يعني ذلك أن كل جاذبية مصدرُها الجمال.

إن الفنّ يُعوِّل في تعامله معنا على هذه الجاذبية التي مصدرُها الجمال. وإن كل فنٍّ يُقدَّرُ له النجاح هو فنٌّ استوفى خصائص الانسجام والإثارة والحيوية. وإن الذي نريد أن نقف عنده الآن هو السؤال عن هذه الخصائص وتلك الجاذبية: أمحصورةٌ هي في الشكل والصورة والبنية، أم ساريةٌ في كيان الوجود كله، ما يُرى منه ويُسمَع ويُحَسّ، وما يُدرَك بالعقل، ويُفهَم بالروح، ويُقرَأ بالوجدان، ويُبصَر بالحدس؟

ثم السؤال عن موقف الإسلام من الجمال: أيحتقره ويزدريه، أو يُهمله ويزهد فيه، أم ينشده ويصطفيه، ويُكرمه ويدعو إليه؟

من نافلة القول أن نعيد التذكير بأنّ «الله جميلٌ يُحبُّ الجمال». وأن الله قد أبدع الكونَ على أكمل ما يكون من الجمال والجلال، وأنه خاطب الناس بأجمل ما يكون من الخطاب، وأنّ ذلك جميعَه لا يدلّ إلا على أن الجمال هو في صميم حكمة الله وإرادته ومشيئته، وأن الإسلام هو أحد مجالي هذا الجمال الفائض على الكون بإرادة الله، وأن العلاقة بين الإسلام والجمال لن تكون إلا كالعلاقة التي تكون بين موجودين يصدران من مشكاة واحدةٍ ويُسقيان من ماء واحد، وإن اختلف الشكل واللون. ولكنا نحب أن نفصل بعض التفصيل، كي نقيم الدليل على أن الإسلام لا يلتقي مع الفن في نشدان الجمال فحسب، بل ينشد صورةً للجمال هي أكمل وأرقى من الصورة التي يبرزها الفن.

يقول عماد الدين خليل:

«والله سبحانه الذي أتقن كل شيء.. يضع قبالة المعطيات الجمالية في الكون والعالم والطبيعة والحياة، أجهزة الاستقبال التي تعرف كيف تتلقاها وتتعامل معها، فتنقل الإنسان إلى مراحل أكثر نضجا واكتمالا على مستوى السوية الفردية، والإبداع الحضاري، ويكون الجمال قد حقق وظيفته !!

إن السمع والبصر والذوق والشم.. لهي تلك الأجهزة التي (تتلقى) فتنقل معطياتها إلى العقل، لكي يفرز ويمحص، وإلى القلب والوجدان، لكي تنفعل وتتأثر.. ومن وراء هذا وذاك تكون الدهشة والإعجاب، ثم يكون (التعبير) الذي يبدع فيهز العقل والقلب والوجدان.»[٥]

كل شيء إذاً، استنادا على هذا التصور الإسلامي، ينفتح على الجمال ويُغري به ويدعو إليه: الكون بعالميه؛

الظاهر الذي في المَشاهد، والباطن الذي في المشاعر. والكيان الإنساني بجانبيه؛ الحسي الذي في الحواس، والنفسي الذي في القلب والروح. يتلقى الكائن البشري الجمال، فيمتلئ إعجابا، ويختلج اعتبارا، وقد ينبجس إبداعا بألوانٍ من الفنّ الرفيع، يتعانق فيه جمال الصورة، مع جمال الفكرة، مع جمال الشعور.

والجمال الذي بثه الله في الكون كله، ظاهره وخفيّه، ليس ضرورةً فحسب، بل هو فوق الضرورة، وليس بفوضى ولكنه نظام له مظاهره وقوانينه. يقول محمد قطب:

«وأول ما يلفت الحس في الجمال كما أسلفنا أنه «نظام» ولكنه ليس «ضرورة».. ولهذا النظام – كما يبدو في صفحة الكون- مظاهر متعددة، منها الدقة. والتناسق. والتوازن. وخفة الحركة رغم ثقلة الأوزان.»[٦]

وهذه المظاهر والقوانين الجمالية ليست محصورة في الوجود الماديّ، بل هي شائعة في الوجود كلّه، وتشمل بعمومها الحياة الإنسانية بكل ما يضطرب فيها من أشكال وأوضاع ومشاعرَ وأفكار. وهنا ينفتح للجمال في الإسلام، وفي الفن الذي يعبر عن التصور الإسلامي، مجال للرقي والاكتمال لا ينفتح لغيره.

الجمالُ «جوهر أصيلٌ في الدين، تفيض أنواره من كل حقائقه الإيمانية والتشريعية»[٧] والإسلام يحتفي بالجمال أكرم الاحتفاء، ويغري به الأتباع أبلغَ الإغراء؛ ولكنه لا ينظر إليه أجزاءً ممزقة ليس بينها تناسق وتوازن وترابط، بل ينظر إليه متكاملا يضمن للحياة الإنسانية ما يليق بها من الرفعة والكرامة.

انظر، على سبيل المثال، إلى قول امرئ القيس يصف جانبا من مغامراته الفاحشة:

إذا ما بكى مِنْ خَلْفِها انصَرَفَتْ لهُ
بِشِقٍّ، وتَحْتي شِقُّها لمْ يُحَوَّلِ[٨]

هذا بيتٌ جميل الشكل، حسنُ العبارة، مُتقَنُ البناء، فيه رشاقةٌ وإثارة. هو إذاً جميلٌ بالمقاييس الشكلية الصرف. ولكن الإنسان يتلقى القطعة الفنية بكيانه الإنسانيِّ كلِّه. بسمعه وبصره، وخياله وشعوره، وفكره وقيمه، وروحه ووجدانه. وقد يكون قارئ هذا البيت غافلا عن معاني النفس، أو عاريا عن مكارم الأخلاق، أو خاليا من مشاغل الروح، فيطرب لهذا البيت أيما طرب، وقد يصفق نشوةً وإعجابا بهذا البطل الهمام! ولكن يكفي أن تقول له: تصوّر أن هذه المنصرفة بشقٍّ إلى ابنها الباكي هي أختك، لينقلب طربُه غضبا، ونشوتُه مرارةً، وإعجابُه نقمةً واحتقارا. هذا هو الجانب الآخر من الصورة المشرقة الجميلة: الجانب المُظلم المنفّر القبيح، الذي يلتفت إليه قومٌ ويغفل عنه آخرون، وكلٌّ إناءٍ بما فيه ينضح.

وانظر إلى قول أبي نواس يعبّر عن تعلقه بالخمرة:

يا مَنْ يلومُ على حَمْراءَ صافيَةٍ!
صِرْ في الجِنانِ، وَدَعْني أَسْكُنُ النارا[٩]

لقد أجاد حقا في تصوير شعوره، والتعبير عن مكنون قلبه. وقد جاء بأسلوبٍ رشيقٍ ومعنى طريف. وقد وفّر لبيته قدراً من الجمال المثير لا يُنكَر. ولكنّ الجمالَ الذي يدعو إليه الإسلام ويحتفي به يتجاوز هذا القدر إلى جمال الفكرة وجمال الشعور. فهل فكرةُ التضحية بالجنان في سبيل الخمرة هي فكرةٌ جميلة، وهل شعورُ الاضطرار إلى معانقةِ الخمرة هو شعورٌ لطيف؟

انظر كذلك، إن شئتَ، إلى تمثال منحوتٍ لامرأة عارية، أو رقصةٍ فنية لامرأة شبه عارية: ستكون أمام مشهدٍ فاتنِ الجمال ولا شكّ؛ فقد خلق الله الإنسانَ جميلاً غايةً في الجمال، وخلقَ أنثاهُ أفتنَ جمالاً وأكثرَ إبهاجا للحس والنفس. ولكن، أستكون أمام فنٍّ رفيع متكامل الجمال؛ فهو يثير أحاسيسَ جميلةً، وهو يهزُّ مشاعرَ نبيلةً، وهو يسمو بالروح إلى بهجةٍ عبقرية؛ أم ستكون أمام جمالٍ ليس لعارضه فضلُ إبداعه فهو إبداعٌ من الله، ولكنّ له فضلَ تقليده وعرضه، جامدا في حال التمثال، أو متحركا في حال الرقص، ليكون من هذا العرض الفاتن إثارةُ غرائزَ سفلية، وتحريكُ شهواتٍ جسدية؛ ولا تلتفتُ إلى من يزعمُ أنه يستمتع بالجمال المحض لوجه الجمال.

من قديم كان الفلاسفة يؤمنون بأن الجمال لا ينحصر في الصورة، ولا يكتمل إلا بجمالٍ وراء الشكل والصورة. فقد تساءل سقراط: «أيمكن ألا ينطوي هذا الجمال الساحر على نفس تناسبه جمالا وخيرا؟»[١٠] وقد وصف أفلاطون الجمال بأنه «الجوهر غير ذي اللون والشكل الذي لا يمكن للحس أن يدركه، الجوهر الموجود بالحقيقة، ولا يكون مرئيا إلا لعين النفس.»[١١] وإنما انصرفت الفلسفة الغربية الحديثة بعض

الانصراف عن هذا المذهب في تصور الجمال، وتصور وظيفة الفن، لأسباب غير صحية[١٢]. ومع ذلك مازال في أهل الفكر والفن من يؤمن بصلة الفن بالدين، وصلة الجمال بالأخلاق.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن الفنّ وإن ظلّ ينشد الجمالَ فإنه كثيرا ما كان يُخطئه ليسقط في القبح. وإن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يُهيِّئ للفنّ أن يجمع الجمال بأطرافه كلِّها، وألوانه جميعِها، ويحفظَ الجمال من أن يتشوّه باسم الجمال، ويصونَ الحياةَ من أن تفسد وتنحط باسم الحياة.

كلاهما غذاءٌ للوجدان، وغذاء الإسلام أغنى وأصفى

وظيفة الفن ليست محصورةً في الإمتاع الجمالي الخالص الذي يمتع الحس ويطرب النفس. ولكنها تتعدى ذلك إلى وظائفَ أخرى، قد يقصدها الفنانون وقد لا يقصدونها، وهي التعبير والتنفيس والتهذيب والتأمل وإبداع المعرفة وترقية الحياة.

الفنّ نشاطٌ بشريٌّ جماليٌّ وجدانيٌّ معرفيٌّ تواصليٌّ إمتاعيٌّ يُخرج الإنسان من رتابة الحياة إلى متعة الإحساس، ومن ثقل المادة إلى خفة الروح، ومن وطأة المشاغل العملية إلى بهجة التجربة العاطفية، ومن ضيق الحاجات الحسية الأرضية إلى سعة الآفاق المعرفية والأشواق الروحية والرفرفات الشعورية.

الفنّ الرفيع هو الفن الذي يُسهم في تحقيق هذه الأهداف قصدَها أم لم يقصدْها. يخرج الإنسانية من البلادة إلى الإحساس، ومن الغلظة إلى الرقة، ومن النكد إلى البهجة، ومن الجهل إلى المعرفة، ومن القيد إلى الحرية، ومن المادية أو الحيوانية إلى الإنسانية.

وقد تصوّر أفلاطون جمهوريته الفاضلة السعيدة، فرأى الشعراء عائقا في سبيل السعادة فأخرجَهم منها، وكان له في الشعر آراء أخطأ في بعضها وأصاب في أخرى، ولكن الشعراء وفلاسفة الفن ضخموا خطأه وتناسوا صوابَه، وفي صوابه الكثير من الحق والكثير من الخير للبشرية لو يعلمون.

قال: إنّ اللذة الحسية ليست كافية لتبرير الفن، وإنما ينبغي أن نبحث دور الفن في النمط الكامل للوجود. وإن الذين يدافعون عن الشعر ينبغي لهم أن يثبتوا أنه مفيد للمجتمع وللحياة البشرية علاوة على كونه مصدرا للذة[١٣]، وأن قدرته على منحنا اللذة تزيد من خطورته لأن تأثيره فينا سيكون أعظم. وقال بصراحة: إن الشعر يثير الجزء الخسيس من النفس ويغذيه، فيهدم بذلك الجزء الأفضل، ويغرس نظاما شريرا في نفس كل فرد بإرضائه القسم العديم الحس[١٤]. ومع أنّ نظرته إلى الشعر يشوبها كثيرٌ من المبالغة والتحكم وإهمال الأثر النفسي الإيجابي في عواطف الناس، فإنّ أفلاطون كان ينتقد الشعراء بدافع الحرص على القيمة الجمالية للحياة في وجودها الشامل. كان «يدافع عن طريقة كاملة في الحياة تتصف بالقيمة الجمالية. فمواطنو الجمهورية سيعيشون في بيئة يغمرها التناسق والانسجام. وفي هذه البيئة لا تقتصر السمات الجمالية على ما نسميه «بالفنون الجميلة»، بل إن من الممكن غرس هذه السمات الجمالية في كل شيء «في فن التصوير وفي كل فن إبداعي آخر كالنسج والتطريز والعمارة وصنع الأثاث»، وعلى حكام الدولة ألا يسمحوا بالرذيلة، وبالتهور، والوضاعة، والخشونة في أي إنتاج للقريحة البشرية.»[١٥]

وإذا كان ستولنيتز يختم إنصافَه هذا لموقف أفلاطون بقوله: «والحق أن من واجبنا، قبل أن نصدر حكمنا على أفلاطون، أن نتريث ونتذكر كلَّ ما هو مهوّش و«مزيّف» في فن «الإعلان»، وفي

الأدوات اليومية التي يستخدمها الناس في مجتمعنا الحديث»[١٦]، فإن موقفنا سيزداد إنصافا حين نرى كثيرا من الفنون الحديثة في زمننا الراهن تروّج للقبح أكثر من ترويجها للجمال. وتخاطب الغرائز أكثر من مخاطبتها للوجدان. وتعمل، واعيةً أو غير واعيةٍ، على إفساد الذوق وتحطيم الإنسان أكثر من عملها على ترقية الذوق وتهذيب الروح.

ومع ذلك فإنّ الفنّ، أيّا يكن هدفه ومضمونه، هو غذاءٌ للوجدان، وشفاءٌ لبعض أمراضنا النفسية، وإنقاذٌ لنا من وطأة المادة، وإغناءٌ لحياتنا الرتيبة بحياةٍ لها لونٌ وطعمٌ وحركةٌ وبهجة، وتحويلٌ لنا من كائنٍ يعيش إلى كائنٍ يحيا. وقد نبّه أحد فلاسفة الفن على القيمة الجوهرية للتجربة الجمالية، مؤيدا رؤيته هذه بعبارة لأحد الشعراء يقول فيها:

«حياتُنا، لو امتلأتْ بالمَشاغِل، ولمْ تَتْرُكْ لنا وقتاً للتوقُّفِ والتأمُّل، لكانتْ حياةً هزيلةً بحق.»[١٧]

ونحبّ أن نأخذ بطرف هذا الحديث عن الحياة التي تكون هزيلةً إذا خلت من التوقف والتأمل، لنصل موضوع علاقة الفن بالوجدان والروح بموضوع علاقة الإسلام بهذين وبالفن تبعا لذلك؛ فإنه ما من دين، وما من منهج للحياة، هو في مستوى الإسلام ترقيةً للحياة، وتغذيةً للوجدان، وتهذيبا للروح، وتحريرا للإنسان من رتابة العادة ووطأة المادة وقهر الضرورة، وتحذيرا للقلب من الغفلة عن حقائق الوجود وعبَر الآيات وأسرار الحياة: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (الحج:٤٦). «وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ» (يوسف:١٠٥)، «انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ» (الأنعام:٩٩)، «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ» (عبس:٢٤)، «وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ» (النحل:٦).

ولا نحب أن نستفيض في أمرٍ هو عند الواعين بجوهر الإسلام من البدهيات، ولكنا نشير إلى أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، ورسالةَ الإسلام هو خطاب جماليٌّ وجدانيٌّ معرفيٌّ بامتياز، وهو غذاءٌ نفسيٌّ وروحيٌّ وعقليٌّ بإعجاز، وأن منهج القرآن في تربية الروح وتجديد الشعور وترقية الإحساس هو منهجٌ عجيبٌ فذٌّ، وهو فنٌّ في تغذية الوجدان وتهذيب الروح لا يضارعه فنّ.

كلاهما حريةٌ وانطلاق، وحرية الإسلام أمتعُ وأوفى

ربما قال قائل: ولكن الفنَّ حريةٌ والإسلامَ قيد، الفنّ انطلاقٌ والإسلام التزام. الفنّ هيامٌ في كل واد والإسلام هذا حلالٌ وهذا حرام. كيف يلتقيان إذاً.. وكيف يتفاهمان؟

وهـذا فهمٌ للفنِّ وللإسـلامِ غير صحيحٍ وغير دقيق.

الفـنّ حـرّيَّـةٌ والإسـلام حـريـةٌ كذلـك. الإسـلامُ التزامٌ والفنّ التزامٌ كذلك. الفنّ هيامٌ في كل واد في سبيل التعبير والجمال والمتعة، والإسلام انطلاقٌ في كل اتجاهٍ وسياحةٌ في كل فضاءٍ، في سبيل التعبير والجمال والبهجة والمعرفة والمتعة.

أيةُ حريةٍ مكفولةٌ في الفن وممنوعة في الإسلام؟

أحـريـة التعبير؟ وأيُّ فكرة أو شعور أو خاطر يُمنَع على المسلم التعبير عنه، حتى ولو كان وسوسةً شيطانٍ، إلا أن يكونَ في ذلك نيلٌ من الأعراض، أو تطاولٌ على الله والأنبياء، أو تحريضٌ على الجرم والفاحشة؛ وليس ذلك من الفنّ الحقيقي في شيء؛ لأنّ الفن ارتفاعٌ في الذوق، ونبلٌ في المشاعر؛ والوقاحةُ

مع الله، والاعتداء على الأعراض، والترويج للفاحشة، ليس من الذوق السليم والشعور النبيل في شيء.

أحريةُ التفكير؟ وكيف يقيّد الإسلامُ التفكيرَ وهو يدعو إليه، ويحرّض عليه، ويجعله طريقا إلى المعرفة والعـبرة والجـمـال والمتعة؛ بالمعنى الواسع الرفيع للجمال وللمتعة؟:

«قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ» (الأنـعـام:٥٠)، «أَفَـلا يَـتَـدَبَّـرُونَ الْـقُـرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» (محـمـد:٢٤)، «أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» (الأعراف:١٨٥).

وكثيرا ما يقال: إن الفنان الحقَّ يحب أن يتميّز، أن يبدع، أن يفكّر على نحوٍ مختلف، أن يكتشف نهجا جديدا، ويرى رؤية جديدة، ويخط فلسفةً جديدة، وأن ينظر إلى الكون بمنظار جديد. فما أروعَ ذلك! وما أجملَ أن يكون الفنان المسلم كذلك! إنّ الإسلام يدعو إلى الاجتهاد، والتجديد، والتنويع، وينبذ أن ينظرَ أحدُنا بعين غيره، ويشعرَ أو يعقل بقلب سواه:

«وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ» (البقرة:١٧٠)، «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا» (الكهف:٥٤)

لقد عاب القرآن على مقلدي آبائهم، فكيف يمنع الفنان من التفكير الحر والإبداع الأصيل؟ وقد نوّع الله في قرآنه ألوان الخطاب وأنواع التمثيل، فكيف لا يقبل من الفنان ذلك، وهو أدعى إلى خدمة الحق والخير والجمال، وأنجع في تنمية الفكر والذوق والخيال؟

إنّ اللون الوحيد من الفنّ الذي لا يرحّب به الإسلام، بل ينبذه، ويضيّق عليه، ويحرّمه أحيانا،

هو الفنّ المنحطّ ذوقا وخلقا وفكرا، أو الفنّ الذي يترك أرضَ الله واسعةً جميلةً نظيفةً، ويطلب أن تتاح له حريةُ النبشِ في القمامات، والخوض في المستنقعات، والنهش في الأعراض والحرمات!

وهذا اللون من الفنّ هو أقلّ الفنون حظا من الجمال وحقا في الانتساب إلى الفن. وليس الإسلام فقط من ينبذه ويضيّق عليه، بل كل فلسفة للحياة، ومنظومة للقيم، ومؤسسة راعية للحقوق، تفعل ذلك. يقول جيروم ستولنيتز:

«الواقع أن الإشراف الأخلاقي على الحياة يشمل النظم الاجتماعية الكبرى. ألسنا نعتقد، في عصرنا هذا، أن الزواج والحياة العائلية، وأحوال العمل والنظام التعليمي، تخضع لقدر معيّن على الأقل من الإشراف الاجتماعي؟ وإذن، فلمَ لا يخضع الفن بدوره؟ ولماذا يكون للفنّ امتيازٌ خاص لا يناله أي نظام آخر؟ إن الأمر كما يعبّر عنه أفلاطون قرب نهاية محاورة الجمهورية، هو أن «الأمر خطير حقا، وهو أخطر مما يتصوره معظم الناس. فعليه يتوقف تحول الإنسان إلى الخير أو إلى الشر. ومن هنا فإن من واجبنا أن نقاوم إغراء الشعراء، مثلما نقاوم إغراء المال أو الحياة أو الشهرة، إذا ما حضّنا على إغفال العدالة والفضيلة».»[١٨]

نذكر أفلاطون في هذا السياق مع التنبيه على الفارق الواسع بين التصور الإسلامي للفن وتصور أفلاطون، وأن الحرية التي يتمتع بها الفن في الإسلام هي أوسع بكثير من الحرية التي يتمتع بها في أية فلسفة للحياة أو منظومة للقيم. ويكفي للدلالة على ذلك، من الناحية العملية، أن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عمن كان أهدر دمه، بقصيدة كتبها يعتذر. وأجاز له أن يقرأ القصيدة في المسجد محلِّ العبادة لا التغني؛ بل أجازه على هذه القصيدة بأن خلع عليه بردته الشريفة صلى الله عليه وسلم. مع أن القصيدة افتتحت، على عادة الشعراء عصرئذ، بغزلٍ بامرأة مسماة.

ولا يستقيم أن يُلتَفتَ إلى سجن عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحطيئة بسبب شعره، فإنما كان ذلك في الحقيقة بسبب تعديه على أعراض الناس بالهجاء وليس بسبب الشعر ذاته؛ وليس الشاعر بمنجاة من المحاسبة لا يسأل عما يفعل، وإنما هو مثل سائر الناس، له ما لهم، وعليه ما عليهم.

وكثيرون يتصورون الإسلامَ رقيبا واقفا على رؤوس الناس، يقول لهم: افعلوا ولا تفعلوا، واحرصوا واجتنبوا واحذروا. وأن الفنان إذا أخضع ضميرَه لتعاليم الإسلام وقف جامدا حذرا تتكمش فيه روح الإبداع، وتنطفئ في قلبه جذوة الفن؛ فلا يكون إلا فنانا من الدرجة الثانية أو الثالثة، يكتفي بالتقليد، ويستغرق فنَّه في الوعظ والدعوة ونصرة الدين. ولا فنّ حيث تكون الرقابة والإلزام، وإنما الفن حرية وانطلاق وإبداع.

وليس الأمر في حقيقته كما يتوهمون؛ فإن الإسلام لا يفرض على الفن شيئا سوى ما أسلفنا ذكره من ترك الاعتداء على الأعراض، والوقاحة مع الله، والتحريض على الجرم والفاحشة. وأما ما سوى ذلك فهو مباح إن لم يكن مستحبا. والأمر متروكٌ لاختيار الفنان وموهبته ومذهبه في الحياة ومزاجه في الشعور والتفكير، وإلى مدى تشربه لروح الإسلام واستغراقه في مُثُله وقضاياه: إن شاء أن يقصر فنه على التعبير عن تجاربه الشخصية فله ذلك، وإن شاء أن يجعلَه تعبيرا عن المشاغل والتجارب الإنسانية الكبرى، الخاصة بقومه، أو المتعلقة بالكون بأسره، فله ذلك، بالتزامه الحر لا بإلزام. يقول عماد الدين خليل:

«إنه يتوجب أن يكون الالتزام عفويا، متساوقا، منسابا.. وألا تقوم علاقته بالإبداع الفني على القسر والتكلف والإكراه، وألا يعترف بالمدرسية أو التقريرية أو المباشرة.. علاقة عفوية متدفقة.. تذكرنا بعلاقة العيون الزرقاء بما تتدفق به على حقول الربيع العطشى من مات فرات.. بعلاقة التربة الطينية الخصبة الحمراء، بما تغطي به وجه الأرض من بحار لا حدود لها من السنابل الخضر.. بعلاقة البحر الهادئ والريح الرخاء بالمراكب التي تبحر بهدوء فجر كل يوم صوب ما قسم الله لها من أرزاق.

ومن قال: إنّ الأديب المسلم ليس هو هذه العين المائية، أو هذا الحقل الأخضر، أو ذاك البحر الهادئ، وتلك الريح؟ ومن قال: إنه ليس تلك الشمس، أو ذلك القمر؟

ومن قال: إن قصائده وقصصه ومسرحياته وملاحمه لا تتفجر عنه، عن قلبه وعقله ووجدانه وأعصابه وروحه، تماما كما تتفجر المياه من العيون، والسنابل من الحقل، والأشعة من الشمس، والأحلام من القمر؟! أليس هو والطبيعة من مخلوقات الله؟»[١٩]

إنّ الإسلام يربي أبناءه على الحرية، ويدعو الناس جميعا إلى الاستمتاع بهذه الحرية الواسعة التي وُلدوا بها فليس لأحدٍ أن يسلبهم إياها. ومن الحرية أن يأمن الناس على أعراضهم، وأن يسلم المجتمع من شيوع الجرائم والفواحش. ومن الحرية أن يتحرر الفنان من التبعية لغيره، ومن إخضاع فنه لغرائزه السفلية أو لأهوائه ومطامعه الدنيوية. ولا مذهبَ في الحياة يدعوه إلى الاستمتاع بهذا القدر من الحرية غير الإسلام■

الهوامش:

(١) القول للفيلسوف الإنجليزي سلي Sully. ينظر: إبراهيم، زكريا. مشكلة الفن، مكتبة مصر، د.ت، ص١٣.

(٢) القول للروائي الروسي تولستوي Tolstoi. ينظر: المرجع السابق، ص١٤.

(٣) القول للمثّال الفرنسي رودان Rodan. ينظر: المرجع السابق، ص١٦-١٧.

(٤) ينظر: ستولنيتز، جيروم. النقد الفني؛ دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة فؤاد زكريا، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨١، ص٣٧-٤٧.

(٥) خليل، عماد الدين. مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، دمشق-بيروت: دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص٤٠.

(٦) قطب، محمد. منهج الفن الإسلامي، مرجع سابق، ص١٢٨.

(٧) الأنصاري، فريد. جمالية الدين، القاهرة: دار السلام، ط٢، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص١٣.

(٨) ديوان امرئ القيس، شرحه واعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٣١.

(٩) ديوان أبي نواس، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٨هـ-١٩٧٩م، ص٢٥٣..

(١٠) ينظر: مطر، أميرة حلمي. فلسفة الجمال: أعلامها ومذاهبها، القاهرة: دار قباء للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨، ص٣١.

(١١) ينظر: المرجع السابق، ص٤٣.

(١٢) ينظر ما ذكره جيروم ستولنيتز في كتابه النقد الجمالي: ص٣٩-٤١ من أسباب لهذا التحول لمكانة الفن في الحياة وانقطاع صلته بعالم الحقائق والمعارف.

(١٣) ينظر: أفلاطون. جمهورية أفلاطون، ترجمة حنا خباز، بيروت: دار الأندلس، د.ت، ص٤٤٢.

(١٤) ينظر: المرجع السابق، ص٤٣٩.

(١٥) ستولنيتز، جيروم. النقد الفني، مرجع سابق، ص٥١٦-٥١٧.

(١٦) المرجع السابق، ص٥١٧.

(١٧) المرجع السابق، ص٥٨.

(١٨) ستولنيتز، جيروم. النقد الفني، ص٥١٨-٥١٩.

(١٩) خليل، عماد الدين. مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مرجع سابق، ص٨٠-٨١.

بلا وداع

«دمعة على الأخ الحبيب محمد بن أحمد الرشيد رحمه الله».

د. أحمد البراء الأميري - سورية

عندي من الحزن أشكال وألوان ... وفي فؤادي للآلام عنوانُ
وفي عيوني دموع لا نضوب لها ... لها من القلب لا العينين عيانُ
حزنا على وطن باتت تمزقه ... بنوه قبل العدا والقوم إخوانُ
أحراره فرطوا في حقه أمدا ... فجاء يحكمهم بالظلم عبدانُ
أبكي على حرة يغتال عفتها ... أمام والدها وحش وشيطانُ
أبكي على كل ركن فيه مئذنة ... قد هدمتها دهاقين وصلبانُ

* * *

إيه أبا أحمد يا نسمة عبرت ... في صيف عمري فندى العمر تحنانُ
يا نجمة في ظلام الليل ساطعة ... ليلي بها مشرق والكون وسنانُ
كم جئت دارك والهم المقيم له ... في أضلعي من سعير الحزن بركانُ
وغربتاي: لظى في الأهل واحدة ... وغربة حاكها وغد وسجانُ
حتى إذا ضمني يحنو على تعبي ... قلب محب وقلب الحر بستانُ
تجلببت بالرضا الآلام وارتحلت ... وإذ بجمر الأسى روح وريحانُ
أخوة في سبيل الله خالصة ... رجاؤها من جدا الرحمن غفرانُ
يا راحلا أتعب الأيام من دأب ... في الصبح والليل، والأعياد برهانُ
تسع سمان من الأعوام قد حفلت ... فيها الضروع وودق العلم هتانُ
شيدت للعلم فيها ألف صرح هدى ... في كل صقع له رأس وبنيانُ
بذلت قلبك للتعليم عن ثقة ... أن السبيل لنا علم وإيمانُ
عشقت فصحى كتاب الله قد حفظت ... فيها الكنوز: أحاديث وقرآن
وقلت للعاملين: النجم غايتنا ... وصانعو المجد ما خابوا وما هانوا
وراء كل عظيم شمسه سطعت ... معلمون همُ في البذل فرسانُ
زرعت في كل قلب طامح فطن ... أشجار حب لها زهر وأغصانُ
رويتها بالعطاء السمح تغدقه ... من غير منّ، وجلُّ القوم منانُ

* * *

يا راحلا لم يودع صحبه عجلا ... بعض الوداع لمر الفقد إعلانُ
فجاءة الموت هزت كل جارحة ... منا فلب حليم الرأي حيرانُ
سقى الإله ضريحا أنت ساكنه ... وقاد خطوك للجنات رضوانُ

إمام علي الشيخ وموقعه في خارطة الشعر السوداني (١٩٣٥-٢٠١٠م)

أ.د.محمد عثمان صالح- السودان

الشاعر إمام علي الشيخ – رحمه الله تعالى – كان رائداً من رواد الأدب الإسلامي، وعضواً فاعلا في رابطة الأدب الإسلامي بمكتب السودان الإقليمي. وفي أخريات حياته كرمته الرابطة ضمن فعاليات مهرجان الأدب الإسلامي الثالث في الخرطوم، وكان ذلك في لقاء مشهود في قاعة الشهيد الزبير محمد صالح للمؤتمرات وبحضور رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية وعدد من أعضاء مكتب البلاد العربية[١]. فمن هو الشاعر الأديب إمام علي الشيخ؟ وما مكانته بين الأدباء العرب في السودان؟

تتناول هذه الدراسة التعريف بالشاعر إمام علي الشيخ، نشأته وعصاميته، وموهبته وتجاربه وعقيدته وفلسفته وجهاده ومكانته بين الشعراء العرب وأعماله ونشاطه وتقدير الأدباء له. ولنبدأ تعريفه بالنشأة.

نشأته:

لا أجد أفضل من تعريف الإنسان بنفسه للآخرين. ففي علم التاريخ والسيرة الذاتية يكون الاعتماد على ما يسجله الإنسان عن نفسه أو على نفسه أكثر من أي سيرة حياة يكتبها أو يرويها عنه غيره. فقد كتب الشاعر بعضاً من مذكراته، كما أجرى معه بعض الصحفيين مقابلات[٢] أدلى فيها بمعلومات مهمة عن بداية حياته أجملها فيما يأتي:

يقول – رحمه الله تعالى – ولدت في يوم ٢٢/ يناير/١٩٣٥م بحلة شبا[٣] جوار جبل البركل، محافظة مروي، نشأت هناك وتجولت مع والدي الذي كان يعمل في الري في عدة مناطق في الجزيرة منها أبو عشر،

٢٤ القرشي، والحاج عبد الله، ولأنني كنت أصغر الموجودين من أبنائه لم يتركني خلفه قط إلى أن بلغت التاسعة من عمري، حينئذ رجع الشاعر إلى مسقط رأسه في شبا.

يقول: وكان جدي والد أمي هو العمدة جعفر مصطفى جعفر، كان رجلاً من الوجهاء يعمل في النقل بالرواحل من كريمة إلى الدبة إلى دنقلا أو إلى الخرطوم وأم درمان، وكان ختمياً قحاً رغم أن جدته بنت عم الإمام محمد أحمد المهدي[٤]. كان جدي هذا شهماً كريماً ينحر الذبائح، ويؤوي الضيوف، سأل الله تعالى في أواخر أيامه أن يموت بين الشفيع والبقيع (في المدينة المنورة) وشاء الله أن يخرج ويموت هناك!.

ويقول الشاعر إمام: قرأت أولاً بخلوة شيخنا عبد الرحيم ولد وراق، ومنها انتقلت إلى خلوة ولد الشريفي في البركل[٥]، ثم انتقلت إلى خلوة نظامية أكبر تدرس الحساب وهي خلوة ولد الكرسني، ثم انتقلت بعدها إلى مدرسة كريمة الأولية[٦]، ثم بعد إكمال هذه المرحلة التحقت بمدرسة سلاح الإشارة بأم درمان ومنحت مرتباً شهرياً وتعلمت فيها صيانة وتشغيل أجهزة الراديو وأجهزة الاتصال، وكانت في ذاك الزمان أهم الأجهزة لسلاح الإشارة. (فترة الأربعينات من القرن الماضي).

تعلمه:

يقول الشاعر عن تعليمه: إن خاله محجوب جعفر – رحمه الله – كان من وجهاء تجار مدينة كريمة، وكان له دور مهم في مراحل تعليمه بعد مرحلة الدراسة في الخلوة وفي المدرسة الأولية، حيث سعى لإقناع الوالدة/ شقيقته/ أن يذهب للدراسة المتوسطة في أم درمان ضمن المختارين للدراسة بمدرسة سلاح الإشارة بعد أن طلب إمام منه إقناعها لتسمح له بالسفر، وقد تم له ما أراد.

عصاميته في التعليم:

ويحكي إمام قصته مع مدرسة سلاح الإشارة، وبزوغ موهبته الشعرية فيها، فنسمع عن جهاده الطويل في الاطلاع ومدارسة القرآن الكريم واللغة العربية. ويحكي عن هذه الفترة فيقول: إنه استفاد فائدة عظيمة من أستاذه الشيخ علي السراج المعروف بانتمائه لأسرة كريمة اهتمت باللغة العربية ولا تزال. ومن هذه الأسر أسرة الشيخ الطيب السراج، وابنه الشاعر الفذ فراج الطيب، والشاعر حديد الطيب السراج نائب رئيس مكتب الرابطة بالسودان حالياً.

إمام علي الشيخ

ويواصل إمام فيقول: وكان الأستاذ الشيخ علي السراج وهو يدرس في الفصل يضع الشاعر إمام في مقدمة من يحبهم ويؤثرهم بالاهتمام، وكان من شدة حبه له يضعه في مآزق من جهة الإعراب، لكنه يشعر دائماً أنه على قدر المهمة. تخرج الشاعر من هذه المدرسة عام ١٩٤٩م.

أما عن مواصلة تعليمه بعد هذه المرحلة في مجال هندسة الاتصالات المعروفة آنذاك فيقول: إن اللواء حسن بشير – وكان نائباً للرئيس عبود[٧] – رحمهما الله– أعجب بالقصيدة التي ألقيتها أمام الرئيس عبود فأراد أن يدخلني الكلية الحربية السودانية، لكن اللواء محمد طلعت فريد – رحمه الله تعالى – اقترح على الرئيس عبود ابتعاثي لأمريكا لدراسة هندسة الاتصالات في مجال الإذاعة والتلفزيون، فكان له ما أراد، فأعفيت من الخدمة العسكرية، وسافرت مبعوثاً إلى أمريكا، فدرست فيها لعامين ونصف في معهد

الراديو والتكنولوجيا بواشنطن، والتقيت هناك بالخبير الإعلامي على شمّو، والأخ الإعلامي صلاح أحمد.

عصاميته في اللغة والأدب:

استثمر إمام فترة عمله في الجيش في الاطلاع والسماع وارتياد المنتديات الأدبية، ونظم الشعر بعد أن أجاد النحو والبلاغة والعروض كما يظهر في نصوصه المبكرة المزهرة.

فلسفته:

قرأ إمام شعر الشعراء الفلاسفة فأعجب بالمعري وأبي العتاهية، ومن المحدثين العقاد وشوقي والتجاني يوسف بشير وإيليا أبو ماضي، ولكنه لم يقع فيما وقع فيه بعضهم من الشك والحيرة والذهول، وكأنه في الأبيات الآتية من تأملاته يرد على شك إيليا أبي ماضي حين يقول:

من ترى أجمل ممن
نعتوه بالفتى!؟
فهو لا يدري إلى أين
ومن أين أتى!؟
أيها الجاهل أُعْبد
عالماً يدري ويعلم!!

وفي قصيدته تأملات هذه يتناول المعنى، والشرع، والرمز، والذات الإلهية سبحانه وتعالى، والإنسان والمصير، والحواس، والعقل، والفطرة، والنبوة، والغريزة، والزمن، وهي موضوعات تأملات العلماء والفلاسفة، ويدلي بدلوه الذي يقود قارئ شعره الجميل هذا إلى الإيمان، يقول عن النبوة بعد حديثه عن العقل والفطرة والحواس:

«نحن في التفسير أحزاب لذا جاء الرسول
كي يرينا المنطق الفصل فلا نغلو افتراء»

هذه النصوص وغيرها تدل على إيمانه العميق، ويقينه الوثيق الذي شكل معنى حياته وفنه.

قصة موهبته:

أكثر ما شدني – وشد من حوله من رؤسائه – هذه الموهبة المتفجرة التي ظهرت في لحظات إلهام شعري لا يحظى به إلا القليلون، يروي عن هذه الحادثة في الحوار الصحفي الذي دار بينه وبين الشاعر الشاب أبو عاقلة إدريس والصحفي عوض الكريم المجذوب، كان السؤال: أستاذ إمام هل تذكر أول ما كتبت من الشعر؟

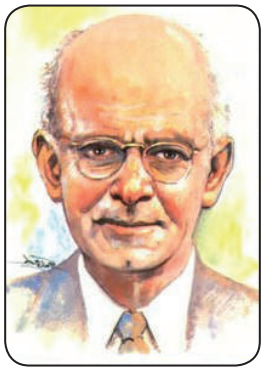

إيليا أبو ماضي

فيجيب: من قصائدي المبكرة جداً، وأنا في سلاح الإشارة داهمني الشعر، وكنت حين أكتب لا أشعر بما يحدث من حولي، وذات يوم في أثناء ورديتي – وأنا في عملي – إذا شيطان الشعر، بل أقول: ملاك الشعر – قد هبط علي، وبدأت أكتب قصيدة اسمها «الإله المغرور» تتحدث عن الشاعر والرسام وعن العالم وعن الإنسان، وهاجمت الجميع قائلاً:

يا شاعراً صاغ الجمال قصيدة
عصماء مزهواً بذاك فخورا
وصف الحياة شجيها ومريرها
فتناول المغموم والمسرورا
مهلاً فلا تطأ الثرى متألهاً
وتسير تيهاً أو تشط غرورا
فالله أروع منك في تعبيره
صاغ الجمال بعلمه والنورا

وأورد في الحوار باقي القصيدة التي نالت الموقع الأول في ديوانه أجنحة من نور[٨]، يحكي القصة الطريفة أنه في قمة كتابته إذا به يفاجأ بقائد سلاح الإشارة اللواء عمر الحاج موسى – وكان أديباً معروفاً – يدخل عليه في جولة

تفقدية ولم يشعر إمام بدخوله، فأخذ منه الأوراق، وذهب إلى مكتبه، فعاد الشاعر لأجهزته. وفي الصباح الباكر استدعاه القائد وباغته بالسؤال:

من أين نقلت هذا الشعر؟ فأخبره أنه من إنشائه. فلم يصدق، وقال له: لو أعطيناك ورقة وقلماً لتكتب قصيدة عن الرئيس عبود؛ فهل تفعل؟ قلت: نعم.

فقال لي: الأسبوع القادم (الخرطوم بحري) سوف تحتفل بالرئيس عبود، اكتب لي قصيدة على لسان (الخرطوم بحري) ترحب بالرئيس. فجلس الشاعر وظن قائده أن المسألة ستأخذ وقتاً طويلاً، فإذا به في برهة وجيزة يكتب قصيدة ويقول: القصيدة انتهت! فقال القائد مستغرباً: ماذا يعني انتهت القصيدة!؟ فقلت له: قصيدة الخرطوم بحري تحيي الفريق عبود!.

فنظر إلي وإلى الذي يجلس معه مندهشاً وقال لي: اقرأ، وبدأت فقلت:

هتفت تحيي شبلها وفتاها
لا يستوي من هدها وبناها
أرض أحال العابثون رياضها
صخراً وجف النور فوق سماها
أنقذتها فحملت مجهد عبئها
وطردت عنها الحائر الأواها
وتبسمت لك في الصدور خوافق
ما كنت إلا رجعها وصداها
خصتك بالحب الذي لا يشترى
والحب معجزة المسيح وطه
هتفت حناجرهم على اسم برة
حتى القلوب تحولت أفواها

فضحك القائد وقال له: هل تعرف الجالس بجانبي؟ فقال: لا أعرفه. فقال له: هذا هو الدكتور عقيل أحمد عقيل – أحد أبرز المثقفين حينذاك – وعلق هذا بكلمة تدل على أبلغ التقدير للشاعر وشعره!.

وجاء يوم الحفل فألقى الشاعر القصيدة أمام الرئيس عبود فأعجب بها، وعلق عليها بكلام يدل على افتخاره بموهبة هذا الشاب الذي جعل العسكريين يفاخرون المدنيين في اللغة والأدب.

تدينه:

الفريق إبراهيم عبود

هذه الموهبة لم تأت من فراغ، وإنما جاءت من تربية وجدانية عميقة، وقد لحظنا أن الشاعر مرّ بتجارب تعليمية مبكرة ولاسيما في خلاوي القرآن الكريم التي تنقل بينها، وهي في منطقة عريقة في تعلم القرآن وما يحمله من لغة جميلة ترفد به الخلاوي طلابها من أدب جم، وخلق حميد، وروحانية لا تجدها إلا في تلك المهاجع والعرصات، حمل شاعرنا كل هذا مع رصيده من الحفظ الذي بزّ به أقرانه، وجاء إلى مدرسة سلاح الإشارة في أم درمان معتزاً بهذا الرصيد، مضيفاً إليه ما يطالعه ويسمعه من الفكر والأدب.

وأحسب أنه كان كثير السماع للمذياع بحكم مهنته في الهندسة الإذاعية، وقد قيّض الله تعالى له أن يندمج في قطاع الطلاب النشط، وقطاع المثقفين والأساتذة الذين يتحلقون حول نادي أم درمان الثقافي ونادي الخرطوم بحري الثقافي، كما يرتادون الديوانيات الأدبية وحلقات التعارف والمطارحات الشعرية في الرحلات الترفيهية.

في هذا الجو المفعم نشأ إمام في مرحلة شبابه المبكر فتغذى وغذى بشعره هذه المحافل، وكان بذلك فخر العسكريين، وكان حسن خلقه وتمسكه بدينه إضافة إلى موهبته حببت رؤساءه فيه حتى نال التكريم والابتعاث.

حرصه على صلاته:

حكى قصة طريفة مع اللواء طلعت فريد – رحمه الله

تعالى – تدل على شجاعته وثباته، كما تدل على عظمة هذا القائد وحكمته واحترامه لدينه، فقال:

كنا في معسكر الجيش ومع أذان المغرب نودي لاجتماع فوري، وترك كل شيء مهما كانت أهميته!. ودخلت في حيرة.. ولكنني قررت أن أصلي المغرب وليحدث ما يحدث! وحضرت الاجتماع متأخراً، ولمحني اللواء طلعت فريد، فانتهرني بالطريقة العسكرية العنيفة: لماذا تأخرت عن الطابور؟ فقلت: معاليك.. المغرب أذن، والمغرب وقته قصير، ولو كان (المنبه) ضرب وقت العشاء كنت أحضر فوراً، ولكن وقت المغرب لا يحتمل، فقررت أن أصلي ثم

أحضر بعد ذلك، فنظر إليّ.. وقال: صحيح.. الله.. أهم من الجيش ومن عبود!.

ومن هنا أحب إمام هذا الرجل، وكان سبباً في تغيير مجرى حياته من رقيب في الجيش إلى مبتعث لدراسة الهندسة في أمريكا. قال مهنئاً لقائده بالترقية:

صحف اليوم أوردت والإذاعة
خبراً تعشق النفوس سماعهْ

وكان إمام عميق الإيمان فمضى في صموده الفكري والسلوكي، لم تلهه بهرجة الحضارة الغربية، ولم يثنه فجورها وإغراؤها، وهو حينذاك شاب دون الثلاثين من عمره، بل واصل ثباته على المبدأ. وفي قصيدته «شوق وحنين» التي خطها في واشنطن ١٩٦١م تتجلى أسمى معاني الثبات في حب الدين والوطن، والمحبوب الذي خلفه وراءه في ملتقى النيلين، لم تفتنه واشنطن بجمالها الصناعي الساحر، ولا الغيد فيها التي تتمشى فرادى ومثنى، لا القصور الشم ولا ناطحات السحاب كما جاء في القصيدة التي نقتطف منها الآتي:

يا شقيق البدر حسناً وسنا
هل ترى الأيام قد تجمعنا
أنت في الشرق جميل مشرق
ساهم الطرف وفي الغرب أنا
إن ذكراك التي في خاطري
تملأ الآفاق سحراً والدنا

ثم ينظر إلى الواقع الذي يعيشه في واشنطن فيقول:

أنت واشنطن يا أعجوبة
باقتدار قد سبقت المدنا
جنة الغرب ويا ذات البها
خصك الله جمالاً وغنى
تتمشى الغيد في جناتها
وروابيها فرادى وثُنى
زهرة تقطف زهراً ناضراً
فنن يجذب فيها فننا

ويرتفع الحس الوطني والديني عنده خلال هذه المناظر الخلابة فيعود به إلى أصالته وصموده وثباته فيقول:

رغم هذا لست أهوى جنة
لم أجد فيها لروحي وُكنا
إنني من أمة قد وهبت
كل إحساس لديها الوطنا
ابن شعب عبقري خالد
في صراع يتحدى الزمنا
أين مني النيل يجري وادعاً
ضاحك الأمواج عند المنحنى[٩]

ثم يقول واصفاً حال قلبه بأنه في ثورة عاطفية مجنونة:

يـا لـقـلـب كـلـمـا داريـتـه
أقـلـق الـــروح وهـــزّ الـبـدنـا
صـــارخـاً في ثـــورة مجـنـونـة
إن دار الـغـيـر سـجـن وعـنـا
إن بـيـت الـطـيـن لا تـعـدلـه
نـاطـحـات الـسـحـب أمـنـاً وهـنـا
إنـنـي أشـتـاق وجـهـاً أسـمـراً
لـيـس وجـه الـبـيـض مـهـمـا حُسنا

وإذا أردنا تقصي أسباب هذا الولع بالوطن والثبات على المبدأ فلننظر في عبقرية المكان الذي ولد فيه إمام.. في قرية شبا البركل.. محلية مروي، ولننظر في روعة الزمان الذي عاش فيه إمام، وفي البيئة الذاكرة المصلية المتفتحة التي صاغت وجدانه، إذا نظرنا إلى كل ذلك استبان لنا سر هذا الصمود.

نماذج من شعره:

قال رحمه الله على لسان فدائي يتحدث، ولعله هو المقصود:

صـنـعـت ذلـة الـسـجـود جبـيـنـي
وتـعـالـت عـن الـبـكـاء جـفـونـي
أنـا لم تـهـدم الـسـجـون أمـانـيّ
ولم يـخـدش الـعـذاب يـقـيـنـي
فـفـؤادي يظل يخفق في الرحب
وإن كـان مجـثـمـي في الـسـجـون
وحـسـامـي يظل يحلم بالنصر
وإن كـنـت تحـت ظـل الـمـنـون
كـيـف أجـثـو ولا تـــزال دمـاء
في عـروقـي وصـــارم في يمـيـنـي
كـيـف أجـثـو وكـل ذل لـفـرد
غـيـر ربـــي.. محـرم في ديـنـي؟!

نشاطه الأدبي:

كان للشاعر إمام نشاط جم لم يقعده عنه المرض حتى آخر حياته، كان فخر المنتديات والليالي الشعرية، والمهرجانات المحلية والدولية.

وكما أشرنا فقد اشترك شاعرنا الإمام في مسابقات شعرية محلية وعالمية منها اشتراكه في فهرسة البابطين للشعراء العرب حيث فاز بقصيدته العذراء كما فاز من بين ثلاثمئة شاعر عربي بالمرتبة الأولى بقصيدته «الإيمان»[١٠].

صدر له من الدواوين: أجنحة من نور ١٩٦٦م، والليل الأبيض ١٩٧٦م، والنجوم الشوارد، ومجموعة شعرية ضمت هذه الدواوين وغيرها ٢٠١٠م.

صدر له من الأعمال الأدبية والفكرية: الفن والجمال من منظور إسلامي ٢٠٠١م، وثورة ٦٩ يوليو التصحيحية.

كتابات صحفية عديدة في: مجلة سلاح الإشارة، ومجلة الملتقى، ومجلة الإذاعة والتلفزيون، وصحيفة ألوان، ومجلة الميثاق.

تقدير الأدباء والمفكرين له:

قال عنه عبد المحمود الكريكي: إمام علي الشيخ من فلذات كبد الأدب الإسلامي، عبر شعره عن مشروع حياته بحرارة وعاطفة صادقة، كان إمام يتساقط رطباً جنياً على من يعرف ومن لا يعرف. كان منارة من الود والكرم والصدق والوفاء للمعشر.

وذكر الشاعر والأديب حديد السراج فضل إمام علي الشيخ فقال: عرفته قبل أن أراه، سمعت بمواقفه دفاعاً عن دينه ووطنه. عرفته صديقاً لشقيقي الراحل فراج الطيب، وعرفته عن قرب عندما انتسب لوزارة الثقافة والإعلام، عرفته من خلال ديوان شعره الليل الأبيض الصادر في ١٩٧٦م، إمام علي الشيخ مثال يحتذى في شموخه واعتزازه بإسلامه وفخره بنسبه لهذا الوطن

العملاق، ووقوفه صامداً في وجه كل طغيان حتى صارت بعض أمانيه حقيقة، وكان سلاحه دوماً كلمة الحق نثراً وشعراً[١١].

وقال الشاعر الكبير محمد المهدي المجذوب: في تقديمه لديوانه الليل الأبيض: «والشاعر إمام من الشعراء الشباب الهادئين، فهو بلا أزمة شعرية، وأعني أنه لا يستعين بأسطورة خارجية، أو ينحدر في الأشكال المحدثة في الشعر.. وهو يتجنبها متعمداً.. ويجد كثيراً، ويأخذ نفسه بعمل فني يقوم على موسيقى كاملة، وقافية تامة، ومعنى يشكله الشاعر.»

ويقول الشاعر المجذوب: «وثقافة الشاعر الإسلامية صافية، ويمتاز أسلوبه بالحرارة والبعد عن الضعة، وأشعر أن الشاعر مستقل الشخصية، وحاولت أن أبحث عن أثر كبار الشعراء فيه فوجدت طيفاً من شعراء المهجر وشوقي حين يقول إمام:

رعى الله الكنانة حين مدت
يداً بيضاء نحمدها دواما
وهبّت ثورة الوادي وشبت
كضوء الفجر تلتهم الظلاما

ومن الأمور المهمة التي أحب إثباتها هنا هو أن الشاعر لم تلفحه الثقافة الأجنبية، وهذا يعطيه سمة رائعة بين شعرائنا من الشباب، والذي منحه التفرد في هذا هو قوة الموهبة واختيار الذوق الخلاق»[١٢].

الشاعر إمام بين التجديد والتقليد:

بالرغم من أن شهادة الشاعر محمد المهدي المجذوب برأت (إمام) من التقليد أو الأزمة الشعرية عند شباب ذاك الجيل؛ فإني للحق أقول: إن إمام واجه في شبابه أزمتين: الأولى: الانسياق وراء تقليد شعراء عصره وإن كان بالرد عليهم. والأخرى: الموقف من الجمال.. جمال الفنون والآداب التي تدور حول الجنس اللطيف – كما يعبرون هذه الأيام.

أما الموقف من التقليد فهو في تشابه الصور والتعابير الشعرية وليس في المحتوى، الأمر الذي نفاه عنه المجذوب. فقد استعار الشاعر إمام صور وتعبيرات من العقاد في قصيدته (الضحية والجلاد): عادت أغاني العرس رجع نواح. وتعبيرات من التجاني يوسف بشير في قصيدته الخلوة. يقول التجاني:

قام من نومه يدغدغ عينيه
مشيحاً بوجهه في الصباح[١٣]

ويقول إمام في قصيدة الصبي:

قام من نومه وضيء المحيا
قافزاً كالخيال سمحا رضيا

والفرق هنا في الصورة بين تبرم التجاني وتفاؤل إمام.

وقد تقدمت الإشارة إلى تأثره السلبي بإيليا أبي ماضي المخالفة في المعنى والمجاراة في الأسلوب والمعنى.

القضية أو الأزمة الثانية هي الموقف من الجمال، جمال المرأة، وما يدور حوله من أصناف الفنون، فهو من ناحية يهوى الجمال ويرق له. لكنه من ناحية أخرى يرى أن إطلاق العنان مع الجمال فيه انتقاص لمروءة المؤمن. ولا ننس أن هذه الأزمة شكلتها صلته العملية بمجال الإعلام صحافة وإذاعة ومسرحاً وتلفازاً، وقد عمل في كل هذه الأجهزة، لذا أرى أنه خرج من هذه الأزمة من دربين: الأول: الموقف

الشخصي من الجمال. والثاني الموقف الشرعي وهو الرجل المتدين.

◁◁ الأول: إمام والجمال:

لئن عبر الشاعر إمام علي الشيخ عن جلال الله تعالى وعظمته، وثبت على نصرة دينه، فقد برع وأبدع أيضاً في وصف الجمال.. جمال الله تعالى، وجمال الكون، بل وجمال الإنسان. قال في جمال الله تعالى:

مـــن تـــرى أحْـــكـــمُ ممَـــن
وهـــب الـــكـــون اتـــســـاقـــهْ
ســـيـــر الـــبـــدر الـــذي يـــز
هـــو بـــلا غـــاز وطـــاقـــةْ
إن في هذا النظام المحض ما ينبيك عنه

* * *

مـــن تـــرى أجـــمـــل ممن
صـــور الـــوجـــه الجـــمـــيـــلْ
وأعـــــاد الـــزهـــر عـــطـــراً
والـــصـــبـــا نـــســـمـــاً عـــلـــيـــلْ
والطيور الصادحات اللحن من أجمل منه

وفي جمال الكون الذي صنعه الله تعالى، يقول مخاطباً الرسامين:

يـا مـن رسـمت الـكـون في آيـاتـه
في لـوحـة أبـدعـتـهـا تـصـويـرا
ورسـمـت فـيـهـا المـاء لـونـاً زاهـيـاً
وأبـنـت فـيـهـا بـالمـداد زهـورا
مـهـلاً فـلا تـطـأ الـثـرى مـتـألـهـاً
وتـسـيـر تـيـهـاً أو تـشـط غـرورا
فـالله أبـــدعُ مـنـك في تـصـويـره
وهـب الـريـاض مـلاحـنـاً وعـطـورا
وهـب الـكـنـار غـنـاءه وصـداحـه
وأحـــال بـالمـاء المـــوات نـضـيـرا
فـاعـبـد إلـهـك إنـه صـقـل الـنـدى
سـحـبـاً وأودع في الـثـقـاب سـعـيـرا

وفي جمال الإنسان يقول في قصيدة الناسك:

ويعلم الله كم عانيت من قمر
حلو المقاطع رخو الكف والقدم
يـرنـو إليّ بـأجـفـان مـسـهـدة
تشكو الهيام ولا أنبيه عن ألمي
يـهـزني بـقـوام جـل صـانـعـه
مثل القنا وحديث ساحر النغم

◁◁ الموقف الآخر في أزمته الشعرية:

هو ما أشرت إليه بالموقف الشرعي من الجمال، وقد طالت أزمته حتى آخر العقود من عمره، بين أن يصف الجمال كما في قصيدته (القمر السابح) وبين تنسكه كما في قصيدته (عاشق الروح) التي يقول فيها:

سـلـمـى ويـا ذات الجـمـال
الـغـض والحـسـن المـبـاحْ
أنـا لا أخـاف مـن الجـمـال
ولا تـتـيـمـنـي المـلاحْ

أقول: خرج إمام من هذه الأزمة الشعرية ببحث رصين عنوانه: «تأملات في الفن والجمال من منظور إسلامي»، نشرته الإدارة العامة للثقافة والإعلام بولاية الخرطوم عام ٢٠٠١م.

والحق يقال: إن هذا الكتيب الذي يقع في بضع وستين صفحة بحث جيد تناول فيه الجمال من منظور إسلامي في الكون والإنسان والحيوان.. في الكتاب المنظور، وفي الكتاب المنشور (القرآن الكريم)، ثم الجمال في السنة النبوية، ثم بين خطورة الجمال مستشهداً بقصة سيدنا عمر بن الخطاب مع نصر بن حجاج[١٤]. وتناول الزي والزينة في الإسلام، وخطورة الغزو الثقافي في الغناء والمسرح...إلخ.

وختم بحثه بأن الجمال الذي تعبر عنه الفنون كافة لابد له من قيم ضابطة وهي القيمة الروحية، والقيمة الخلقية، والقيمة الجمالية.

ويتمثل ذلك في: تأكيد إنسانية الإنسان، وتثبيت التصور الإيماني، وتقديم القدوة الحسنة، وتفجير الطاقات والملكات الإبداعية، والترفيه المباح، وإبراز التاريخ الإسلامي والملاحم الوطنية.

ثم يدعو إمام لوضع البنية الأساسية لفنون جمالية إسلامية في شتى المجالات المسرحية والغنائية والمعمارية[١٥]. وهكذا يتجاوز إمام أزمته الشعرية.

في الخاتمة أقول: إذا كانت أول قصيدة نظمها في التاسعة عشرة من عمره تدل على عميق إيمانه وشاعريته، فإن آخر قصيدة حملت ذات القوة والثبات على الإيمان والتفاؤل بنصر الحق وهزيمة الباطل. يقول:

إن النذالة والضلالة كلها
واهٍ، وكل طريقها مسدودُ
دعموا التمرد بالسلاح ليهزموا
إيماننا وليركع التوحيدُ
لكن هذا الدين فوق ضلالهم
يحميه عدل شاهد.. وشهيدُ
مهما تلون مكرهم وفعالهم
فالنصر فوق لوائه معقودُ

رحم الله إمام التقى والصبر والإيمان.. شاعرنا إمام علي الشيخ، وأنا أوصي بدراسة أوسع له ولشعره، فهو يمثل روح الأدب الإسلامي الحقيقية، كما أوصي بإعادة طبع مجموعته الشعرية حيث إن الطبعة التي وقعت في يدي بها مجموعة كبيرة من الأخطاء، ولا تليق بهذا الشاعر الفذ وشعره الرصين. والله المستعان ■

الهوامش:

(١) ملف أسبوع الأدب الإسلامي الثالث ٢٠٠٧م (الذي أقيم بالتعاون مع جامعة أم درمان الإسلامية). الخرطوم، محرم ١٤٢٨هـ.

(٢) مجلة الميثاق، الخرطوم، أغسطس ٢٠٠٨م، صحيفة الشاهد، الأحد ١٩ صفر ١٤٢٢هـ، ٢٢ يناير ٢٠١١م، صحيفة ألوان، يناير، ٢٠١١م.

(٣) شِبا (بكسر الشين، وباء وألف) قرية قديمة قدم حضارة مروي وجبل البركل من قبل الميلاد بقرون.

(٤) محمد أحمد بن عبد الله، ادعى المهدية بالسودان، وقاوم الحكم الأجنبي، وأقام دولته وعاصمتها أم درمان عام ١٨٨٥م. وأما الطريقة الختمية فهي نظام صوفي أنشأه السيد محمد عثمان الميرغني تلميذ السيد أحمد بن إدريس المغربي.

(٥) الخلوة مركز تحفيظ القرآن للتلاميذ وهي من الاختلاء عن الناس للذكر والحفظ. انظر كتاب البروفسور أحمد علي الإمام، الخلوة والعود، الخرطوم ٢٠١٠م.

(٦) المدرسة الأولية آنذاك تعادل الابتدائية أو مدرسة الأساس.

(٧) حكم الرئيس إبراهيم عبود السودان من نوفمبر ١٩٥٨م إلى أكتوبر ١٩٦٤م في انقلاب عسكري أطلق عليه ثورة نوفمبر وأطيح به في ثورة شعبية هي ثورة أكتوبر ١٩٦٤م.

(٨) أجنحة من نور أول دواوين الشاعر طبع عام ١٩٦٧م الخرطوم، ثم يليه الليل الأبيض.

(٩) منحنى النيل يشمل المنطقة التي فيها خزان مروي ومنطقة شِبا وجبل البركل حيث ولد الشاعر.

(١٠) قصة إيمان قصيدة رائعة فازت في مسابقة المركز الإسلامي الأفريقي (جامعة أفريقيا العالمية بالسودان). ديسمبر، عام ١٩٨٧م.

(١١) انقلاب الشيوعيين في السودان جاء بعد خلافهم مع الرئيس نميري – رحمه الله – يوليو عام ١٩٧٠م، وقد حركنا مع الأخ إمام – رحمه الله – أولى المظاهرات ضد انقلاب الشيوعيين في أم درمان والخرطوم حتى ذهبت حركتهم أدراج الرياح في يومين فقط.

(١٢) مقدمة مجموعة إمام الشعرية، ٢٠١١م الخرطوم.

(١٣) التجاني يوسف بشير، ديوان إشراقة (عدة طبعات بالخرطوم).

(١٤) تأملات في الفن والجمال من منظور إسلامي، ص٢٠.

(١٥) المصدر السابق، ص٦٥-٩٦.

المسجد الأقصى

أولى القبلتين وثالث الحرمين

محمد ياسر أمين الفتوى - سورية

بتربك الطهر قد شفت خلاياه
وحبك الجمر لم تبخس سجاياه

عتقت فيه مبرات مكرمة
فما خبا الوهج في ذرات فحواه

وما ونى الزمن المرموق يتحفه
من كل رائعة أغلى هداياه

وأورق الذكر ترتيلا بأضلعه
وراق نورا بما أوحى به الله

أولى التوجه للرحمن قبلته
وجل فضلا بما ضمت حناياه

وثالث الحرمين الصبح يكنفه
ووقدة الروح أجلى في مصلاه

تفتض أيامه عن كل منقبة
من الهداة ويسمو البوح أوفاه

وحسبه رفعة إذ كان منطلقا
لمقصد جل أبعادا بمرماه

وجل أن رسول الله طاف به
مناجيا فتملى الكون نجواه

وحسب معراجه منه لمعجزة
قد بوأته سنام الحق اعلاه

فسل عن الصبح إذا غابت مطالعه
وقد أحاط الحمى ليل تغشاه

فارتج (مسجدنا) مما أصيب به
وهاله الخطب أقساه وأدهاه

وقد أبى تزفر الأحزان آهته
وروض الحزن فيما تنضر الآه

ولاذ في خشعة الإيمان تنجده
نعمى التهجد في ضنك بلوناه

هو الأسير وما لانت شكائمه
وإن تناوبه قهر فعاناه

حراسه المؤمنون الباذلون دما
فما استكانو ولا هانوا ولا تاهوا

هم الحماة يقاضيهم هوى لهف
فلا يحد بحب الله معناه

وحوله أمة الإسلام ترمقه
حسيرة الطرف لا عز ولا جاه

والعرب في حمأة الأهواء بأسهم
مبدد يتوارى في رزاياه

كل يمرغ في مستنقع مقت
وجذر الهون في ضعف لزمناه

وجذر الحزن في أرجاء (مسجدنا)
وقد توغل في الإيلام جُلاه

فعاد يسأل عن شمس تطالعه
بأعذب البشر في آفاق دنياه

وهل يعود (صلاح الدين) يعتقه
وتنبت الزرع مخضلا سراياه

وتكشف الغمة الغماء عزمته
ويسفر الحق في أبهى مزاياه

لكننا وائتلاق النور في دمنا
فلن يلملم عن إشراق مسعاه

ونحن في حومة الميدان نمهره
بما يجود بأغلاه وأسخاه

سمح ويحفزه في بذله ظمأ
ولن يحرف عن أمجاد منحاه

يحق حقا فلا تكبو مطامحه
ولن تضن بما يرجو ضحاياه

أجَلْ وربي فليس الأمر في حلم
ولا محال يرى فيما حلمناه

فالنصر نقطفه من أوج سدرته
بما اعتنقنا هواه واعتقدناه

الغريب والكلاب

صديق حامد نزاركي - العراق

حقاً.. إنّ القرية التي عيّنتُ فيها بعيدة(*) وعلى الحدود، لكن لا بأس.. يطيب لي كثيراً أن أختفي فيها حولاً، وأبتعد عن عيون البلد.. ها هي ذي يدي على قلبي كلّ لحظة، لا أعرف متى أبتلى وأصبح ضحية تقرير حاسد أو شاهد زور، في ظل هذه الظروف التي أعيش فيها!

حسناً.. سأذهب.

لعلّي أهوّن من قلقي، ويطمئنّ بالي زمناً، وأنام صافي الفكر لا أحد يتجسس علي، أو يسترق السمع ليعلم ماذا أفعل في عقر داري. نعم.. لأذهب.

مرّةً أخرى أتعلل بهواء القرية، وأنتعش بمائها العذب، أواكب تلك الأيام السالفة من العمر.

فبعد مسيرة الساعات الأربع من النقطة التي استطاعت السيارة أن تقلّنا إليها، وبعد إرهاقٍ مضنٍ جرياً من جبلٍ إلى آخر، ومن صعود إلى نزول، مرةً نمشي على الثلج، وأخرى على أوحال الطريق..

وصلتُ مع أفراد من أهل القرية في أمسيّةٍ متأخرة، إلى المرتفع المطلّ عليها.

ما أن لاحت شخوصنا لكلاب القرية، حتى بدأ النباحُ، وهبّت الكلاب من كلّ أرجاء القريةِ، كأنّ كلّ واحدٍ ينادي صاحبه، وانتهى الجمعُ إلى مقدمة القرية، كان عددها أقلّ من بيوت القرية بقليل، اشتدّ النباح شيئاً فشيئاً، ثمّ بدأ الهجوم نحونا.

ها هو الغضب آتٍ، كأنّها قطيع من الذئاب فيه الأبيض والأسود والمرقّع.

والله! لو لم يكن معي هؤلاء النفر من أهل القرية، لكانت تمزّقني إرباً إرباً، كنتُ أتوسطهم وهم يدفعون عني هرج كلابهم من جميع الجهات.

- أستاذ.. كلابنا ضارية!.

- نعم! إنّها على حقّ، إنّها تؤدي ما عليها من واجب بكلّ إخلاص، ومن أعماق قلوبها.

- كيف يا أستاذ!

- انظروا، كيف تحمي القرية من الغرباء!.. آه.. آه.

- نعم.. صحيح، لكن أما ترى، حتى مع الضيوف!؟

- هذه كلاب!.. لها كلّ التقدير،

إنها لا تتخلّى عن حقها لأحد، انظر كيف لا ترى أمام أعينها أحداً، لاستعادة حقّها منه، و دفاعا عن القرية من تهديد الغرباء!؟.

ـ نعم! نعم! فنحن في أمانٍ بها، ثق أنّها تمنع كل شيء من القرية، اللصوص، السباع، الأوغاد.. إنّها مسعورة.

ـ يا ليت كلّ من يدّعي الإخلاص يكون مثلها في مشاعرها، ويجعلها ثورة في كيانه، انظروا.. كيف تدور حولنا للنيل مني، وأوشكت أن تأخذني من بين أيديكم! وتقول:

من أين لكم هذا الأفندي!؟ كيف يدخل القرية ونحن على قيد الحياة.!؟

بهذا الهرج والضجيج، دلفنا باب بيت المختار وكان في مقدمة البيوت، بعد أن تجمّع أهل القرية علينا، وبشّرهم ضجيج كلابهم بأنّ معلماً جديداً قدم لمدرسة القرية، بديل الذي كان من قبلي.

بعد برهة من الجلوس، خطر ببالي أول سؤال هو: كيف كان المعلم القديم يدبر الأمر مع هذه الكلاب!؟

بادر إلى ذهني هذا السؤال، لأن هؤلاء النفر الثلاثة كانوا يدرؤون عني أذى الكلاب بكلّ مشقّة إلى أن وصلنا إلى القرية..

كيف كان يستطيع معلمهم الخروج والتجوال؟.

ـ والله يا أستاذ إن الكلاب عضت ساقه مرتين أو ثلاثا، كنّا نرافقه دائماً في ذهابه وإيابه.

ـ كلابنا ضارية (أردف الثاني) لكن لا تخف، يا أستاذ.

هذا الكلام شدّ عليّ الخناق، وأرعبني أكثر.. كيف أتجوّل في القرية!؟

لقد قلتُ.. وكان في ظني، أنّني سأترك البلد لأستريح، لم أكن أعرف أن المصير سيكون كمن يستجير من الرمضاء بالنار.

همد الهرج قليلاً وتفرّقت الكلاب، لكنّ كلب المختار ظلّ هائجا لا يبرح باب البيت، وكلّما سمع صوتي جُنّ جنونه.. فلا يهدأ.. كاد أن يخطفني من عقر الدار.

لا زلت أهذي مع نفسي.. كيف أتدبر حالي في هذه القرية!؟.. مالي والعيش مع الكلاب!؟.. كيف أصل يومياً إلى المدرسة، أو أذهب لقضاء حاجة!؟ ناهيك أن أقوم في جولة حرّة بضواحي القرية.

كنت أضطر كلّما خرجت من البيت أن يرافقني شخص أو شخصان، شاء أم أبى، يحفظني من أيدي قطاع الطرق الجدد، لأن الاحتراز لم يكن من قبل كلب واحد، بل كلّما نبح أحدها، عمّ الصوت أرجاء القرية، وتكالبت علينا، فكثيراً ما كنت أسأل ما إذا كانت الكلاب في طريقي أم لا، فكان بعضهم يبدو ضاحكاً، والآخر خجلاً، لأنني أعاني الأذى منها.

* * *

عليّ أن أعالج الأمر، كيف يمضي الوقت هكذا!؟ فليس هو مكث يوم أو يومين.. إنها سنة كاملة.. فالأجدر بي أن آخذ بيدي عصاً وأطرح بها أرضاً كل كلب يقصدني، لكن هذا ليس سبيل العلاج! قد تتمكن الكلاب مني وتؤذيني أكثر.. فماذا أعمل!؟

فكرت أن أتدبر الأمر بسمّ زعاف حتى لا يبقى كلبٌ واحدٌ في القرية؟ ولكن هذه الطريقة أيضاً ليست حلاً. ماذا أقول لأهل القرية!؟ ثم إنه لا يليق بي هذا العمل، ثم ماذا ؟! ألازم البيت، أعتكف فيه ولا أخرج إلى أن تنتهي السنة الدراسية! وهذا أيضاً لا يجوز! هل أسجن نفسي في البيت بقية العام!؟

في أحد الأيام كنت مرافقاً المختار في إحدى ضواحي القرية ـ وأنا في حيرتي ـ فإذا بمجموعة من كلابها هجمت علينا، وبالأحرى عليّ لا على المختار.

كان من بينها كلب ضخم، ولما اقترب منا الهجوم وقف الكلب الضخم فجأة، فوقفت الكلاب الأخرى مسمّرة الأقدام!

سألت المختار: ما بالها وقفت هكذا فجأة؟

أجاب: إن هذا الكلب الضخم هو كلبي، وهو أقوى من كل كلب في القرية، وهي جميعا تخافه! انظر حينما وقف؛ وقفت الكلاب إثره... إنه (كرزو) هو كلبي النشط المسعور.

– طيّب!.. لقد عرفت.

قلت في نفسي: جيد، إن مشكلتي مع كلاب القرية انتهت، وأصبحت سهلة.. فلأجعل من هذا الكلب حارساً أميناً لي من كلاب القرية، وستزول مشكلتي مع الكلاب الأخرى..

في اليوم التالي تحدثت مع بيت المختار قائلا: أنتم تعرفون مشكلتي مع كلاب القرية.. فأرجو منكم من اليوم فصاعداً أن لا تطعموا كلبكم، لأنني أريد إطعامه بيدي، لكي يتآلف معي، حيث لا أستطيع التجوال في القرية، ولا أقدر على الذهاب إلى المدرسة، أو الرجوع منها خوفاً من أن تهاجمني الكلاب، وتخرش ساقي عضاً.

قالوا: فليكن كما تريد يا أستاذ، حقاً.. نحن أيضاً نشعر بذلك، ونخاف أن يؤذيك الكلب، ونستحيي منك.

* * *

لقد تعلمت أولاً.. كيف أنادي (كرزو)، وتعودت مضطرا على إجادة نغمة الصفير المتبع هناك لاستفزاز الكلاب، كي أروضه مثلهم، وهم بدورهم تركوه جائعاً.

ناديت ابنهم وقلت له: اصطحبني لأطعم الكلب، لأنني وحدي لا أتجرّأ.

فأجاب: حسناً يا أستاذ، حقاً إنه جوعان.

لم يقبلِ الأكل من يدي، حينما قدّمته له، بل احمرّت عيناه غضباً، واستعد للمنازلة كأنه يقول:

أنا أتناول الطعام من يد غريب مثلك!؟ لا فرق بينك وبين الذئب في هذه القرية!!

وأنا أيضاً أقول: وعد مني أن لا تأكل الطعام إلا من يدي.

تركته جائعا، وكررت الطلب من بيت المختار أن لا يطعموه.

إنّه الشتاء والثلج، فليس من السهل أن يتوافر الأكل للكلب إلا من يد إنسان، وفي تلك الأيام اشتد سعار الكلب، وأنا جوّعته أكثر.

حظيت بشاة ميتة، كانت مكسباً جيداً لمهمتي، في الصباح قطعت منها الفخذ وناديت الكلب وقد أنهكه الجوع! نظر نحو باب غرفتي الملحق ببيت المختار، وكان بجانبي ابن صاحبه، فوثق قليلا، ثم نهض وأقبل نحو الفخذ مع زمجرة ساخرة، تشي بأنه على كبريائه، اقتربت منه قليلاً، ثم رميت الفخذ أمامه، وتراجعت سريعاً خلف الولد، تسمّرت قدماه وظل يحدق بي، بقدر ما أقول في نفسي: كيف أقضي الأيام الباقية مع كلاب هذه القرية!؟

ترد عيناه:

وكيف أتغافل للغرباء ليطمئنوا داخل القرية؟

وخاصة حينما أرى (أفندياً!) يخلب العقل، فكيف أتناول الطعام من أيديهم؟.

ولكن على وجه الاضطرار اشتم الفخذ وأخذه جانباً، بدأ يأكل كارها دون رغبة.

عرفت أنني أخذت برأس الخيط، وقضيت على الكلب الضخم، وإن شاء الله.. بعد اليوم أسير في القرية مطمئنا من شرّ كلابها ولو دخلتها بيتا بيتا.

في اليوم التالي ناديت الكلب وتركت الباب نصف مفتوح خوفاً من أن يهجم علي، ثم أخرجت قطعة

من لحم الشاة من تحت الثلج الذي قد داهم المنطقة وغطى كل أرجاء القرية، ولوّحت بها له، أقبل مرحاً ومع زمجرة ثائرة، رميت له تلك القطعة.. فراح ينظر إليّ وإلى قطعة اللحم ويشمها.. ثمّ أخذ يتردد..

- هل آكل أم لا؟!

كأنه قال: حسناً إنني مضطر..

لم تمض ساعة، ناديته مرةً أخرى، رأيته يهزّ ذيله! عرفت أنّه نزل من كبريائه قليلاً، وهو يحدق بي.

- هاا.. ماذا تريد؟ تبّاً لك.. لأسمِّننَّك من أديمك، ثمّ أجعلنَّك تأكل طعامك على عتبة داري، وسوف تتوسل كي أمنحك كسرة خبز، وأناديك بإشارة الأصبع.. امض.. لا أعطيك شيئاً في هذه المرّة!.

بعد العشاء خرجت من البيت، أحببت أن أظهر له ليراني في الليل، لأن الكلاب في الظلام تَتسعَّر أكثر.

ناديته.. وما إن سمع صوتي، حتى تخيّلت له صورة اللحم، فتقدّم نحوي وهو يهزّ ذيله، وقد هدأت تلك الزمجرة إلى هرير لطيف، لكن..

- إنني لازلت على هيبتي.. فهل تناولني مقداراً آخر من اللحم، لا ضير أن أزمجر قليلاً.

وما إن ألقيت له الفخذ الثانية، حتى تناوشها بقفزة مفرحة وأكلها في موطئ قدميه.

نوى الانصراف، قلت له مهلاً، تعالَ.. فقد آلفتك بمشقة وببالغ الصعوبة!.. ألهيته بالنهنهة والمزاح، آملاً أن يعرف صوتي ويسمعني بهذه الكلمات:

كن وفيّاً .. فقد تصادقنا معاً، ستأكل اللحم من يدي يومياً، وسأقلّدك زمام كلاب القرية، هل فهمت مني؟

آسفٌ! إنّه كلبٌ.. وأظن أنه لم يفهم شيئاً.

في الصباح فتحت الباب، رأيته باسطا ذراعيه أمام الباب ينتظر اللحم.. ما إن رآني حتى نهض وعيناه تبوحان بالجوع والاشتهاء.

دفعت كتف الشاة إليه فالتقمها، وبدأ يأكل دون أن ينظر إليّ، ومن خلال تهافته على الأكل قرّبت رجلي من فوق رأسه، بدا عليه علامات عدم الرضا، لكني كنت أمهله، أداعب رأسه برجلي، أيقنت أنه يستنكر هذه الدعابة بالزعنفة والتمشيط ولا يهمه أن رِجلا فوق رأسه أم لا!..

- هيا.. انهض وانصرف.. كي تتعود الإهانة والطرد.. ها..! لماذا لا تذهب؟؟ استطبت المكان؟ هل خدر الطعام رأسك، والتهيت به!؟ والله.. لو أن أرجل أهل القرية كلها فوق رأسك فلن يحرك عندك من الغيرة قيد شعرة، ولا يتعكّر مزاجك عليك!.

يا كرزو! في نيتي قريباً أن أسافر إلى خارج الوطن، فإذا ذهبتُ أحببت أن أصطحبك معي، ونذهب إلى دولة أوروبية، لترى هناك، كيف أنهم يقدّرون الكلاب.

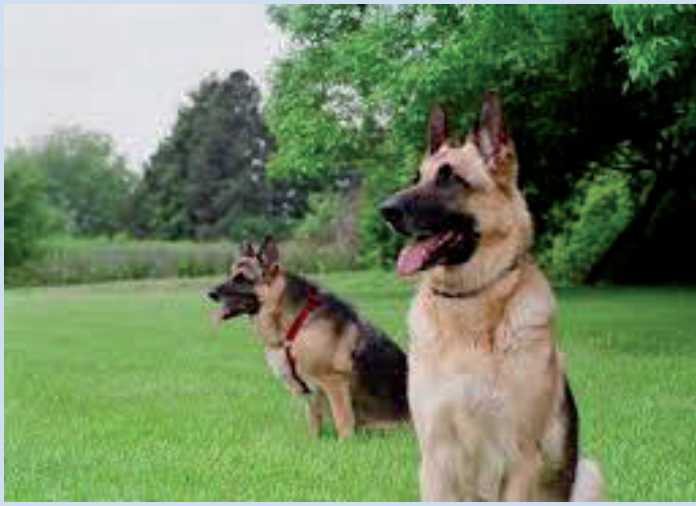

ـ مكانك! مهلاً أصغ إليّ..

هناك تصبح كلب اليوم والعصر، بدّل اسمك وتعلّم لغة أخرى، نعم .. شرائح لحم الخنزير، شراب، أمور ودعوات أخرى.. فيها الحرية كما تشاء وتحلم به!!

احلق شواربك، غير لونك بمئات الألوان، اجعل من نفسك ذكراً أو أنثى بحرية

ها!... لا تزمجر، أنت الذي تغيرت سريعا هكذا في عقر دارك، فلابد أن يجري عليك أعظم منه في أوروبا.. وأنت لها.

لا تقل، صاحبي أو قريتي! أو حظيرة الماشية! فهناك الحمراوات والشقراوات تنسيك الجوع، وهذا الثلج وأشباح الغرباء كلها. ولك بعد سنين، أن ترجع يوما، زائراً كلاب القرية.. أستاذا ومربيا، لتعرفك حقَّ المعرفة.. والآن اذهب.. اذهب، وحين الظهيرة أنت مدعوّ إلى الكتف الثانية للشاة، لكن ليس هنا بل على باب المدرسة، حتى تتعرّف عليّ هناك أيضا... إذن اذهب الآن!.

في الظهيرة رجعت إلى البيت، دون أن أناديه، رأيته على باب البيت يهز ذيله، فعلى مرأى منه أخرجت الكتف من تحت الثلج ووضعته في كيس النايلون الشفاف حتى يراها، هيجته برائحة اللحم ولونه وعرفت أنني أمنته..

أمشيته خلفي حتى أوصلته إلى المدرسة، ولمّا رآني كلاب القرية، في الطريق وأمام باب المدرسة، تحرشت بي مرّةً أخرى، ولكنها فوجئت واندهشت، بأنّ (كرزو) الضخم معي، وأنا ألوح له باللحم وأمازحه، وقف كلّ كلبٍ في مكانه ينظر إلى (كرزو) علّه يتحرش بي فيدع لهم الفرصة لذلك.. لكن لم يصدر منه صوت ولا حركة.

الكلاب تعيد النظرة إليه، ثمّ نحوي والغضب يتطاير من وجوهها، أوشكت أن تقول:

ـ كرزو! كيف ومتى أصبحت صديقاً للأفنديّة الغرباء! وأيان غرّك هذا؟!

ـ ياللعجب!... أردف الآخر: متى أضلّك هكذا!؟ البارحة كان هذا الأفندي الغريب ذئباً عندنا في القرية، انظروا كيف صار محبوباً له؟ نعم.. نعم نعرف أنّ اللحم أرمد عينيك في هذا الشتاء.

ـ ليس هذا ببعيد!.

ـ شاهت وجوهكم، كفاكم نباحاً، إذا عرفتم أنّ النباح لا يجدي نفعاً، فما الفائدة منه؟.

ـ والله إنّ الأفندي الغريب قد أضلّك، يتراءى ذلك من عينيك، لكن ماذا نفعل بسفيه مثلك!؟.

ـ في كلّ مرّة كنّا نستنفر ونستفز لنجدتك، وكنّا يداً واحدة، وقلباً واحداً، وكلمة واحدة.. ماذا حلّ بك!؟ نظر كرزو تجاه الكلاب، وأصدر صوتاً خفيفاً وكأنه يقول لها:

ـ ها ها ها.. السفيه من لم يذق اللحم هذا الشتاء!.

احمرّت العيون في رؤوس الكلاب من شدّة الغضب والهياج والزمجرة، اختلّت موازين الرؤى

عندها، كل واحد منها أصبح نـدّاً للآخر، ومن شدة الغضب لم يعد أحد يعرف صاحبه، فبقدر ما تضايقت من الجوع، أسعرها الغضب أكثر، ولما رأت أنها لن تشفي غليلها، تهارشت فيما بينها، لتصب جام غضبها على أنفسها.. مما ذاقت من ضيق وإهانة من الأستاذ وكرزو.

فمن عنف العراك.. قلّبت الوحل فوق الثلج من تحت أقدامها، وكل من يبطح أرضاً كان الكل تخرشه وتمزقه.

هبّ أهل القرية ولكن لا أحد يستطيع الفصل بينها.

- ما الذي حدث؟

- ما هو السبب.. وما هذا؟

- يا أستاذ! لم يصدر من كلابنا هذا يوماً، ولم تتعارك بينها هكذا؟

أخيـــراً.. تفارقت بمشقة.. فمنها المدمى والجريح، ومنها مكسور الرجل، ومنها من لا زال مطروحا أرضاً. انتهت المعركة ولم ألوّح باللحم لكرزو!

بدلاً منها ألقيت له كسرات من الخبز، تظاهر بالأكل دون اشتهاء، وظلت عيناه تنظران إلى اللحم.

ناديته بإشارة من أصبع...

- هيا لنذهب.!

قام وتبعني كأنه يقول:

-لا أنقض هذه الصداقة ولو أطعمتني كسرات الخبز.. لا أنقض!■

(*) كتبت هذه القصة باللغة الكرديّة، وألقيتها في أمسيّة أدبية في اتحاد أدباء الكرد/ فرع دهوك، ونشرت في مجلتها (بَيف)، ثم أعدت صياغة القصة باللغة العربيّة.

بُكاءُ النخيل

عبد الرحيم الماسخ - مصر

سمعتُ بكاءَ النخيل
كما سمعتهُ الصحابةُ بعد انتقال الرسول
إلى منبرٍ بعدَ جذع
بكى فزِعاً
هبط المصطفى فأتاهُ، احتواه
فنهنهَ بين يديه
كنهنهةِ الطفلِ بين يديْ أمّهِ
هابطاً من قطارِ الكوابيس
يبكي النخيل
فلو حاصرتهُ الحرائقُ أطفأها بالدموع
ويغرسُ في الشمس أهدابهُ
ويُديرُ مظلاّتهِ هابطاً
لا يقولُ: اترُكوا الطميَ ليْ
وخذوا الشهدَ
يعرفُ أنّ حصاراً بحجمِ الردى لا
يُفسِّرُ رُؤياه
والليلُ لا تحتوي مُقلتاهُ رياح السبيل
بكى النخلُ، مات بُكاءً
لأنّ الرسولَ قضى
تركَ اليُتمَ للظامئين - و قد فقدوا
الأرضَ — ماءً.

ولد حسين نصار في ٢٥ أكتوبر ١٩٢٥م، وهو أديب ومؤلف ومحقق ومترجم مصري، عمل في عدد من الجامعات المصرية والعربية، شغل منصب رئيس الجمعية اللغوية المصرية، والجمعية الأدبية المصرية، وكان عضوا في عدد من الجمعيات العلمية واللغوية والأدبية والثقافية الأخرى. له تسعة كتب مترجمة من الإنكليزية، ومؤلفات حول الكتابة الفنية في الأدب العربي، وإعجاز القرآن الكريم.

الناقد الدكتور حسين نصار لـ (الأدب الإسلامي):

اللغة العربية اليوم يتيمة بين أهلها

■■ ما هو تقويمكم للوضع الثقافي الراهن مقارنة بفترة الستينات مثلا في مصر؟

■ الوضع الثقافي اليوم جيد، وهناك فعاليات ومنتديات، وحركة دائبة في النشر والترجمة، وهي أفضل من الستينيات، وأذكر هنا أنني كنت عضوا في الجمعية الأدبية المصرية التي أُغلقت بعد ذلك، وعندما أراد يوسف السباعي أن ينشئ اتحاد الكتاب المصري.. حاول أن يفرض علينا في الجمعية رأيه بأن اللجنة الوحيدة المسؤولة عن الأدب هي اتحاد الكتاب وليس الجمعية.. لكننا لم نستجب له مطلقا!

القامات الثقافية بين عهدين:

■■ لكن قامات اليوم الثقافية تتضاءل كثيرا أمام الجيل الماضي؟!

هذا حق، كان هناك لفيف من الرواد والعظماء من قبيل: الرافعي والعقاد وشوقي وحافظ والبارودي وطه حسين والزيات والمازني وشكري، ولطفي السيد، وبسبب هامش الحرية الكبير المتاح لهم.. أصدروا مشاريعهم الفكرية والثقافية والأدبية الكبرى، وصارت آراؤهم متداولة ومنتشرة، وملأت كتاباتهم الصحف والمجلات عن كافة القضايا.. فأين نحن من هؤلاء ومما أعطي لهم من حرية؟!

نعم، حدث تغيير في المجتمع اليوم، التغيير الأول: أن عدد الذين تلقوا قسطا من التعليم حاليا أكثر مما كان في السابق، وعدد المتخرجين جامعيا أكثر، وكذلك أعداد الحاصلين على الدكتوراه. إذن فالوسط الثقافي الراهن ارتفع عما

حوار: صلاح حسن رشيد - مصر

كان عليه قبل ذلك. ومن هنا لا تبرز أية فروق جوهرية بين علمائنا حاليا، وما كان موجودا في السابق!

ناحية أخرى.. إن الحرية عظمت من قيمة وأداء هؤلاء الرواد، وأذاعت فكرهم هنا وهناك! أي أن القدر الذي تمتع به هؤلاء من الحرية للتعبير وإبداء الرأي أكثر بكثير جدا مما يتمتع به مفكرو هذا العصر، في كل مجالات الحياة.

■■ ما هو موقفكم من قصيدة النثر في ظل وجود تيار يُشايعها ويظاهرها؟!

■ اعتراضي عليها علمي.. فما هو معناها؟! خاصة أنها تحطم المصطلحات الأدبية فليست هي قصيدة، ولا هي نثر، هي شيء هجين، لا من هنا، ولا من هناك! وأرى أنها نثر فني، لا سيما أن هذا اللون شاع في تراثنا الأدبي، وكتبه عمالقة كالرافعي مثلا! هي شيء ضد الشعر وضد النثر!

◁◁ كيف نطبق الحداثة الغربية هنا؟

■■ وهل تتابع الكتابات النقدية الحديثة؟! كالبنيوية والتفكيكية، والتلقي والأسلوبية.. وهل ثمة اعتراض عليها؟!

■ أنا لا أعترض على أي لون من ألوان النقد الحديث، الذي يصدر في أوروبا ويطبق عندنا. لكن سؤال يحتاج لإجابة، وهو: متى نطبق ذلك؟ وأين.. وإلى أي جهة يصدر؟! بمعنى أن هذه التيارات لا بد أن تطبق في المكان الصحيح وعلى الشيء المناسب لها. وكمثال على ذلك، نقول: لنفرض أن شيئا صدر عن قواعد مأخوذة من اللغة الإنجليزية، ومن نفس صميمها وجوها الفكري.. إن ذلك، لا يمكن تطبيقه على القواعد العربية! وليس معنى ما تقدم أنني ضد الحداثة ومذاهبها، فأنا أوافق على أي جديد يطبق على الأدب الحديث أو القديم، لكن لا بد أولا من فهم المذهب الجديد فهما شاملا ودقيقا في لغته الأصلية، وكيف يستعمل هناك؟ وعندما يراد استيراده للأدب العربي.. علينا أن نحسن التطبيق. فأنا مع أي جديد ينير أدبنا، ويثري قضاياه وأغراضه ومضامينه، لكن العكس إذا كان هذا المذهب الأجنبي غير مفهوم من نقادنا، أو أن تطبيقهم خاطئ، فلا بد من الاعتراض على ذلك.

■■ وما رأيكم في ثلاثية الناقد الراحل عبدالعزيز حمودة التي عرَّت وهاجمت الحداثة؟!

■ شيء طيب، لكن اتهامه للحداثيين العرب بالنقل فيه عموم وشمول، لا أوافق عليه، لأن الاتهام نسبي وليس على إطلاقه! إلا أنني أتصور أن خطأ هذه التيارات يرجع إلى أن من يتصدى لها، يكتفي بقراءة مترجمات لها وعنها، ولا يراجع أصولها بنفس لغتها الأصلية، وهنا مكمن الخطر والصعوبة، وسوء الفهم، والقراءة غير الواعية![1]

■ هامش الحرية اليوم ضئيل جدا مقارنة بجيل الرواد.

■ لا أدعو لحداثة لم تقرأ الأصل.. واكتفت بالنقل والاستيراد!

■■ تعاني «العربية» من غربة حقيقية بين أهلها، وجحود ونكران من قبل البعض الذين يرمونها بأقذع الاتهامات.. فهل العيب في اللغة أم في القائمين على أمورها؟!.

■ العيب في المجتمع، وليس من المسؤولين.. فالكل اليوم يحتقر اللغة العربية.. من أعلى هرم السلطة حتى أصغر فرد في البيئة العربية! ولقد سمعت حكاية مفادها إن إحدى السيدات أرادت أن تقدم لابنها في إحدى المدارس الخاصة، ذات الرسوم الباهظة، وعندما قابلت مدير المدرسة، استعرض أمامها المواد الدراسية التي سيدرسها ابنها، ومن بينها اللغة العربية، فردت باشمئزاز : أنا أتيت به،

ودفعت له كل هذه المصاريف بالدولار ليدرس اللغة العربية..!

يا سيدي.. «العربية» يتيمة بين أهلها، الذين انعدم وعيهم الحضاري والسياسي لأهميتها، وباتوا يرطنون باللغات الأخرى، مهملين لغة القرآن، وأفضل لغة على ظهر الأرض! وعلى فكرة.. اللغة مثل «العَلَم».. وهل تقبل أن أي إنسان يدنس علم أي دولة عربية؟ بالقطع لا، لأنه رمز وشعار لها، كذلك اللغة العربية، رمزنا ومصدر هويتنا! ومما أستغرب له كثيرا، أن هناك قانونا مصريا بأن تكون المخاطبات بين الشركات بالعربية، والترجمة إلى الإنجليزية، لكن هذا لا يحدث، لأن المكاتبات تتم باللغات الأجنبية، فلماذا لا يتم تفعيل هذا القانون عربيا؟!

■■ بماذا تعلق على ما تردد في الصحافة العالمية من أن شارون رئيس الوزراء الصهيوني السابق انزعج نتيجة إهمال الشباب الصهيوني اللغة العبرية، واستخدامهم اللغة الإنجليزية على الإنترنت؟!

■ هناك وعي وإدراك لأهمية المحافظة على اللغة القومية، وهو وعي غير موجود لدى الساسة! وإذا كانت العربية هي سادس لغة في الأمم المتحدة.. فلماذا نهملها في محيطنا الداخلي.. ونتيه إعجابا باللغات الأخرى.. ونزدريها إلى هذه الدرجة؟! هناك آفة أصابتنا، وجعلتنا نتفرنج بصورة مرضية.

عبدالعزيز حمودة

مهام مجامع اللغة العربية

■■ لكن هل ترى دور المجامع اللغوية العربية، وعلى رأسها المجمع القاهري.. يصب في خانة الإيجاب أم السلب بالنسبة لهذه القضية المحورية؟!

■ المجمع القاهري، وكذلك المجامع الأخرى، نجحت في مهمتها، خاصة في وضع المصطلحات والألفاظ، وتيسير النحو والصيغ العربية. إلا أنني أرى أن العربية لن ترتقي طالما أننا ننظر إليها نظرة دونية، فقضية اللغة قضية عامة تستدعي جهود الجميع، وليس فصيلا واحدا.

■■ وهل ترى أن المشهد الشعري العربي المعاصر يسير بخطى متميزة؟

■ لا غبار عليه، لكن مساحة الحرية الممنوحة، هي التي تتيح تفجير الطاقات، ولو اتسعت رقعتها، لقرأنا أشعارا رائعة.

■■ للدكتور جابر عصفور مقولة «زمن الرواية» في مقابل «زمن الشعر» راهن من خلالها على ريادة الرواية الآن، وانزياح الشعر من عليائه، هل توافقونه على ذلك؟

■ أنا ضد كلامه، وضد من رد عليه، وهو الدكتور عبداللطيف عبدالحليم، لأن عصرنا هو عصر الشعر والرواية معا! والأدب حمال أوجه! ثم إن الدكتور عبدالقادر القط اعتبر «الدراما» المبثوثة في التلفاز هي ديوان العرب اليوم! ■

■ أخطأ من نادى بعصر الرواية؛ لأن عصرنا هو عصر الشعر والرواية!

■ جهود الدكتور الراحل عبدالعزيز حمودة في نقد الحداثة مشكورة، حيث قرأ الأصل.

(١) هذا ما اطلع عليه باقتدار في لغته الأصلية العلامة الراحل عبدالعزيز حمودة فأفاد كثيرا.

وجوه.. وجوه

نورة البقمي- السعودية

في هذه الحياة نحن في رحلة كما يقولون، ونمر بمحطات عدة فيها الخير والشر، وفيها الحسن والقبيح، والعظيم والحقير، ومن الظلم أن نبخسها حقها، ففيها من الحسنات الشيء الكثير.. نتعرف على أناس منهم من رفعته الألقاب، وبجلّته ووضعته على كرسي أكبر منه بكثير، ويسع معه اثنين أو ثلاثة.. بدا قزما على ذلك الكرسي، وإن أوهم الجميع بعظمته، وكبر قدره!!

ومنهم من رفعته أخلاقه عاليا، وأنزلته مؤهلاته، ولم يعد ذلك الكرسي الصغير بكفءٍ له، أراه قد حُشِر فيه حشرا، وضُيّق عليه لأنه لا يشبههم، ولا ينتمي لجلدتهم أيا كان لونها.

ومنهم البسيط الذي يتحدث في أمور المجتمع كما يراها هو من وجهة نظره الشخصية! بعيدا عن تعقيد اليائسين، وتبسيط المتفائلين، العجيب أنه ينهل من خبرة شخصية قد طحنتها الأيام طحنا، وعجنتها وصنعت منها خبزا لذيذ الطعم.. ومرّ الطعم في آن واحد! والأعجب أننا نوافقه الرأي، وإن كنا لا ننظر من زاوية نظره، ولا من محيطها!..

ومنهم الذي تراه مرة وتشعر أنك تعرفه منذ زمن، ويُطبع اسمه في ذاكرتك القريبة والبعيدة!! تشعر أن بينكما معرفة قديمة أبدية، تشعر أنه يشبهك تماما، بودك لو يطول اللقاء لتتجرع منه صفاء روحك.

ومنهم من تراه كل يوم، وفي كل مرة تطلب منه أن يذكرك باسمه الذي نسيته في زحمة أشغالك، وربما إهمالك!!

ومنهم من تجمعك به مقاعد الدراسة، وتتمنى لو أن الفصل يصبح دهرا لاستمتاعك بمحادثته وصحبته ولباقته.

ومنهم من تجتمع معه أيضا على مقاعد الدراسة، وتجر الكلمات جرا من جوفك عند الحديث معه في أي مناسبة.. لا ضير فالأرواح جنود مجندة..!

والطلبة الذين يتعلمون، فيهم الحريص، والمجتهد، والنابغة الذي يبحث عمَّن يضيء له سراج المجد، وينفض الغبار عن أفكاره، ومنهم من ينحدر في الضلال، والانحراف عن جهل أو عمد، وتحاول أن تعيده إلى جادة الصواب، فالمعلم إنسان ومؤمن ومربٍّ.. قبل أن يكون معلما، والتعليم هو تربية في المقام الأول.

لازلت أذكر كلمة إحدى الزميلات عندما قالت: وأنت ما علاقتك.. آنحرفت الطالبة أم كانت سوية؟! أنت معلمة.. اشرحي درسك وامشي!!، ينتهي عملك بانتهاء وقت محاضرتك!..

لازلت أؤمن أن مهنة المعلم تفوق كل المهن وإن حاولوا إقناعي بالعكس.

ولازلت أؤمن أن بداخل كل منا بذرة طيبة وإن أظهر خلاف ذلك.. تحتاج إلى من يزرعها في تربة الأمل، ويسقيها بالتفاؤل والثقة بالله، وسينعم بأحلى الثمار -إن شاء الله- وإن طال الزمان ■

من قضايا النقد العربي القديم:

الاستقالية والانفتاح

التأثر والتأثير ضرورة من ضرورات الحياة تنبثق عن سنة الاختلاف التي جبل عليها الإنسان. والحضارة الإسلامية في طريق توسعها تجاوبت مع مختلف الحضارات التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وحاولت اكتشاف ما تكتنزه من مؤهلات علمية يمكن أن تكون لها سندا لاستكمال مشروعها الناهض، غير أن بعض الباحثين ساروا في درب تهويل حجم التأثير اليوناني في الحضارة الإسلامية، وانتهوا إلى القول بتبعية الأدب العربي للمنطق الأرسطي والفلسفة اليونانية.

الطيب رحماني(*) - المغرب

ولعل هذه النتيجة قادهم إليها تصورهم الخاطئ لقانون التأثر والتأثير، فراحوا يبحثون عن أوجه التشابه بين الأدب العربي والأدب اليوناني ليحكموا بأخذ اللاحق عن السابق، وينتهوا إلى نتيجة حاسمة مفادها أن الأدب العربي أخذ كثيرا من أصوله عن الأدب اليوناني.

إن المدخل الصحيح لمعالجة قضية التأثر والتأثير هو تحديد المنابت الأولى للنقد العربي، واستكشاف المعطيات المتعلقة بالمراحل الأولى لنشأته، وغني عن الاستدلال أن النقد العربي نشأ في بيئة أصيلة تعتز بالبيان العربي، وفي مقدمته الشعر الذي مثل ديوان العرب، به يحتفلون، وإليه يفزعون، يؤكد هذا ما تواتر عنهم من روايات تجسد مظاهر الاهتمام بالشعر ونقده، كلما سنحت بذلك فرصة للتجالس بين الشعراء والنقاد.

إن هذا المدخل سيقودنا لا محالة إلى نتيجة إيجابية تقدر التأثير والتأثر قدره المناسب، وتحفظ للذات خصوصيتها وتميزها، وهي:

إن النقد العربي نشأ في كنف

(*) أستاذ اللغة العربية بالسلك الثانوي التأهيلي، حاصل على شهادة الماستر في الآداب تخصص النقد الأدبي العربي المناهج والمصطلحات، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة محمد الأول بوجدة- المغرب.

الشعر، وانبثق من مجمع الشعراء، أي إنه كان أصيل النشأة والمنبت.

إن تطوره واكب التحولات التي شهدتها الحياة العربية، وأبرزها مجيء الدين الجديد الذي أعاد صياغة الحياة بما في ذلك الشعر العربي.

إنه حافظ على أصالته رغم جميع التطورات التي تلاحقت بعد فترة الحكم الراشدي وأثرت بشكل كبير في الأدب العربي.

إنه تعزز بنشاط حركة التأليف، فظهرت فيه مؤلفات متخصصة تقعد للتجارب الأدبية من منطلق أصيل.

جميع هذه الملاحظات المسجلة على نشأة النقد العربي ومراحل تطوره تؤكد أنه استوى قائما دونما حاجة إلى دعم خارجي، وكيف تلجئه الحاجة وهو وليد بيئة ذات خصائص لغوية وحضارية قوية كانت تمده بمؤهلات الأخذ بمجامع الكلام وتفتيق الأحكام ودقة استصدارها، في إيجاز عجيب واقتصار على ما يحصل منه المطلوب.

وصحيح أن الحضارة الإسلامية في طريق توسعها واجهت ثقافات الأمم الأخرى، ولكنها استطاعت أن تتعامل معها من مركز قوة بفضل ما توافر لديها من مميزات أمدها بها الدين الجديد، وقد رأينا كيف هرع اللغويون والنحاة إلى تقعيد اللغة على إثر ظهور بوادر اللحن على ألسنة الناس.

لقد تحدث كثير من الباحثين عن ظهور مؤثرات أجنبية في الأدب العربي، ولكنهم اختلفوا في تحديد طبيعة التأثير ووجهته، والفترة التاريخية التي سجلت ظهوره...وهذا ما يدعو إلى المزيد من البحث بهدف تمحيص الرأي في هذه القضية التي حاول بعض المغرضين استغلالها لأهداف بعيدة عن طبيعة البحث الأدبي وحقيقته.

◁◁ بوادر الانفتاح العربي على المؤثرات الأجنبية:

اقتضى التوسع الجغرافي الذي شهدته الحضارة الإسلامية أن تدخل في حوار مفتوح مع مختلف المكونات الثقافية السائدة في تلك الفترة وفي مقدمتها التراث الفكري اليوناني، غير أن هذا الحوار كان منضبطا بعدة ضوابط أهمها الاعتزاز بممتلكات الذات وعلى رأسها القرآن الكريم والحديث الشريف اللذان شكلا دعامة قوية لانطلاق حركة الإبداع الأدبي ومدّها بألوان أدبية جديدة.

ويمكن الحديث عن بوابتين رئيستين ساهمتا في دخول المعطيات الأجنبية إلى الوسط العربي الإسلامي، وهما:

الشعوب غير العربية التي دخلت في حضن الإسلام، ونقلت معها شيئا من تراثها الفكري، ومارست نوعا من التأثير في الوسط الاجتماعي الإسلامي، وقد عُرفت هذه الفئة بالموالي.

العلماء المسلمون الذين حاولوا الاطلاع على تراث الأمم الأخرى، من خلال الترجمة، والقراءة، والشرح، والتلخيص... قصد الاستفادة والتوظيف فيما يخدم النهضة العلمية التي كانت تشهدها الحضارة الإسلامية.

وقد شكلت البوابة الثانية حلقة الوصل القوية بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى، ومن جملتها التراث اليوناني الذي كان قد استنفد قواه، وأبرز محتواه مجسدا فيما خلفه أصحابه من مؤلفات في مختلف التخصصات، ومن ضمنها الأدب الذي كتب فيه أرسطو كتابيه المشهورين «الخطابة» و«فن الشعر».

ونظرا لمكانة الكتابين لدى الباحثين في قضية التأثر والتأثير، نقف عند أهم ما ورد فيهما من أفكار يمكن أن تكون قد تسربت إلى الأدب العربي:

١ - كتاب فن الشعر:

أهم ما ورد فيه حديث أرسطو عن الشعر الملحمي، وأنه قائم على مفهومي المحاكاة والتطهير:

-**المحاكاة:** مصطلح مركزي حوْل مفهومِه يدور الكتاب، إذ «على أساس المحاكاة أفاض أرسطو في شرح النواحي الفنية للأجناس الشعرية، وقد ربط بين النواحي الفنية ورسالة الشعر الاجتماعية والخلقية، بل لم يُعنَ بدراسة النواحي الفنية إلا لأنها تشحذ إدراك النواحي الاجتماعية والخلقية التي يهدف إليها»[١].

إن المحاكاة بالنسبة لأرسطو هي أصل الفعل الإنساني، وبها يتميز الإنسان عن الحيوان إذ بها يدرك المعرفة، ويحس بالمتعة.

التطهير: إذا كانت المحاكاة متعلقة بالإنسان المبدع في محاولته تشخيص واقع مشحون بالآمال والآلام...فإن مفهوم التطهير يرتبط بالجمهور وعلاقته بشخصية البطل في «التراجيديا».. حيث يتأثر ذلك الجمهور ويتعاطف مع البطل ويحس بالشفقة والرحمة تجاهه.

ويعتبر أرسطو المأساةَ الخيط الرابط بين المحاكاة والتطهير، ونقطة التوتر التي تجمع شخصية المتلقي بشخصية المبدع، وتحقق الاندماج بينهما.فالمأساة أو «نظرية التراجيديا»[٢] هي موضوع كتاب الشعر، وإن كان أرسطو يتعمق في معالجة هذه النظرية من خلال عرضه لثلاثة أنواع أدبية هي: الملحمة والمأساة والملهاة، إلا أنه ربطها برباط وثيق مع الفعل الدرامي، ولعل هذا راجع إلى طبيعة البيئة التي كان يستقي منها أفكاره، وهي بيئة وثنية تقوم على تعدد الآلهة وتمجيد الأبطال، ومن ثم شكلت مجالا خصبا لنشاط الشعر الملحمي القائم على المقاطع، والمشاهد التي تصور الصراع الدرامي بين الأبطال.

٢) كتاب الخطابة:

يضم ثلاثة أجزاء ناقش خلالها أرسطو ما انتهى إليه خطباء اليونان. وقد وظف أرسطو المنطق في كتابه هذا، واستعان بعلم النفس مما جعل المباحث البلاغية فيه محكومة بطابع منطقي تقعيدي ينأى بها في أحايين كثيرة عن روح التجربة الإبداعية التي تميل إلى الذوق الفني غير المحكوم بقيود القواعد المجردة.

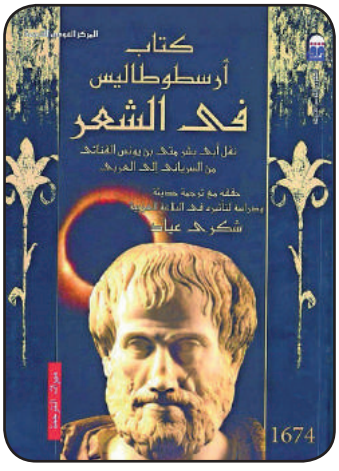

وعموما يمكن القول: إن كتاب «فن الشعر» كان أكثر عمقا من كتاب «الخطابة» نظرا لما تميز به من ملامسة دقيقة لفنون القول الشعري، بعيدا عن قيود المنطق التي حكمت كتاب «الخطابة».

لقد جسد أرسطو بهذين الكتابين أبرز نموذج وشاهد على ما حققه الفكر اليوناني من أبحاث رائدة في مجال النقد الأدبي جعلته ينتصب في طريق كل طالب حكمة، من هذا المنطلق كان من شبه المستحيل أن يضرب علماء المسلمين صفحا عن هذا التراث، وهم في طور نهضة شاملة تستدعي منهم النهل من شتى مشارب المعرفة.

وكانت الوسيلة المناسبة للاطلاع على التراث اليوناني هي الترجمة، وشكل السِّريان أعظم حركة للاتصال بين الثقافة الهيلينية والعالم الإسلامي[٣] حيث تزعم حنين بن إسحاق(ت: ٢٦٤هـ) مدرسة للمترجمين العرب والسريان، ولم يقتصر عمل هذه المدرسة على ترجمة الكتب الفكرية والأدبية، بل

تعدى ذلك إلى الاهتمام بمختلف العلوم من طب ورياضيات وفلك وتاريخ...

وكان من جملة ما ترجم في هذه الفترة كتابا «الخطابة» و«فن الشعر» لأرسطو، وليس ثم تحديد دقيق لتاريخ هذه الترجمة، غير أن الأول ترجم من قبل حنين بن إسحاق (ت: ٢٦٤هـ) والثاني ترجمه مَتَّى بن يونس (ت: ٣٢٨هـ) مما يدل على أن الترجمة كانت متأخرة نوعا ما عن مواكبة المراحل المتقدمة لنشأة النقد العربي، أضف إلى ذلك أنها كانت عاجزة عن تقديم أفكار واضحة للناقد العربي عن طبيعة التصور اليوناني للظواهر الأدبية، نظرا لما شابها من تجاوزات، فهي ترجمة كما يقول أمجد الطرابلسي- تعكس كل النقائص التي يمكن أن تعلق بعملية نقل يقوم بها شخص بعيد عن أن يكون متقنا للغة التي يصوغ بها ترجمته..»[٤]

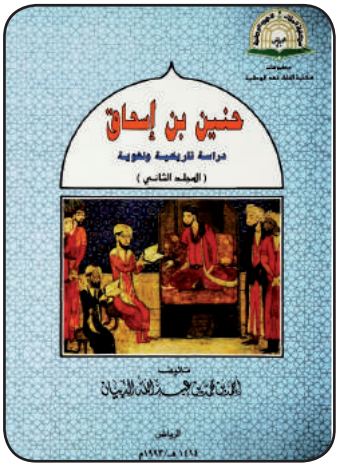

لقد وقع متى بن يونس في الخطأ وهو يترجم المصطلحات الخاصة بالمأساة والملهاة...«لقد ظن أن الفيلسوف اليوناني يتحدث عن الشعر بموضوعاته فترجم التراجيديا (المأساة) بمعنى صناعة المديح، والكوميديا (الملهاة) بمعنى صناعة الهجاء»[٥].

لقد كانت الترجمة السيئة عاملا مهما من العوامل التي حالت دون إدراك النقاد العرب للأفكار الواردة في كتاب الشعر، خصوصا وأن الأدب العربي لم يكن يعرف الأشكال الأدبية اليونانية.

ومهما يكن فإن الانفتاح العربي على التراث اليوناني كان انفتاحا محدودا بضوابط جعلت منه فعلا علميا إيجابيا يستفيد من المعطيات الأجنبية في حدود ما ينمي قدراته الإبداعية، ولئن كانت العلوم الأخرى (الطب والفلسفة والفيزياء والرياضيات...) قد حظيت بحيز وافر من الترجمة والتعريب، فإن حظ النقد لم يتجاوز حدود نتف قليلة مع ما شابها من اختلال، كما أن التفوق العربي الكبير في هذا الميدان حال دون تسرب مضامينها إلى المؤلفات العربية إلا في حدود ضعيفة.

مظاهر التأثير اليوناني في النقد العربي:

لا يكاد يختلف اثنان في أن الفلسفة اليونانية كانت سباقة إلى التسرب إلى الفكر العربي، ولعل ذلك راجع إلى طبيعتها التجريدية القائمة على طرح الإشكالات، وتوظيف الأسلوب الحجاجي لحلها ومعالجتها، وغير خاف ذلك الصراع الذي خاضته الفرق الإسلامية مع مختلف الطوائف الشاذة التي حاولت التشويش على العقيدة الإسلامية، وبما أنه «لم يكن للعرب عهد بأدوات الجدل الذي برع فيه أهل الملل والنحل القديمة... فقد استعانوا بالمنطق اليوناني»[٦] ومن هذا المنطلق كان للمتكلمين قدم السبق إلى توظيف المنطق لدعم أسلوبهم الحجاجي في مواجهة معارضيهم، وقد مثل المعتزلة هذا الدور أدق تمثيل لِمَا عُرفوا به من براعة في الحجاج، وتضلع من فنون البلاغة التي كانت تجري على ألسنة الأدباء، ومن ثم كانت أبحاثهم نواة لانطلاق حركة أدبية ونقدية جديدة تستفيد من الفلسفة والمنطق لصياغة قوالب، وسن حدود تحيط بالعملية الإبداعية، وتميل بها نحو التقعيد والتقنين، غير أنه ينبغي أن لا نبالغ في هذا الأمر مبالغة طه حسين

الذي ذهب إلى أنه: «وُجِد في ذلك الوقت بيانان أحدهما عربي محافظ لا يقرب الفلسفة اليونانية إلا في كثير من التحفظ والاحتراس، والآخر يوناني يجهر بالأخذ عن أرسطو»[٧].

ليس أحد بمقدوره أن ينفي الأثر اليوناني جملة وتفصيلا عن بيئة العرب المهتمين بالفلسفة في ذلك الوقت، كما أن لا أحد يسلم بمقولة وجود تيار يوناني خالص (رغم أنه عربي المنبت) على اعتبار أن المتأثرين أنفسهم كان لهم نصيب من التمسك بالأصول، لا يصدهم عنها صاد كائنا ما كان، وكيف يرغبون عن تلك الأصول التي نهضوا للدفاع عنها وحمايتها من أطماع الطامعين وكيد الكائدين من الشعوبيين وأصحاب الأهواء الضالة؟.

وإذا كانت الترجمة المبكرة قد أساءت تقريب الفهم لكتابي أرسطو، فإن تلاخيص الفلاسفة المسلمين حاولت تغطية النقص عن طريق صياغة الأفكار الواردة فيهما، وقد كان أقدم تلك التلاخيص تلخيص الفيلسوف يعقوب الكندي(ت ٢٥٢هـ)[٨] إلى جانب تلخيص ابن سينا وابن رشد المتأخرين.

ولا شك أن هذا الاحتكاك بالفكر اليوناني- مهما كان حجمه- قد نجح إلى حد ما في التأثير في الأدباء والنقاد العرب، حتى ظهر منهم من يتمثل بعض الأفكار الفلسفية وينادي بضرورة التجديد، ومن هؤلاء أبو تمام الشاعر الذي عاصر الكندي، والمتنبي الذي عاصر الفارابي، وهو القائل: «أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعر البحتري»[٩]

إن عرض كلام المتنبي هذا على أشعار الرجلين يوضح بجلاء مدى اهتمامها بفن الحكمة والتأملات الفلسفية المجردة، مقارنة مع شعر البحتري وغيره من المطبوعين الذين تميز شعرهم بالبساطة والعفوية.

أما فيما يتعلق بنقاد تلك المرحلة فنقتصر على نموذج واحد كثرت الأقاويل حول تأثره بالفكر اليوناني واختلفت الآراء وتعددت، ويتعلق الأمر بالكاتب البغدادي قدامة بن جعفر(ت: ٣٣٧هـ) صاحب «نقد الشعر»، وفيما يلي عرض لأهم الملاحظات المسجلة حوله من قبل الباحثين المحدثين:

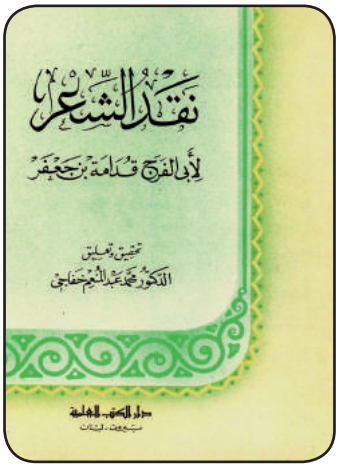

يقول بدوي طبانة: «في نقد الشعر نصوص تدل على وثيق صلة مؤلفه بالفكر اليوناني... وذلك ككلامه عن الحد والنوع والجنس والفصل والذات والعرض، وكلها مصطلحات منطقية مما وعى عن المعلم الأول»[١٠]. ويستشهد الباحث بحديث قدامة عن الطبيب اليوناني جالينوس وكتابه «أخلاق النفوس»[١١]

شكري عياد يعتبر صنيع قدامة في «نقد الشعر» نتيجة مباشرة لطبيعة المرحلة، ومحاولة جريئة لتوجيه النقد العربي وجهة جديدة للبحث عن القوانين العامة لا الاحتكام إلى الذوق[١٢].

وقريب من هذا ما ذهب إليه غازي يموت في: نظرية الشعر عند قدامة بن جعفر.[١٣]

واعتبر طه إبراهيم، قدامة أصدق مثال للذهنية التي تأخذ مطلقا بالثقافة اليونانية[١٤]، ووافقه إدريس الناقوري بقوله: «وما يدرينا أن قدامة كان

يفكر بدافع من طموح ذاتي في أن يصبح أرسطو الإسلام، وأن يسلك نهج المعلم الأول في التفكير والتأليف.»[١٥]

وعاب محمد مندور على قدامة إغراقه في الأخذ بالمنطق اليوناني، واعتبر ذلك خروجا عن تيار النقد العربي.[١٦]

أما أمجد الطرابلسي فقد تحفظ من المغالاة في القول بتأثر قدامة بالفكر اليوناني، لأن الرجل لم يكن على علم باللغات، واطلاعه كان بواسطة الترجمة، ولا غرو أن يكون شأنه في التأثر شأن نقاد مرحلته[١٧]، وقريب من هذا الرأي ما ذهب إليه عباس ارحيلة، فبعد أن استعرض آراء الباحثين عقب بالقول: «إن قدامة كان يعتبر المنطق آلة منهجية لا جنسية لها ولا حدود، فوظف تلك الآلة لخدمة تراثه»[١٨]. وانتهى الباحث إلى أن حضور الأثر الأرسطي في «نقد الشعر» كان باهتا[١٩].

من خلال هذه الآراء يبدو أن هناك شبه إجماع على تأثر قدامة بالفكر اليوناني، وأن البعض قد غالى في البحث عن الأثر اليوناني لدى قدامة، حتى راح ينسب كل لمحة تشم منها رائحة المنطق إلى الفكر اليوناني.

ولعل المتفحص لكتاب قدامة يدرك بجهد يسير أخذ الرجل بالمنطق اليوناني لكن في حدود ما كان يراه مناسبا لميدان النقد ومساعدا على سبر أغوار النصوص، بمعنى آخر: إن قدامة كان يبحث عن الوعاء المنهجي الذي يستوعب العملية النقدية، ويخرج بها من حيز الأحكام الانطباعية المباشرة، وقد وجد شيئا من هذا في المنطق اليوناني.

إن غياب مصطلحي المحاكاة والتطهير عن «نقد الشعر» يجعلنا نقلل من حدة القول بتأثر قدامة بالفكر اليوناني، على اعتبار أن هذين المصطلحين قد جسدا طبيعة الأدب اليوناني القائم على الفعل الدرامي والمشخص للعقيدة الوثنية.

◁◁ العوامل المساهمة في محدودية التأثير اليوناني:

إن المطالعة المتأنية لنصوص النقد العربي القديم تكشف بالملموس ضعف التأثير اليوناني، وقد رأينا كيف نشأ النقد العربي في بيئة عربية خالصة في كنف النصوص الأدبية التي مثلت قمة الأداء الفني في تاريخ الأدب العربي كله (أي نصوص الشعر الجاهلي)، ولعل هذا واحد من بين العوامل

التي كانت تقف في وجه التأثر بالوافد الأجنبي، إذ كيف يعقل أن يتنازل العرب عن مكانتهم – وهم قمة البلاغة والفصاحة- لصالح نزر قليل من الأفكار المنطقية والأشكال الأدبية.

لقد ووجهت أفكار أرسطو برفض شديد من قبل

الأدباء والنقاد المتشبعين بمطالعة النصوص العربية القديمة، فاعتبر البحتري الأخذ بالمنطق تكلفا يقيِّد الشعر ويحط من قدره، يقول في ذلك:[٢٠]

كلَّفْتمونَا حدودَ منطقِكمْ
والشِّعر يغني عن صدقه كذِبهْ
ولم يكن ذو القروح يلهج بالـ
منطق ما نوعه وما سببهْ
والشعر لَمْحٌ تكفي إشَارته
وليس بالهَذْر طُوِّلت خُطَبهْ

وعاب ابن قتيبة على بعض الأدباء إعراضهم عن القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي الخالص إلى منطق دخيل أجنبي «له ترجمة تروق بلا معنى، واسم يهول بلا جسم»[٢١].

أما الجاحظ فكان يستند إلى فكرة مفادها أن البديع مقصور على العرب، وقد خصهم الله تعالى به...وقد جسد الجاحظ بذلك رأس المدافعين عن الأدب العربي في وجه المتهجمين عليه من الشعوبيين الذين اعتبروا العرب دخلاء متطفلين على مسرح الحياة المدنية المتحضرة... ولعل هذا ما دفع ابن المعتز أيضا إلى تأليف كتاب البديع ليؤكد من خلاله تجذر فن البديع في النصوص العربية قديمها ومحدثها.

إن طبيعة الأدب العربي ذاتها كانت تحول دون رغبة النقاد العرب في الأخذ والتلقي عن أرسطو، فالشعر العربي غنائي يختلف عن الشعر اليوناني الذي شكل منطلق أرسطو وهو يخط أفكاره النظرية، وهو شعر ذو طبيعة درامية قائمة على التمثيل، كما أن بيئته التي ترعرع فيها بيئة وثنية قائمة على تعدد الآلهة وتمجيد الأبطال في مقابل البيئة الإسلامية المستندة إلى التوحيد وتشجيع العمل الجماعي بين أفراد الأمة... بمعنى آخر أفكار أرسطو لم تجد التربة المناسبة لنموها في البيئة الإسلامية.

هذا بالإضافة إلى عاملَي الترجمة والنقل اللذين سبق الحديث عنهما، وقد رأينا كيف ساهمت الترجمة السيئة في إعراض النقاد العرب عن مطالعة الآثار اليونانية التي ظلت غامضة وغير ميسرة للاستيعاب.

كل هذه العوامل وغيرها كانت تحول دون الالتفات القوي للنقاد العرب إلى الآثار اليونانية، فكيف يصح الحديث عن ظهور تيار يوناني خالص في ذلك الوقت؟ لا يكون الحديث إلا تجاوزا خطيرا هدفه التشويش على موكب النقد العربي، وهو في طريق نشأته قصد إلحاقه بالغرب في العصر الحديث.

ولا أحد ينكر اتصال العرب بغيرهم وأخذهم ببعض ما أنتجه، ما دامت الضرورة العلمية والتاريخية تفرض ذلك، غير أن هذا لا ينبغي أن يقود إلى القول بالتبعية المطلقة التي تلغي كل الإمكانات والخصوصيات الذاتية، وتنتهي إلى الانصهار والارتماء في أحضان وإمكانات وخصوصيات الآخرين، ولعل هذا ما أكده طه حسين حين قال: «أما نحن فقد تأثرنا من غير شك باليونان والرومان والهنود والفرس، ولكن من المستحيل أن يزعم زاعم أننا مقلدون وليس غيرا. فشخصية العرب ظهرت قوية في الشعر والنثر والعلم، لا يقال عنا: إننا مقلدون

أخذنا من غيرنا، ولكننا لم نكد نأخذ من غيرنا، حتى أسغنا ما أخذنا أولا وهضمناه ثم محوناه»[٢٢].

خاتمة:

نخلص مما سبق إلى ما يأتي:

تعد قضية «التأثر والتأثير» واحدة من جملة قضايا الأدب العربي القديم المثارة على منبر النقد العربي الحديث، وقد تعددت في معالجتها الآراء واختلفت في مقاربتها المواقف، وهذا دليل بيِّن على أن القضية ما زالت تحتاج إلى مجهودات جادة، وأبحاث صادقة تكشف عن حقيقة الاتصال العربي بالأمم الأخرى بهدف تحديد حجم التأثير الذي لحق الأدب العربي القديم.

ولعل المدخل الصحيح لتلك الأبحاث يكمن في تحديد طبيعة المؤهلات والإمكانات التي توافرت لدى الذات العربية الإسلامية، وهي تباشر عملية الاتصال بالأمم الأخرى.

فإذا تم تصحيح المدخل أمكن الوصول إلى نتائج صحيحة، ولا شك أن القول بتفوق المسلمين حضاريا في القرون الوسطى، مما يسجله التاريخ ومن ثم فاتصالهم بغيرهم كان بدافع محض الاستفادة والاطلاع، وليس للحاجة والتقليد.

كان التأثير اليوناني- وغيره- محدودا في الأدب العربي نظرا لعدة عوامل أبرزها المؤهلات البيانية العالية التي كان يتمتع بها الأدباء العرب، والتي مكنتهم من هضم المؤثرات المناسبة، وتجاوز المعطيات الخاصة بالأمم الأخرى■

الهوامش:

(١) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال،ص: ٦٣، دار العودة، بيروت ١٩٨٧.

(٢) الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين، عباس ارحيلة، ص: ٢١٣، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٩.

(٣) «الأثر الأرسطي» عباس ارحيلة، ص:٢٥٥.

(٤) نقد الشعر عند العرب، أمجد الطرابلسي، ص: ٧٨، دار توبقال الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٣م.

(٥) العمل الأدبي بين الذاتية والموضوعية، مصطفى علي عمر، ص: ١٧. دار المعارف، ط٣، ١٩٩٢م.

(٦) الأثر الأرسطي، عباس ارحيلة، ص: ٢٥٤.

(٧) البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر، تمهيد طه حسين «لنقد النثر» المنسوب إلى قدامة، ص: ١١، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(٨) البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص: ٧٥. دار المعارف، القاهرة.

(٩) العمل الأدبي بين الذاتية والموضوعية، مصطفى علي عمر،ص: ٢١.

(١٠) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، بدوي طبانة، ص: ١٥٠، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣.

(١١) المصدر نفسه، ص: ١٥٤، وانظر«نقد الشعر»لقدامة، ص٩٤.

(١٣) كتاب أرسطو طاليس في الشعر، ترجمة وتحقيق شكري عياد، ص: ٢٨٧، دار الكتب العلمية، القاهرة ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.

(١٣) نظرية الشعر عند قدامة بن جعفر، غازي يموت، ص: ٢٣، دار الفكر اللبناني، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٢م.

(١٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه إبراهيم ص: ١٠٩، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(١٥) المصطلح النقدي في نقد الشعر، إدريس الناقوري، ص: ٣١. المنشأة العامة للنشر والتوزيع، الجمهورية الليبية (طرابلس) ط٢، ١٣٩٤-١٩٨٤م.

(١٦) النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور،ص: ٧٢، دار نهضة مصر للطباعة والنشر(ب. ت).

(١٧) نقد الشعر عند العرب، أمجد الطرابلسي، ص: ٨٧.

(١٨) الأثر الأرسطي، عباس ارحيلة، ص: ٤٠٨.

(١٩) المصدر نفسه، ص: ٤٠٩.

(٢٠) ديوان البحتري، مجلد ١، ص: ٢٣٤. دار صادر- دار بيروت، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م،(ج١).

(٢١) أدب الكاتب، ابن قتيبة،ص: ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢ ١٤١٧-١٩٩٤م.

(٢٢) المجموعة الكاملة، مجلد٥ (الأدب والنقد) طه حسين. دار الكتاب اللبناني، بيروت (ب.ت).

لقاء بعد حين

خليل محمود الصمادي- فلسطين

في صيف عام ١٩٢٤خرج عبدالله المهرجي من مكة المكرمة باتجاه فلسطين ليتعلم التجارة مع أبيه وأهل ديرته، كانت الأحوال صعبة، والحياة شاقة، فلابد من خروج عبد الله للعمل والكد كي يساعد أباه وأمه وإخوته الصغار.

صحيح أن عبد الله لم يتجاوز البلوغ بعد؛ فوالده يقول: إن سنه تجاوز الحادية عشرة، بينما تقول أم عبد الله: إنه في موسم الحج القادم يكون قد بلغ العاشرة من عمره، فلذلك كانت غير راضية عن خروجه، وتقول: إنه صغير، ولم يحن وقت خروجه للكد والنصب؛ ولكن الوالد أقنعها بقوله: إن الرسول ﷺ تدرب على التجارة في مثل سنه، عندما خرج مع عمه في رحلة تجارية للشام.

أوصت أم عبد الله ابنها أن يكون حذرا في الطريق، فالبلاد تمر بصراعات بين الأشراف والملك الجديد الذي وقفت جيوشه على الحدود الشرقية من مكة المكرمة بانتظار الاقتحام.

سار عبد الله مع القافلة باتجاه القُريات حيث ستبيع هناك بعض التوابل التي اشترتها من الحجاج الهنود من مكة. وبالفعل باع الرجال ما تبقى من توابلهم بالقريات، ومن هناك حملوا أكياس الملح على ظهر الجمال التي ستتجه صباح الغد إلى شرق الأردن وفلسطين.

بعد عناء السفر ومشقته وصلت القافلة إلى القدس الشريف، وحطت في أسواقها، وبالذات في سوق الجمعة، وبدأ تجار الجملة يتفحصون ملح القريات الصخري، فمنهم من اشترى، ومنهم من عاين، ومنهم من أوصى القافلة بأنواع معينة للرحلة القادمة.

باع التجار ما حملته إبلهم قبل صلاة الجمعة، وبعدها توجهوا إلى المسجد الأقصى لأداء الصلاة.. وأي صلاة في مسجد تشد إليه الرحال!!

لم ينبهر أحد من القافلة بالمسجد الأقصى ومسجد الصخرة كانبهار عبد الله، فهم قد اعتادوا على رؤيته مرة أو مرتين في السنة، ولكنّ الفتى المكي سرعان ما أسمع من حوله عبارات: ما شاء الله! تبارك الله!.

انقضت صلاة الجمعة، وخرج الجميع من المسجد إلا عبد الله

فأحب أن يمتع عينيه بمناظر قد لا يراها ثانية، وبعد طول انتظار خرج من المسجد ليجد أباه ومن معهم من القافلة يصرخون: طوّلت ياولد!.

لم يدر عبد الله أن القافلة تتجه جنوبا باتجاه مدينة خليل الرحمن، ولكنه علم أنه سيصل غدا إلى سوق كبير، يجتمع به خلق عظيم، كما قال له أبوه. وبعد عدة أميال ناخت الإبل قرب بئر قديمة حولها آثار الغادين والرائحين، وبقايا أغصان أشجار محروقة بين أحجار غشاها السواد، فلولا ضوء القمر لما تبين الحجر الأسود من غسق الليل، وبعد البحث عن مكان مناسب، بركت الإبل حول البئر، وأخلد الرجال وعبد الله للنوم تحت ضوء القمر.

صحا عبد الله مبكرا قبل بزوغ الفجر، حدثته نفسه أن يذهب إلى المسجد الأقصى لصلاة الفجر وحده، ثم يعود قبل أن يشعر به أحد، فالرجال من التعب يغطون في نوم عميق. أعجبته الفكرة ولاسيما أنهم ما زالوا على بعد رمية حجر من القدس، وربما لا تتكرر الزيارة مرة أخرى!!

قبل شروق الشمس بقليل صحا الرجال متثاقلين كل يريد أن يلحق صلاة الفجر قبل الشروق، وبعد أداء الصلاة تفقد الوالد ابنه فظنه ما زال يقضي حاجته، انتظر قليلا ثم نادى بأعلى صوته: يا عبد الله!. لم يجب عبد الله؛ لأنه في الوقت نفسه كان يبكي ويقول: يا أبي.. أين أنت؟

بعد أن أدى الغلام صلاة الفجر، بدأ الصبح يتنفس، وعبق الياسمين يختلط مع هواء المدينة العليل، فلولا خوف عبد الله من أبيه ولومه القاسي لمكث هنا وقتا طويلا، لذا جد خطاه باتجاه مكان القافلة، وبعد أن أوشك البنيان على الاختفاء التفت خلفه ليمتع عينيه بالأقصى والقدس، وتابع مسيره حتى غاب عنه كل شيء.

احتار الغلام في أمره، فقد طالت المسافة، وقف هنيهة ينظر وراءه، وعن يمينه، وعن شماله، وتلفت مراراً، وصار يحدث نفسه: أيعقل أنني تهت عن الطريق؟ لا.. لا، هذا هو الطريق، ولكن يبدو أن القافلة غادرت المكان ظنا منهم أنني معهم، ولا بدّ من اللحاق بالركب!!

ظل عبد الله يسير، حتى انتصفت الشمس في كبد السماء، عندها وجد شجرة على قارعة الطريق فاستظل بفيئها، وراح يغط في نوم عميق، ولما صحا تابع مسيره علّه يرى المكان الذي تركه بالأمس ولكنه خاب!.

آه يا عبد الله!.. لقد تهت، وتاهت القافلة من بعدك، أنت تسير بالاتجاه الخاطئ، بل بالاتجاه المعاكس، لقد اتخذت طريق الشمال، وصحبك ساروا باتجاه الجنوب.

ضاع الغلام، وغابت شمس ذاك النهار، وعبد الله لا يدري ماذا يفعل، لقد تيقن أنه يمشي على غير هدى ولما حل الظلام أخذه التعب فنام على قارعة

الطريق. وفي الصباح تابع سيره حتى وصل إلى مدينة عامرة فسأل عنها، فقيل له: إنها طبرية.

مكث عبد الله في طبرية عدة أيام، فلم يطب له المقام فيها، فلا فرصة عمل هناك، ولا مال معه كي ينام في الخان ويقتات منه. لكنه سرعان ما تعرف على فلاح اتفق معه أن يرافقه إلى قرية «لوبية» كي يعمل عنده مقابل طعامه وشرابه ومبيته.

وهناك جد عبد الله واجتهد وعمل، وألِـفَ سكان القرية وألفوه، وأحبوه وأحبهم، وتنقل من فلاح لآخر حتى وفر بعض المال، وبنى بيتا صغيرا وتزوج وأنجب، ولكنه لم ينس مكة وبيت الله الحرام، لم ينس أهله، ولا شوارع مكة وأسواقها!. وكم حدثته نفسه لأداء فريضة الحج ولكن أنّى له ذلك، فلا جواز سفر عنده، ولا أي إثبات لشخصيته، ولا مال يغامر به في رحلة شاقة ومضنية.

في عام (١٩٤٨م) هاجر عبد الله «أبو نمر» وزوجته وثلاثة من أولاده إلى دمشق، وسجل اسمه مع قوائم اللاجئين، وتنقل من مسجد لآخر حتى حط به الرحال

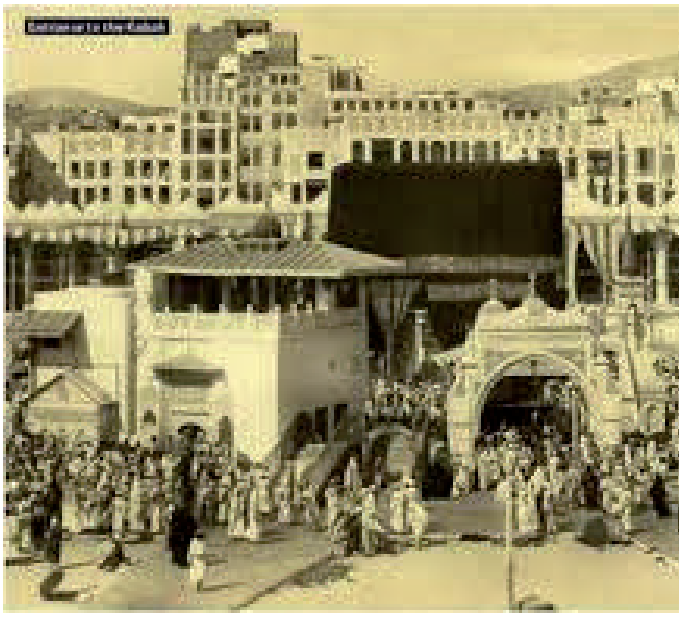

في مخيم اليرموك، وهناك افتتح محلا للحدادة في دكان متواضع مع أولاده الذين غدوا شبابا.

ومرت سنوات أخرى، وذات ظهيرة من عام (١٩٥٩م) كان يستمع لإذاعة مكة، حيث كان يطرب لسماع القرآن الكريم، وللبرامج الدينية وغيرها، وفجأة سمع صوت المذيع يقول: وصلتني رسالة من أم عبد الله تبحث عن ولدها عبد الله الذي خرج إلى القدس منذ ثلاثين عاما، ولم يعد. أرجو ممن يعلم عنه شيئا أن يخبرنا على عنوان البرنامج!.

لم يصدق عبد الله (أبو نمر) ما سمعه من المذياع، واجتمع مع أولاده وزوجته لتداول الأمر، واتفق الجميع على أن يذهب أبو نمر وزوجته لأداء فريضة الحج هذا العام، والبحث عن بيت أم عبد الله المهرجي هناك.

وبالفعل توجه أبو نمر وزوجته إلى الحج، وكانا يطوفان في شوارع مكة بعد طواف القدوم للسؤال عن بيت المهرجي، فدله الناس إلى عدة بيوت لآل المهرجي، فإذا كان أهل مكة أدرى بشعابها فلا شك أنهم أدرى بأسرها أيضاً!.

قال أحدهم: هناك بيت أبي خالد المهرجي، وهذا بيت أبي سالم المهرجي، أما ذاك فبيت أم عبد الله الذي ضاع ابنها بفلسطين!! وما كاد أبو نمر لم يسمع الجملة الأخيرة حتى تسارعت نبضات قلبه، وأخذته قشعريرة، فلم ينتظر لمعرفة بقية بيوت آل المهرجي، فقد وجد ضالته! وشكر الدليل ملتفتاً إلى الوراء، بينما كانت خطواته تتسارع إلى الإمام، حتى كاد يتعثر، وانطلق مسرعا تتبعه زوجته الحيرى، ووقف الرجل المكي مدهوشا من انفعال هذا الحاج الغريب، ولم يبرح مكانه، حتى طرق عبدالله باب المنزل طرقات متتالية مثيرة!!

جاء صوت من الداخل ينادي فزعا: من الطارق؟

فقال: أبو نمر بالباب، أليس هنا بيت أم عبد الله المهرجي!!

فصرخت الأم من الداخل: والله هذا صوت عبدالله..، وأقبلت تجري..! ■

رحلةُ الرُّوحِ

من وحي زيارتي لمدينة رسول الله (ﷺ)

د.إبراهيم أبو طالب(*)- اليمن

يا شَوقَ رُوحي إلَى لُقْيَاكَ يَا طهَ ... شَوقًا تَوَطَّنَ فِي رُوحِي وَأَحيَاهَا
شَوقِي إلَيكَ أَبَا الزَّهْرَاءِ يَغْمُرُني ... حُبًّا ونُـورًا وَآمَـالاً مَشِينَاهَا
شَوقِي إلَيكَ أَبَا الزَّهراءِ يَأْسِرُني ... لأَنَّك الرحمةُ الكُبرَى وَمَعنَاهَا
شَوقِي إلَيكَ رَسُولَ اللهِ مُتَّقِدٌ ... إلى منابعِ حُبٍّ طَابَ لُقْيَاهَا
شوقي إليكَ رسولَ اللهِ يَحْمِلُنِي ... روحًا تَسَامَتْ إلَى عَلْيَاكَ مَرْقَاهَا
شَوقِي إلى القبَّةِ الخَضْرَاءِ حينَ أَرَى ... بهَا حَبِيبي، وكَمْ أَشتَاقُ رُؤْيَاهَا
كَمْ شَتَّتَنَا دُرُوبٌ مَا لَهَا عَدَدٌ ... وَكُلُّ أَخطَائِنَا جَهلاً خَطَونَاهَا
يا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ لَنَا ... بِكَ انتسابًا وأرحَامًا وَصَلنَاهَا
هِيَ المودَّةُ فِي القُربَى مَنَاهِجُنَا ... حُبًّا إليكَ وإيمانًا نَهَجنَاهَا
لا نَفخَرُ اليَومَ بالأَنسَابِ دُونَ هُدَىً ... كَمَا أَمَرتَ- ولَكنَّا ادَّخَرنَاهَا
يا صَاحِبَ الحَوضِ والأَعنَاقُ مُشرَعَةٌ ... إلى يَمِينِكَ كَم تَشتَاقُ سُقيَاهَا
إنِّي قَصَدتُكَ مُشتَاقًا وَلِي ثِقَةٌ ... أَلا أُرَدَّ وَتُبشِرَى الرُّوحِ بُشرَاهَا
يا طَيبَةَ المصطفى يَا خَيرَ مَا طَلَعَتْ ... عَلَيهِ شَمسٌ وَهَذَا النُّورُ يَغْشَاهَا
النورُ فيكِ أَتَى مِن نُورِ خَالِقِنَا ... فأشرقتْ أنفسٌ والدِّينُ نَقَّاهَا
مَا بَينَ مِنبَرِهِ وَالبَيتِ رَوضَتُهُ ... أَنعِمْ بها رَوضةً بالطِّيبِ زكَّاها
وَرَكعَتَانِ كَمَا صَلَّى الرَّسولُ بها ... إنَّ الرسولَ هُنَا للهِ صَلاها
يَا دَارَ هِجرَتِهِ والنَّصرُ فِيكِ غَدَا ... لِلعَالمِينَ فتوحًا عَمَّ مَسعَاهَا
فَعَادَ صَوتُ نِدَاءِ الحَقِّ أَفئِدَةً ... تَهْفُو إليكَ وأَصوَاتًا سَمِعنَاهَا
يَا طَيبَةَ المُصطَفَى يَا رَوضَةً عَبِقَتْ ... بِروحِ سَاكِنِهَا، واللهِ حَيَّاهَا
فِيكِ البقيعُ وفيكِ جُلُّ سِيرَتِهِ ... قَدْ عَطَّرَ الكونَ بالإيمَانِ رَيَّاهَا
نَصَرتِ آزَرتِ رُوحَ المصطفى ومَضَتْ ... إلى رِحَابِكِ وارتَاحَتْ بِمَأوَاهَا
وفُزتِ بالمصطفى كَنزًا جُعِلْتُ فِدَىً ... لِتربةِ لرسولِ اللهِ مَثوَاهَا
يَا صَاحِبَ الخُلُقِ الأَعلَى وَأُسوَتَنَا ... يا حكمةً بُعِثَتْ من رُوحِ مَولاهَا
دِينِي يَئِنُّ وَقَومِي فِي جَهَالَتِهِم ... والسُّنَّةُ الحُجَّةُ البَيضَا تَرَكنَاهَا
قَدْ مَزَّقَتنَا صِرَاعَاتٌ مُفَرِّقَةٌ ... الحقدُ أَشعَلَهَا وَالجَهلُ أَذكَاهَا
إنِّي لأَبرَأُ ممن يَستَبِيحُ دَمًا ... باسم المذاهبِ إنِّي أُشهِدُ اللهَ
هَذا اعتِقَادِي وَأَرجُو اللهَ مَغفِرَةً ... وأَسأَلُ اللهَ تثبيتًا لِمَنْ تَاهَا

(*)أستاذ الأدب والنقد في جامعة الملك خالد بأبها- السعودية

المُلا فتح الله الحلبي ثم المدني
الشهير بالنحاس

د.زينب صبري بيره جكلي- سورية

عاش فتح الله بن عبد الله النحاس في القرن الحادي عشر الهجري (ت: ١٠٥٢هـ - ١٦٤٢م)، في عصر كانت فيه بلاد الشام تنضوي تحت لواء الدولة العثمانية، وتضم بين جنباتها شعوبا عديدة، وهذا التمازج بين شعوبها أدى إلى التأثر والتاثير في العادات والتقاليد واللغة والأفكار.

وكانت الدولة قد عنيت بفقراء الحرمين الشريفين، ولاسيما بالمجاورين منهم حتى غص بهم الحرمان، وكانت تعنى بتأمين طرق الحجيج من غارات البدو. وقد أثنى ابن النحاس على أمير الحج محمد بن فروخ الذي قضى على غارات البدو وأمن الطريق لهم فقال يمدحه في قصيدته الحائية الشهيرة التي عارضها كثير من الشعراء ومطلعها:

بات ساجي الطرفِ والشوقُ يُلحّ
والدجى إن يمضِ جنحٌ يأتِ جنح

ولد فتح الله في أرض حلب الشهباء، ونما وترعرع بين جنباتها الغناء، وكانت يومذاك موئلاً للعلم والعلماء، ثم هجر حلب إلى دمشق وهناك توطدت عرى الصداقة بينه وبين الأمير منجك، ولأمر ما، ولعله الرغبة في الاستزادة من العلم آثر الشاعر أن يرحل إلى مصر، وهناك التقى بأساتذة الأزهر الأجلاء فأخذ من علومهم، وحسنت سيرة الرجل، ولكن الضيق المادي جعله يسأم القرار في أرض الكنانة، بعدما شكا كثيراً وصرح بحاجته على نحو قوله لأحد القضاة:

خُذْ بيدي ذاك بيننا نسبُ
الفضلُ والاغترابُ والأدبُ
آه، ومن للغريبِ في بلدٍ
إن سَغَبٌ مسَّه وإن لَغَبُ[1]

ثم توجه تلقاء أرض الحرمين الشريفين ليحضر مجالس علومها في المدينة المنورة، وكان الولاة يبنون المدارس ويوقفون لها الأوقاف ويقدمون إعانات مادية لطلاب العلم،وكان في المدينة المنورة ثمانون مكتبة... ويلتقي في طيبة بشيخ الحرم النبوي فيغدق هذا عليه من عطاياه، وينقذه من لأواء حياته، فيثني عليه بقوله:

جودُ (شمس الدين) شيخ الحرم المولى (عتاقي)
كلَّ يوم نحن منه في اصطباحٍ واغتباقِ[٢]
ورياضٍ أجلستْنا من شذاها في رُواق
واجتماعٍ ربَّ لا روّعت منه بالفراق[٣]

ثم صار يلقي فيها دروسه، وعرف بعلمه الواسع حتى دعي بالمولى، ولعل إقامته الطويلة في المدينة المنورة جعلته ينسب إليها حتى قيل في ترجمته: «مولانا المرحوم المُلا فتح الله الحلبي ثم المدني الشهير بالنحاس. قدِم المدينة حائزاً من المجد تليده وطريفه، وأقام بها سنين ناشراً لمطاوي العلوم إلى أن أدركه الحِمام»[٤] في ١٠٥٢هـ، ودفن في بقيع الغرقد بعد أن خلف لنا ديواناً يعكس لوناً من ألوان الحياة الذاتية والعامة آنذاك وكتاباً يدعى التفتيش على خيالات درويش، رد فيه على أبيات نظمها معاصره الشاعر مصطفى قاسم الطرابلسي الذي عرف بالدرويش، ورسائل نثرية جرى فيها على أسلوب العصر في إنشائه.

موضوعاته الشعرية

نرى الروح الدينية في شعر ابن النحاس في مناجاته لبارئه ليعينه على لأواء حياته، وكذلك في المديح النبوي، وفي الثناء على العلماء والزهاد ممن عاشرهم، وأحس معهم بالاطمئنان القلبي والتسليم للقضاء والقدر، فهو يشكر مولاه سبحانه على نعمائه ليزداد من رحمته، ويستديم فضله وفي ذلك يقول:

وابقِ واستبقِ نعمةَ اللهِ بالشكـ
ـرِ تزِدْها، فقد يُزادُ الشكور[٥]

كما ظهرت الروح الدينية في مدحتين نبويتين له، إحداهما عينية نظمها إثر حادثة نزلت به في ليلة عيد الفطر السعيد، ومطلعها:

يا مَنْ لمَنْ يدعوه سامعْ
وإليه منه الأمرُ راجعْ
يا ربِّ عبدك أوترا
بك في وسيعِ العفوِ ضائعْ
أنا عبدُك الشيخُ المسيـ
ـءُ، لباب فضلك جئتُ قارع[٦]

وقد انتقل بعد هذه المقدمة إلى مديح الرسول ﷺ، ومطلع الثانية، وهي أشبه بالبديعيات:

تذكّر السفحَ فانهلتْ سوافحه
وليس يخفاكَ ماتُخفي جوانحهُ[٧]

وفيها يقول:

يهوى النجاةَ ولم يُسْلف له عملاً
يُسِرّ يوم يُسرُّ المرءَ صالحهُ
يا ويله يومَ يأتي للحسابِ غداً
إنْ لم يكنْ بك مولاهُ يسامحهُ

وتنتهي المدحة بالصلاة على الرسول ﷺ على عادة مُدّاح العصر.

أما مدائحه فكان معظمها في العلماء والصحاب، وهناك مدائح رسمية في المسؤولين من غير السلاطين والوزراء كما في مديحه لأمير الحج محمد بن فروخ التي يقول فيها.

بطلٌ لو شاءَ تمزيقَ الدجى
لأتاه من عمودِ الصبح رمحُ
بأبي أفدي أميري إنه
صادق القول جريء القلب سمحُ[٨]

ثم يروح الشاعر بعد ذلك يعبر عن مآسي الغربة، فهي كسكين جزار يقتل الأحرار، ولكن ممدوحه يستطيع أن ينقذه منها، يقول في ذلك:

آهِ من جورِ النوى لا سُقِيَتْ
تقتلُ الحرَّ، وما للحرِّ جنحُ
حسَّنوا القولَ وقالوا غربةٌ
إنما الغربةُ للأحرارِ ذبحُ

وكانت مدائح الشاعر الرسمية تنم عن ذاتية الشاعر وآلامه في حياته، كما تعبر عن الأوضاع الاجتماعية في عصره، فهو يسعى إلى أن يعيش قرير العين هانيها، كما يسعى إلى أن يستتب الأمن في البلاد، وهي أيضاً تشير إلى الصفات التي كان يعجب بها أبناء الشعب ويَرْجونها من ممدوحيهم، ويرونها ممثلة فيهم، كالجود والمجد، والنسب والمروءة، والحفاظ على الدين وعلى الأمن، والبطش بالعدو. وبإيجاز أن يحوز الممدوح على الفضائل التي يبتغيها منه الممدوح بوصفه عضواً هاماً في المجتمع.

أما مدائحه غير الرسمية فتنم عن حبه لصحابه ووفائه لهم، كما في مديحه لابن منجك، وهو يمزج المديح بالشكوى والآلام، يقول لممدوحه هذا في مطلع رمزي يقصده به:

مالكتي تملّكي
النفسُ لن تَمَلَّكِ
وهْيَ لكِ أطوعُ من
رعيَّةٍ لَمَلِكِ
إن تأمريْ تُطِعْ وإن
تدعُ لها تُلَبِّكِ[٩]

ثم ينتقل إلى وصف الربيع، فصل الحركة والحيوية والنشاط ولهذا تأثيره النفسي على شاعر فقد ماله، وجدبت معيشته كشتاء قاحل، ثم كان الربيع، وعليه أن يسعى وينهض من كبوته ورقاده:

هذا الربيعُ مقبلٌ
يصحَبُ (آل بَرْمك)
يرنو بلحظٍ عاشقٍ
بمَدْمَعِ الطَّلِّ بكي
في روضةٍ كأنها
وصفُ الأميرِ مَنْجَك

وتعد هذه المدحة من أجود المدائح في ذلك العصر إذ يجمع شتاتها وحدة عضوية فما الغزل ووصف الطبيعة إلا تعبير عن الحالة الشعورية له تجاه صديقه المنكوب.

أما غزله فيشير إلى أهمية المرأة عنده، وموقفه منها، وسواء أكانت المرأة رمزاً أم كانت حقيقية فإن معانيها قد ملكت عليه لبه، وغدت وسيلته التعبيرية،

ولعل انغماسه في اللهو في أوائل حياته قد ترك بصمته على شعره. وله غزل تقليدي في مطالع قصائده على عادة العصر يذكر فيه صفات تقليدية للمرأة مادية ومعنوية عرفتها العصور الأدبية.

وله شعر ندد فيه بسلوكيات للمرأة كاستنكاره كشف حجابها إذ قال:

كانَ غزالاً فشوَّهوه
حتى غدا طُعْمةَ الذئابِ
حجبْتُ طرفي ومِلْتُ عنه
مذ صارَ وجها بلا حجابِ[10]

وللشاعر حكم وآراء وشكاوى تتناثر في شعره وقد استقاها من البيئة المحيطة به، ومن تجاربه في الحياة فجاءت واقعية ابتغى من ورائها التنفيس عن مكنونات نفسه، أو نفع العباد بها، فهو يدعو إلى العمل لتأمين لقمة العيش:

وانهضْ لكسبِ جديدِ عُمرٍ
من بكورك مستفادْ
ما راجَ من طلب المعيـ
شةَ بين إخوانِ الكسادْ[11]

ويشتكي من الغربة ويقول:

أنا الغريبُ الذي إن ماتَ في بلدٍ
لم يرثه غيرُ جاري دمعِه أحدُ
علاقةٌ لي بالشهباءِ ما ذُكِرَتْ
إلا استفاضَتْ دماً
من مُقْلتي الكبدُ[12]

وهو في شكاواه يشبه المتنبي إذ يجمع بين الشكوى والفخر، يقول:

فارقبْ خُفوقي إن سكنْـ
تُ، فعاصفي يُرجى مهبُّهْ
لا ينظرُ الحُسّادُ حالي
إنما المنظورُ غِبُّهْ
أوَ ما دَرَوْا أن الحسا
مَ يُفَلُّ ثم يُحَدُّ غَرْبُهْ[13]

والشاعر يوجه نقده في معرض فخره بشعره إلى المدوحين الذين لا يتذوقون الآداب العربية، فيستوي لديهم غث الشعر وسمينه، ولعله يعرّض بذلك بالأعاجم منهم، الذين يعجبون بالفن المصنوع، ولا يفهمون قصائده ولا يدركون جمالها، فتشح أيديهم عن إعطائه ما يستحقه، يقول في سخرية وغضب:

هان مَنْ أمّ بالمديح أناساً
يستوي الشعرُ عندهم والشعيرُ
هِمَمٌ رثَّةٌ وألسنةٌ غُلْفٌ
وأيدٍ كأنهن صخورُ[14]

أما وصفه فقد امتزج بأحاسيسه، وكان يرسم به مشاهد لما يراه أو يصور ما يعاني منه، فتبدو لوحاته واقعية نابضة بالحياة والحركة، توحي بما كان عليه الناس في أوضاعهم الاجتماعية في إيجابياتها وسلبياتها.

ومن تصويره المادي للطبيعة الفاتنة في الربيع، لوحته التي يرسمه فيها وقد نثر أزاهره بعد أن أغدق عليه الغمام خيراته، واخضرت أشجاره واكتست الروابي بثياب فضفاضة امتد ذيلها إلى الأودية، وفاحت روائحها العطرة كأنها تنبعث من الجنان، وكان الزيزفون ينثر زهره فتبدو وريقاته كأجنحة الجراد، وقد بدت الورود كفتيات اصطبغت أناملهن بالحناء، وتضرجت خدودهن بالدماء، وكن يتكئن على أسرة من زبرجد، يقول الشاعر واصفاً ذلك كله:

نثرَ الربيعُ ذخائرَ النُّوّارِ من جَيبِ الغوادي
وكسا الربا حُلَلاً فواضلُها تُجَرُّ على الوهادِ
وكأنَّ أنفاسَ الجنان تنفَّسَتْ عنها البوادي
والزيزفونُ يفُتُّ غاليةً مُضَمَّخَةً بجادي[15]

يلقي بها للروض في وَرَقٍ كأجنحةِ الجراد
والوردُ مخضوبُ البنان مُضَرَّجُ الوجناتِ فادِ
نصبَتْ له سررُ الزُّبُرْجُدِ والخيام بكل نادِ[١٦]

وله وصف لمستجدات الحضارة في عصره.

ورثاء الشاعر تقليدي، بكاء وتأبين ودعاء.. كما أنه لم يكثر من الهجاء لمعين بل كان يربأ بنفسه عنه ويقول:

هبيني امرأً يرضى المثالبَ خُطَّةً
بأيِّ لسانٍ يابنةَ القومِ أثلُبُ
ما لي لسانٌ غيرَ ما بمدايحِ الـ
أجلِّ ابنِ شاهينَ يلذُّ ويَعْذُبُ[١٧]

وهو يعتذر لمن أساء إليهم ويستعطفهم، ويبين لهم أن للمودة حقوقاً.

أساليب التعبير الفنية عند الشاعر:

الشاعر يربط بين أجزاء قصيدته برابط نفسي يجمع شتاتها، فيكون كالروح يسري في بدنها وإن تعددت موضوعاتها، وقد حقق ابن النحاس هذه الوحدة النفسية في كثير من قصائده كما في عينيته النبوية، وحائيته في ابن فروخ وتائيته في نجم الدين الحلفاوي، وكافيته في ابن منجك، وكذلك داليته فيه.

وامتاز أسلوبه بالعذوبة، والجزالة، والسهولة والطلاوة. وكان لا يجنح إلى التكلف، وإنما يرسل نفسه على سجيتها، أو ينتقي الألفاظ المناسبة فيؤديها في تراكيب منسجمة متوائمة تعبر عن مكنونات نفسه بطواعية لا تكلف فيها، ولهذا كان أسلوبه عذباً حلواً، وسهلاً رهواً، وهو ينتقي من القوافي ماينم عن حالته، ففي تضرعاته لربه يأتي بالعين رويا فيقول:

أنا عبدُك الشيخُ المسيْءُ لبابِ عفوك جئْتُ قارعْ
فارحمْ تعثُّرَ دمعِ عصياني إذا جرَتِ المدامع[١٨]

أما في غضبته فإن ألفاظه تتغير تماماً، ويتغير رويه أيضاً، فيصير الباء القوية المنتهية بهاء السكت الدالة على قوة الانفعال واللهاث والتعب الشديد، في بحر عروضي قوي هو مجزوء البحر الكامل كقوله:

طمِّنْ فؤادَك أيُّ حُرٍّ لم يُرَعْ بالخطبِ قلبُهْ
أنا لا أبالي إن رُميْتُ وسبَّ عِرضي من يسبُّه
هم يعرفون بأن نجميْ تحرقُ الطاغين شهبُه
إن مجَّني قومي فإن الموتَ ليس يسوغُ شِرْبهُ
ذهب الذين يعيشُ مثلي بينهم ويموتُ كَرْبُه[١٩]

ولو رحنا نقارن بين المناجاة الإلهية، والغضبة الثورية لرأينا البون شاسعاً، فهناك الرقة والتذلل، وهنا الخطب والسبّ والكرب، فكأن ألفاظه نفثات قلب كليم يتقطر ألماً ويقطر دماً، وهو في كلتا الحالتين يعبر عن شاعرية أصيلة لا تكلف فيها أبداً.

وهناك وسائل تعبيرية أخرى لجأ إليها الشاعر للتعبير عن فكرته أو رأيه، كعرضه للمفارقات أو

استعانته بالأمثال والحِكم، وبالتصوير الفني. ولابن النحاس آراء نقدية حول الشكل والمضمون، فهما مقترنان ولا جمال إلا بتحقيقهما، ويجب على الشاعر أن ينأى عن قبيح الكلام:

إن خيرَ الكلامِ ما كانَ جزلاً
وأفادَ النفوسَ ما يعنيها
ولقَدْرُ الفتى مع الناسِ موقو
فٌ على قدرِ قَوْلَةٍ يُبْدِيْها[٢٠]

ومن الملاحظ إكثار الشاعر من الأبحر ذات الإيقاع الطرب، ومن المجزوءات لأنها تناسب حالاته الانفعالية ومزاجه المتقلب، فحينما يعاتب الأحبة ينظم على البحر المتقارب ذي التفعيلات المتقلبة المناسبة لانفعاله فيقول:

تفقَّدْ مُحِبّاً ولو بالسؤالِ
فإنّ التذكرَ بعضُ النَّوالِ
فلي حرمةُ الجارِ جارِ الكرام
وما أنا في الودِّ رثُّ الحبالِ[٢١]

كما أنه يعتمد على مكونات صوتية متعددة ليحقق النغم العذب، كالتصريع والتكرار وتقسيمات التفويف كما في:

مَنْ معيني؟ دهري اللئيمُ؟ أم الحظُّ
المنايفي؟ أم الحبيبُ النفورُ؟
كيف أرجو الخلاصَ بين ثلاثٍ
ويدُ الكُلِّ في قفايَ تجورُ؟[٢٢]

أما تصويره الفني فكان وسيلة لرسم حالته النفسية كما في قوله:

فارقبْ خفوقي إن سكنْتُ فعاصفي يُرجى مهبُّهْ
لا ينظرُ الحسادُ حالي إنما المنظورُ غبُّهْ
أوَ ما درَوْا أن الحسامَ يُفَلُّ ثم يحدُّ غربُهْ
والبدرُ يخفقُ في المطالعِ بعدما أخفاه غربهْ
والروضُ يذبلُ ثم يكسى النورَ والأوراقَ قُضبُهْ
لا يخدعنْك بسلمِه فوراءَ سلمِ الدهرِ حربُهْ[٢٣]

إن هذه الصور المتعددة التي عرضها الشاعر في تشبيه ضمني، والتي قد تبدو كأنْ لا رابط بينها ليجمعها في مخيلة الشاعر خيط مادي وآخر نفسي، فمن عالم السماء استمد الشاعر صور الرياح والبدر، ومن عالم الأرض قبس صور الحساد مرضى القلوب، والأمراض الفتاكة والأسلحة القاتلة والرياض الوادعة. وهناك الزمن وحربه. وهذه الصور بمفارقاتها تكشف عن حالته الشعورية، فهو إنسان رضي النفس، ولكنه لا يتحمل الضيم، لأن مجده يأباه وحسبه..

وتشابيهه معبرة ومؤثرة فالشيب كخيوط العنكبوت الواهنة أو كقطن مندوف:

وكأنما نسجَتْ برأسي عنكبوتُ الشيب ركنا
وكأنّ سُنْدسَ عارضي ندفَ المشيبُ عليه قُطْنا[٢٤]

أو هو في قصيدة أخرى حربة تطعن كما يطعنه حظه المنكوب:

ومن الشيب حرابٌ
ومن الحظِّ حروب[٢٥]

وهي صور توحي بكثرة الشيب وبالحالة النفسية التي كان عليها الشاعر إثر إحساسه بكبر سنه وضياع جماله الذي كان يفخر به.

وهذا تشبيه جامع يرسم به حاله حينما تعرضت للإهانة على الرغم من عظمته، فهو كالسيف تارة، والعين أخرى، و القبر ثالثة و... وقد جاء لكل مشبه به بما يناسبه من صفات، فالسيف يرمى بالفلول إذا لم يتمكن صاحبه من قطع الصخر الأصم، وليس العيب كامناً فيه، والعين يؤثر فيها الذباب، ولا ضير عليها، فالأسد يعجز عن دفعه، والذهب يمتزج بتراب القبر، ولكنه يبقى عسجداً، وهذه الصفات كلها جاءت على سبيل الترشيح، يقول في ذلك:

أنا لا أبالي إن رُمِيْتُ وسبَّ عِرضي من يسبُّهْ
السيفُ يرمى بالفلولِ إذا فشا في الضَّربِ صلدُهْ

والعينُ يدميها الذبابُ وتعجزُ الآساد ذبه
والقبرُ يعلوه الترابُ ولا يضرُّ التبرَ تربُه[٢٦]

والدهر إنسان يخاصم الشاعر ليأخذ منه شبابه وأمواله في صورة استعارة تشخيصية مكنية يقول فيها:

والدهرُ نازعني رداءَ شبيبتي
وانتاشَ مني طارفي وتلادي[٢٧]

وهكذا تعاونت الكلمة المؤثرة بأسلوب مطبوع سهلٍ لاتعمُّل فيه مع الصورة والموسيقا للتعبير عن مكنونات الشاعر وآلامه في حياته■

الهوامش:

(١) ديوان فتح الله بن النحاس /١١١.
(٢) العقود /٢٦.
(٣)الاصطباح: الغداء، والغبوق: العشاء؛ وأصلهما في الشرب ثم استعملا في الأكل، لسان العرب ٩/٤.
(٤) الديوان/١٦٦، وديوانه المطبوع مع ديوان علي بن مقرِّب /٨١٨.
(٥) ترجمة الشاعر في: خلاصة الأثر ٢٥٧/٣، الأعلام للزركلي ١٣٥/٥.
(٦) الديوان /١٥٢، والعقود /٤٦.
(٧) الديوان/٩٤.
(٨) القصيدة في الديوان /٩٢، وفي العقود الدرية /٤-٥.
(٩) الديوان / ١١١
(١٠) الديوان/١٩٩، العقود ٧٩-٨٢.
(١١) الديوان /١٨٧، والعقود /٧٢.
(١٢) الديوان /١٠٩، والعقود /١٧ والنفحة ١٣/٢٠.
(١٣) الديوان/١٥٩، والعقود /٥١.
(١٤) الديوان/١٥٨، والنفحة ٥٢٠/٢.
(١٥) الديوان/١٥٣، والعقود /٤٦-٤٧.
(١٦) الجادي: الزعفران.
(١٧) في رواية الديوان المطبوع مع ديوان ابن مقرب: بكل واد.
(١٨) الديوان/١٢٦، والعقود /٣٠.
(١٩) الديوان/٩٤، والعقود /٥.
(٢٠) الديوان/١٥٦، والعقود /٤٩-٥٠.
(٢١) الديوان/١٩٥، والعقود /٧٧.
(٢٢) الديوان/١٤٥، والعقود /٤١.
(٢٣) الديوان/١٥٣، والعقود /٤٧.
(٢٤) الديوان/١٥٦ والنفحة ٥٢٠/٢ .
(٢٥) الديوان /١١٦، والعقود /٢٢.
(٢٦) الديوان/١٠٠، والعقود /١٠.
(٢٧) الديوان/١٥٦، والعقود /٤٩.
(٢٨) الديوان/١٠٦، والعقود /١٤، وانتاش: تناول، لسان العرب ٤٧٦/٦.

من ضِياءِ الضاد

جودت علي أبو بكر - سورية

مِنْ ضِياءِ الضادِ شِعري نهلا
فلسانُ الخُلْدِ كالشمسِ علا

كلُّ مَنْ عادى لساني خاسِرٌ
ومع الخسران دوماً مَنْ قَلى

هُوَ في القرآن يسمو طاهراً
قُدِّسَ الحرفُ، ونوراً أُنْزِلا

ولساني من لسان المصطفى
وإلى الناس جميعاً أُرْسِلا

أقبل الصبحُ وحيّا قائلاً
إن حرفَ النورِ مثلي أقبلا

إن حرفَ النورِ دوماً ساطعٌ
ومع الشمسِ إليكم وصلا

وعلى القلب حروفي سَطَرتْ
إن في القرآنِ دوماً موئلا

لغة الخلدِ خلودٌ في العلا
يستقي النور ومنها كُلِّلا

في عقوقِ الأهلِ جُرحي نازفٌ
ربما الجرَّاحُ فينا قَتَلا

من ضِياءِ الضادِ حُبِّي هاطلٌ
ومع الأحلامِ دوماً هطلا

قبائل النسرين!! هامش على قرطاس المتنبي

فهد أبو حميد - السعودية

قال أبو الطيب المتنبي:

يقولون لي ما أنت في كل بلدةٍ ... وما تبتغي ؟ ما أبتغي جل أن يسمى

***

ماذا ترين إذا فتحت كتابا ... لليل يبذل دفتيه إهابا
بالرمز يبتدئ النثيث وينتهي ... بنبوءةٍ يجلو بها الأحقابا
أترين إرث الغيم قرب جنازةٍ ... مسح الجلال بعطرها أثوابا
(فتناسل النسرين)!! كل قبيلةٍ ... أنثى تشقُّ لوترها محرابا
أترين وجهي بعد ألف حكاية ... عهنا وعنعنة الرُّواة ثقابا
فلشهرزاد الآن (ثورة لحدها) ... ولها الشواطئ نورسا وعبابا
ولشهريار زوارق القلق التي ... مخرت وراء الأمنيات سرابا
يا أيها القرطاس دونك عثرتي ... هات الظلال ولامس الأوصابا
هب لي ثرى الأرياف..أنت بحفنة ... قروية تستنفر الأعصابا
فتجيئك القسمات خلف زحامها ... رجل تلثم بالشؤون فشابا
فإذا(بقافيتي حياء صبية) ... ترخي على(شهد الظنون)نقابا
يا أيها القرطاس إن سأل المدى ... عن معشر عبروا الدهور إيابا
فأنا (وأرملة الحروف) عشيرة ... زحفت إلى فردوسها أحزابا
بتنا على شظف المداد..رضيعنا ... سهر..وكان رمادنا عرابا
لكأننا الفلوات فوق شفاهها ... نفث العرار ليلهم الأعرابا
وأنا وأغلال الرحيل تجرني ... صوب العيون توارب الأبوابا
ذعري من النظرات(ذعر قصيدة) ... لقيت على مهج القلوب حجابا
أحبو إلى ضيق السؤال كأنني ... قبل الحمام أناكف الأهدابا
ما أنت !! و انكفأت سلال قريحتي ... عبثا وعدن إلى الشعور عقابا
(ما أنت)أضيق من غموض حقائبي ... وأمر من سعة الخريف جوابا
(ما أنت)تسرق للزجاج ملامحي ... عطشا وتحشر في الكؤوس يبابا
ما تبتغي!! وقبضت أول جمرة ... نسجت على بشريتي جلبابا
(ما تبتغي) يداح تحت ردائها ... أرقي وتلتحف الدواة عتابا
ما تبتغي !! و وثبت (فوق رياحها) ... (قلقا) يسيل على الخيول شبابا
ففضحت (ألغاز الحياة) بجثة ... طفحت على زبد الرثاء عذابا
أصغي إلى ضحك الحتوف ومهرتي ... تعدو وتوغل في القبور غيابا
وهناك من أقصى العزاء يؤزني ... كفني لأنهض للخصوم خطابا
لم تقتلوني !!! فالضريح قصيدة ... نزحت بأنفاس الغريب ذهابا
لم تعرفوني إذ وضعت عمامتي ... ففرشتها جهة الخلود رحابا

من تراث النقد الإسلامي:

الشعر حسنه وقبيحه(*)

الإمام القرطبي

قال الإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي:

ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولي النهى، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر، أو تمثل به أو سمعه فرضيه ما كان حكمة أو مباحا، ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى، فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله.

وأما الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم، فهو المتكلم بالباطل حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة، وأشحهم على حاتم، وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي، وأن يفرطوا في القول بما لم يفعله المرء؛ رغبة في تسلية النفس وتحسين القول.

اتخذ الشعر طريقا للتكسب، فيفرط في المدح إذا أعطي، وفي الهجو والذم إذا منع، فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم . ولا خلاف في أن من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام، وكل ما يقوله من ذلك حرام عليه، ولا يحل الإصغاء إليه، بل يجب الإنكار عليه، فإن لم يمكن ذلك لمن خاف من لسانه قطعا، تعين عليه أن يداريه بما استطاع، ويدافعه بما أمكن، ولا يحل له أن يعطي شيئا ابتداء، لأن ذلك عون على المعصية، فإن لم يجد من ذلك بداً أعطاه بنية وقاية العرض■

(*) تفسير القرطبي المعروف بالجامع لأحكام القرآن: ١٣/١٤٧-١٥٠، تأليف الإمام محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي، أبو عبدالله، شمس الدين (ت:٦٧١هـ)، طبعة دار الفكر، دمشق، سورية.

http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=2582&idto=2582&bk_no=48&ID=2022

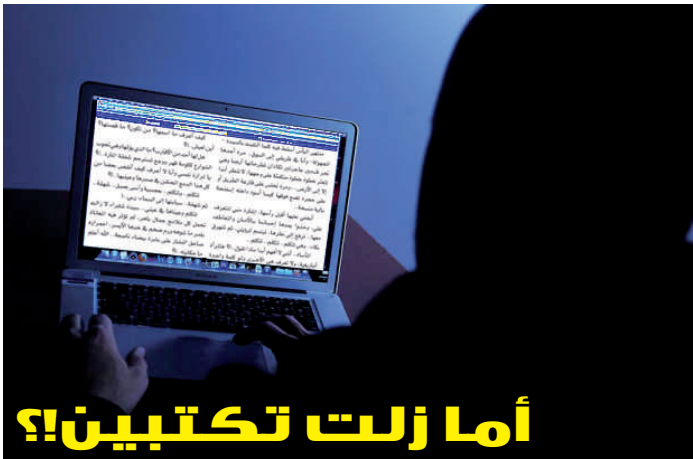

أما زلت تكتبين؟!

صورية مروشي- الجزائر

في غرفتي الصغيرة المنعزلة عن باقي الغرف، جلست أمام الحاسوب أكتب كعادتي بعيدا عن أعين المتطفلين من الضيوف وعن فوضى الحياة اليومية لأهل بيتي. وبينما أنا كذلك إذا بأخي الذي يصغرني بعدة سنوات يقف عند رأسي، يقرأ بعض الفقرات، ثم ينفجر ضاحكا . قال ساخرا:

– أما زلت تكتبين؟!... في عصر الفضاء والإنترنت!؟ في الوقت الذي يتهافت فيه الناس على اقتناء آخر طراز للسيارات، وبناء أفخم الفيلات، والتردد على العواصم العالمية للاستمتاع بأحسن الفسحات؟... في الوقت الذي اكتسحت المادة كل العقول تشغلين عقلك ووقتك بهذه التفاهات؟!

ثم نظر إلي في إشفاق كمن آلمه حالي وأنا أهدر وقتي فيما لا جدوى منه، وسأل متحسرا:

– كم جنيت مما كتبت؟

قلت في هدوء:

– المسألة ليست مسألة مال.

قال باستخفاف:

– مسألة ماذا إذن؟!

وانصرف غير منتظر الجواب، تاركا سؤاله معلقا في الهواء، وفي أذني، يطرق ذهني في إلحاح:

– « لماذا أكتب؟ ولمن؟ أتهون علي زهرة عمري أقضيها بين الأوراق وأمام الحاسوب؟»

وأوشكت أن أتهاوى تحت تأثير كلمات أخي التي هزتني، وفتحت سلسلة من التساؤلات في ذهني ، لكنني فجأة سألت نفسي:

– «هل أستطيع التوقف عن الكتابة؟»

فجاء الجواب فورا:

– «بالطبع لا! وهل لحياتي طعم إذا لم أقرأ ولم أكتب؟»

وألححت في السؤال:

– «وماذا تمنحني الكتابة كي أحرص عليها كل هذا الحرص؟»

فجاء الجواب صادقا:

– « تكفيني السعادة الغامرة التي أشعر بها وأنا أخلو مع قلمي وأوراقي وأفكاري بعيدا عن الخلق أجمعين، تكفي المتعة التي تمنحها لي ساعات الجلوس الطويل أمام الحاسوب والتي لا تضاهيها متعة أخرى في الوجود».

المسألة ليست مسألة مال وربح مادي، أو شهرة وذيوع صيت، هي أعمق من ذلك بكثير... هي شيء روحي مقدس يربط المبدع بالمادة التي يبدع فيها برباط لا تقدر قوة في الوجود أن تبعده عنها غير قوة الموت وحدها، وهو لا يستبدل بها كنوز الدنيا وإن عاش فقيرا معدِما، ولم يجن مما أبدعه درهما ولا دينارا.

وهمست بيقين:

– «ما دمت أكتب فأنا أحيا ، فالكتابة عندي – كما القراءة – تعني الحياة، وما سواهما الموت حتما!»

استعدت ثقتي بنفسي فتمتمت أجيب عن السؤال المعلق وأنا أواصل الكتابة:

– «ما زلت أكتب، وسأظل أكتب إلى أن تتوقف أنفاسي ويطويني التراب!!»■

الغرقد..!

وليد سميح العوضي- مصر

«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الحَجَرُ وِالشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِيٌّ فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلا الغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ».

(حديث شريف)

نعم..

أعلم أني قد خنت أبناء جنسي..

أعلم أني قد أصبحت منبوذة مبعدة مفردة كناقة جرباء..

أعلم أني لما أنظر حولي لا أجد إلا نظرات الحقد والكراهية والبغض.. وأحياناً أجد نظرات الشفقة الزجاجية الباردة..

وأحياناً أقلَّ أجد في غيوم النظرات شيئاً دفيناً كالرثاء أو الحنان سرعان ما يزول كسحاب خجل من بهاء الشمس..

أعلم كل ذلك، ولكني لا أستطيع فكاكاً مما أنا فيه.. كما فعل الشيطان الرجيم حين تورط في مستنقع مخالفة الرب..

كيهوذا صاحب العينين الخاطئتين في أساطير النصارى الذي خان المسيح عليه السلام..

أعلم كل ذلك، ولكني رضيت منذ زمن طويل ببكاء صامت لا يغني عني شيئاً، ولكنه يفعل فيّ فعل المسكِّن في الألم الذي يعود قوياً بعد زوال مفعوله، وكذلك أحس فيه ببعض الطهر حين أرى هذه الدمعات.. هذه القطرات الحمراء.. تتحدر مني، وأرى تعجب الناس من حولي وهم ينظرون، ويتعجبون، ويتساءلون:

هل يبكي الشجر..؟!

مع كل قطرة.. مع كل دمعة، كنت أتذكر.. تتوالى ذكرياتي قطرات، وأعود لأسأل نفسي ذلك السؤال المقيت الذي ذقت ألمه حين كان أليماً، ثم ذقت مرارته، ثم ذقت طعم الندم فيه، ثم اعتدت هذا المذاق الأليم المر النادم والسؤال يتكرر تلقائياً في أغوار نفسي كشريط معطوب..

لماذا فعلت ما فعلت..؟

اعذروا لي أشجاني وخواطري وكلامي المبعثر..

سأحدثكم من البداية..

أنا شجرة..!

ولكني لست كأية شجرة..

يقولون: إن بعض الشجر يعيش مئات السنين، وربما الآلاف..، ويقولون: إنه يُعرف عمره من طبقات لحائه، ويقولون.. ويقولون.. لكنهم

أغفلوا معارف مهمة جداً لم يبحث عنها أحد..

هل الأشجار تشعر.. هل تفكر.. هل تسجد.. هل تعبد..؟!

وهل لها لغة تتواصل بها مع غيرها من المخلوقات..؟!

في أذهانكم أيها البشر أن الشجر لا يفعل معظم هذه الأشياء.. تظنون أنكم أنتم فقط الموهوبون المتميزون الذين رزقهم الله وسخر لهم كل النعم، وغفلتم عن بقية المخلوقات فلم تتفكروا فيها، وغفلتم كعادتكم مرة أخرى عن شكر هذه النعم التي تتوالى ليل نهار، بل غفلتم عن تسبيح الله، وأعرضتم كما فعلت أنا، وخنتم ميثاق العبودية والطاعة.. تماماً كما فعلت أنا..

آه..

لو أستطيع أن أطلق هذه الزفرة الحارة الملتهبة التي تملأ صدري لتذيب صمتي، وتفك قيدي! لو استطعت لكنت من أسعد الأشجار في الكون..

ها أنا ذي تأخذني الخواطر مرة أخرى دون أن أحدثكم بالقصة من البداية..

نعم..

لقد كنت هناك..

كنت وسط هؤلاء القوم الذين علموا علماً يقينياً ما هو الحق، ومع ذلك ما أضمروا إلا العداوة..

أبصروا طريق الهدى، ثم عن عمد خالفوه، وعن يقين تركوه..

كنت مع قوم يهود..!

وكنت في مَدينة النخل التي نُوِّرتْ بمقدم النبي المختار، وقد ظل هذا الاختيار محل غيظ وحقد وألم عند القوم، فلا جرم أن نذروا أنفسهم لعداوته الدائمة إلى أبد الآباد مع معرفتهم به كمعرفتهم أبناءهم..

كنت بينهم أنعم بصلات كثيرة مع أبناء جنسي من أنواع الأشجار المختلفة، ومع النباتات والحشائش وأتفاهم معهم بلغتنا..

ولكثرة مكوثي بين اليهود، ولشدة تأثري بهم بدأت في مخالفة قانون العبودية، وخنت مبدأ المخلوقات العام:

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾.

ورغم أنه حليم غفور يحلم عن المسيئين، ويمهلهم المرة تلو المرة، غفور دائم الغفران؛ فقد علمت أن طريقي سيظل غير منتظم في هذا القانون الأعظم لأني قد فتحت الباب الذي لن يستطيع أحد - إذا فتحه - أن يغلقه، ولن يستطيع أن يعود دون أن يلجه..

واتبعت طريق هؤلاء القوم الذين سبقوني في الولوج.. وعلمت منذ تلك الساعة أني مقضيٌّ عليّ بالبعد والمخالفة..

لقد عشت مع يهود فترة طويلة، منذ أحقاب لا أذكرها إلى أن نزل النبي بمدينة النخل وحتى الآن.. سمِّها ذاكرة جمعية للأشجار.. أو أن الأفكار والذكريات تنتقل عبر كل شجرة.. أو أني ظللت حية نامية حتى نقلت ووصلت إلى هنا..

لا أدري..

كل ما أدريه الآن أنهم يغرسون أشجاري في كل هذه الأنحاء المباركة.. في هذه الوديان الأسيرة المكبلة.. وديان فلسطين.. نعم فلسطين فلقد كففت منذ زمن عن تسمية الأشياء بغير أسمائها..

والعجب من هذا الجاحد الذي يعلم صدق خصمه وكذبه هو، ويعمل بنصح هذا الخصم الصادق.. وكأن هذا الصادق يقول لخصمه: لا تضربني بهذا السلاح فإنه لا يجدي نفعاً، واستخدم ذلك السلاح الآخر لأنه أنفع..!

(إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)

وليس هذا عن غفلة وجهل - معاذ الله - وإنما ليعلم صاحب الحق أي خصم هو خصمه، وليظهر كذب الخصم وجحوده.

ولقد خُدعت فترة من الزمان..

وظننت أن الحق مع هؤلاء فتبعتهم وآزرتهم فيما هم فيه، وأعجبني فيهم إصرارهم وثباتهم على مبادئهم..

وأرى ذكريات قديمة كخيالات مشوشة عن حالهم مع موسى عليه السلام..

وأرى خروجهم من مدينة النخل..

وأرى تفرقهم وشتاتهم وضعفهم..

ثم أرى نصرهم على المسلمين، وعلى العرب الذين رسموا دائرة الإسلام في الخارج، وتفننوا في نقض دوائره الصغيرة في الداخل دائرةً دائرة..

ويوشك ذلك أن يأتي على الدائرة الكبيرة..

ولكني سرعان ما أدركت أي مخطئٍ، وأي غرٍّ مغبونٍ كنته.

إن لديهم إصراراً وثباتاً عجيباً.. ولكنه فيما خططوا له من الباطل ومن المصائب والكوارث..

إنهم أساتذة وعباقرة.. ولكن في الخبث والدهاء وإفساد العالم..

إنهم للأسف..

عرفوا من أين تؤكل الكتف.. فأكلوا كتف العالم، فأصبح العالم يتكئ عليهم يدري بذلك أو لا يدري..

أقول: ظللت معهم طويلاً وبعدت عن معاني التسبيح والعبودية والسجود..

أيُّ ألم كان يعتريني حين أرى باقي الأشجار تسجد لله - ولكلٍّ سجوده - ويسبحونه، وأنا مازلت أتجرع ألم صمتي وبعدي وتفردي وعجزي..

هل سمعت عن الشجرة التي علّمتْ بني آدم دعاءً للسجود..

حدثني بعض الشجر خلسة بلغتنا التي لا يفهمها البشر أن شجرة كانت تصلي وتسجد، لكن رجلاً لم يدرك سجودها إلا وهو نائم فسمعها تقول في سجودها: «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْ مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَ مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ».

فأخذه هذا الرجل من أصحاب نبي الإسلام الذي علمتُ بعد ذلك أنه نبي العالمين، وحدثه به فحدث به أصحابه، وصاروا يدعون به في سجودهم.

والسجود في ذاته فعل عجيب لا يمكن وصفه..

أنتم لا ترون سجود الشجر، ولا تحسونه ولا تفهمونه، وأكثركم يسجد بلا فهم، ولا خشوع، ولا حمد..

والسجود يستأهل حمداً لذاته.. ألم تسمعوا أنتم عن بشري مثلكم يبكي لأنه لا يستطيع أن ينزل بجبهته إلى الأرض..!؟

لا يستطيع أن يحس تلك المتعة في هذه الهيئة (التسليمية) المتقنة..

ألم تسمعوا أيضاً عن ذلك البشري غير المسلم الذي أجرى البحوث على هيئة السجود، وأثبت أنها الهيئة الوحيدة التي يسترخي فيها الجسد ويكون في أفضل حالاته..؟

ما هذا..؟

هل ألومكم وأنا مثلكم..!؟

أتهكم وأسخر وأنا أحق بالتهكم والسخرية..

ولكن عذراً.. فأنا اليوم لا أخفي عنكم ما أنا فيه من ضنك وكرب، وقد مللت صمتي وكرهته، وأردت اليوم أن أبوح بوحاً سمه إذا شئت بوحاً صامتاً..!

لكنه رغم كل شيء بوح صادق.. رغم ما فيه من إثم.. وألم..

لم أحدثكم عن أحلامي بعد..

أحلام بعيدة في الزمان والمكان، وأحلام قريبة..

أحلام عن أحداث وقعت، وأحلام عن أحداث لم تقع..

كنت أحلم دوماً في المنام واليقظة حتى اختلط الأمر وبت لا أفرق بين الحلم والحقيقة، ولو كان الشجر يجن لعدوني شجرة مجنونة، ولكن قُضي أن البشر أعقد عقولاً ونفوساً فهم أقرب للجنون منا..

كنت أحلم دوماً بذلك الجيش الذي يأتي ليجوب هذه البلاد، ولمجرد مقدمه تسعد الكائنات، وتنطلق الألسنة، وينفك أسر القلوب..

جيش لا يرهبه مرهب، ولا يخيفه سلاح..

رجال طوال أو قصار.. كثيرون أو قليلون..

جيش يذكرني بهؤلاء الأوائل الذين طردوا قومي..

الواحد منهم - ولو بدون عدة - كالجيش الصغير..

قوي.. صلب.. مقدام..

يسري هذا الجيش بين الوديان والجبال والبيوت والشوارع، ويقاتل قومي، ويثأر لكل القتلى والأسرى والجرحى والأرامل والفتيات الباكيات عرضهن..

وتنطق كل الجمادات من حولي بالتسبيح أو الدعاء أو .. بالتحذير:

هذا يهودي خلفي..

هذا يهودي خلفي..

وأحاول أنا في هذه اللحظات العجيبة الشفافة الصادقة التي أظن أني ألامس فيها حقيقة الكون..

وسر الميلاد والموت..

ومغزى التسليم للإله..

أحاول في هذه اللحظات التي تتطاير فيها الأشلاء، ويرتفع اللغط، وتعلو الصيحات..

أحاول ولو مرة واحدة أن أكون مثل هذه الجمادات الأخرى، ولو كان في ذلك أن أتبرأ من قومي، وأرى وأشعر في بقية الأشجار البغض والكره والغيظ لي ولكل شجرة سادرة في (غرقديتها)..

أحاول ولو لبرهة.. ولو للحظة.. ولو للمحة.. أن أنسى ما أنا فيه من الصمت..

وأحاول.. وأحاول..

ولكني لا أفلح.. وأنا أعلم أني لن أفلح.. أمل يبرق في النفس وهي تعلم أنه سراب ولكن هذه الجمرة تظل تبرق ولو خادعة، فتبعث الحياة في الجسد رغم أنها قد تكون حياة (لا حياة!)..

ولا أفلح في أن أنطق فأتجرع مرارة الصمت كما تجرعتها دوماً..

ولا أجد إلا هذه القطرات..

هذه الدمعات الخرساء التي أفرغها..

مع حزني..

وألمي..

وندمي..■

يحتوي النقد العربي القديم مواقف تتبنى على حس قرائي متفتح، يتجاوز القراءات الجامدة والمتعصبة، ويرتقي إلى مستوى من الوعي كبير وعميق إلى حد بعيد، يمنح النص فرصة إيجاد التأثير أو الأثر ويناقشه ويستقبله دونما ضيق أو تضييق، في مقابل الأطراف الأخرى التي دأبت على سوء تلقي فن القول.

ويعتبر ابن المقفع من بين الأسماء المضيئة، في التراث النقدي العربي؛ التي تفصح عن آفاق انتظار رحبة وواسعة وعميقة في تلقيها للنصوص الفكرية والإبداعية، أغنت ساحة البحث، ووطدت دعائم فن الإنصاف والنقد في تعاملها مع الأدب آنذاك، وقدمت معها آراء ومواقف مهمة وواعدة وثرية، وهو ما سنعمل على البحث فيه من خلال مساءلة فعل القراءة عنده.

مفهوم القراءة والقارئ عند ابن المقفع

د. سعيد أصيل(*) - المغرب

القراءة والقراء عند ابن المقفع:

يجدر بنا أن نشير، منذ البداية، إلى أننا لا ندعي وجود نظرية للتلقي في النقد العربي القديم، كما هو متعارف عليها اليوم بمصطلحاتها ومفاهيمها ومناهجها وبنائها النظري ونسقها العلمي، ولكن حسبنا أن نبحث في ثنايا تراثنا عن وجود تصور، أو تصورات معينة، تتناول آراء ومبادئ تهم القارئ وطريقة القراءة أو التلقي الذي يمارسه هذا القارئ أو ذاك المتلقي كما ينظر إليه مفكرون ونقاد خلفوا لنا مواقف مهمة وتصورات عميقة- في كثير من الأحيان- تمس هذا الجانب، مخبوءة بين طيات الكتب، أو مستمدة من آراء بعضهم تصريحا أو تلميحا.

ابن المقفع والمتلقي:

سنحاول في البدء الوقوف عند علم بارز من أعلام الفكر العربي الإسلامي، وهو ابن المقفع الذي ترك مؤلفات عديدة وثرية ومشاغبة أحيانا، ولكن حسبنا تتبع بعض ما ورد حول القضية التي نعالجها.

يقدم ابن المقفع في مقدمة «كليلة ودمنة» نظرات مهمة وعميقة حول نوع القارئ الذي يتوجه إليه خلال

كتابه – بل أغلب كتبه – محددا تقسيمه للقراء إلى ثلاثة، يقول متحدثا عن كتاب «كليلة ودمنة»: «وأما هو فجمع حكمة ولهوا، فاختاره الحكماء لحكمته، والسفهاء للهوه، والمتعلم من الأحداث ناشط في حفظ ما صار إليه في صدره ولا يدري ما هو، بل عرف أنه قد ظفر من ذلك بكتاب مرقوم، وكان كالرجل لما استكمل الرجولية وجد أبويه قد كنزا له كنوزا، وعقدا له عقودا استغنى بها عن الكدح فيما يعمله من أمر معيشته، فأغناه ما أشرف عليه من الحكمة عن الحاجة إلى غيرها من وجوه الأدب»[١]

هكذا يقسم ابن المقفع القراء أو متلقي الكتاب إلى ثلاثة أصناف:

◁◁القراء الحكماء:

وهم الذين يصلون خلال قراءاتهم إلى جوهر المقروء والغرض الذي من أجله كتب ودُوِّن، ومن ثم يدركون حكمته، ويعون أهميته وفضله، ولن يتم لهم ذلك إلا بالجهد والمشقة، وإعمال الرأي بعد الرأي، وتمحيص الفكرة بعد الفكرة، وعدم التسليم بكل ما يقرأ ليصل إلى فهم المقروء فهما جيدا حسنا، ومن ثم يرتقي إلى درجة التأويل العلمي الرصين ليحصل له، وفي الأخير، معرفة هدف صاحب الكتاب وجوهر غايته، وإلا لم ينتفع به، وإنما أقصى ما قام هو أنه أتعب نفسه دونما هدف أو نتيجة، يقول ابن المقفع: «وينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وضعت له وإلى أية غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه إلى البهائم، وأضافه إلى غير مفصح، وغير ذلك من الأوضاع التي جعلها مثالا، فإن قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني، ولا أي ثمرة يجتني منها، ولا أي نتيجة تحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا الكتاب»[٢]..

إن القارئ الحكيم، عند ابن المقفع، قارئ متميز يحسن الانطلاق من المقدمات وفهمها ثم الانتقال بعد ذلك إلى الغرض الأساس من القراءة ككل؛ ألا وهو معرفة «الوجوه الذي وضعت له» الكتب والموضوعات وإدراك ما تضمنته، بل إننا نكاد نستشف المنهج القرائي الذي يحاول ابن المقفع وضعه وتبنيه، ومن ثم يطلب من متلقي الكتاب سلوكه. هذا المنهج يتأسس على ثلاث مراحل:

- **المرحلة الأولى:** مرحلة الفهم، وهي الواردة في قوله: «من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهرا وباطنا لم ينتفع بما بدا له من خطه ونقشه كما لو أن رجلا قدم له جوزٌ صحيحٌ لم ينتفع به إلا أن يكسره.»[٣] فمرحلة الفهم تلك تستدعي تجاوز القراءة البصرية الأولى إلى المعنى الظاهر الأول دون الوقوف عند هذا الحد، وإنما متابعة «القراءة» لفهم المعنى الثاني «الباطن».

- **المرحلة الثانية:** التمحيص وإعادة النظر: إذ «يجب على قارئ هذا الكتاب أن يديم النظر من غير ضجر، ويلتمس جواهر معانيه»[٤]، وغاية هذه المرحلة هي المعرفة والإدراك، فالقارئ «إن كانت غايته استتمام قراءته إلى الآخرة دون معرفة ما يقرؤه منه لم يعد عليه شيء يرجع إليه نفعه»[٥]. فلكي ينتفع بما يقرأ لا بد له أن يقرأ الكتاب من أوله إلى آخره ولكن بشرط حضور العقل والنظر في أثناء عملية القراءة لتتحقق المعرفة.

- **المرحلة الثالثة:** الرحلة الغائية أو مرحلة العمل بالقراءة والعلم، وهي ما يجعله ابن المقفع الهدف الأكبر لعملية التلقي، إذ لا فائدة من قراءة لا تنفع صاحبها، مادامت مرحلة التمحيص وإعادة النظر مرحلة حاسمة في سبيل الانتفاع من تلك المعارف المكتسبة والمعاني المجلوة. إن المعنى المعرفي يقف في حدود العقل الداخلي دون أن يتجاوزه، أي أن الأمر لا يعدو هنا المعرفة من أجل المعرفة، يقول ابن المقفع: «إن

العامل إذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه ينبغي له أن يعمل بما علم منه لينتفع به، ويجعله مثالا لا يحيد عنه»[٦] وهكذا تتوطد العلاقة بين القارئ والمقروء، إذ يترجم الأول الثاني إلى عمل، وينقله إلى درجة «المثال» الذي لا ينفصل عنه ولا يزيغ... من هنا يقول: «إن العلم لا يتم إلا بالعمل، وإن العلم كالشجرة، والعمل به كالثمرة، وإنما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به، وإن لم يستعمل ما يعلم لا يسمى عالما»[٧]، فثمرة العلم هي العمل، كما أنه لا جدوى ولا فائدة من الشجرة بدون وجود ثمار ينتفع بها الناس تُثَمِّن عمل تلك الشجرة وتعطيها قيمة ومعنى، فالعالم صورة نموذجية للعلم الذي تعلمه، وترجمان – من خلال عمله به – لهذا العلم، سيتعلمه ويوظفه في سلوكه وعمله ومعاملاته وتصرفاته، وتلك صورة تحيلنا على أهمية العمل بالعلم في التصور الإسلامي المبني على أساس: العلم هو العمل به ولا فائدة من عالم لا يعمل بعلمه.

يؤكد ابن المقفع: «وعلى العالم أن يبدأ بنفسه فيؤدبها بعلمه، ولا تكون غايته اقتناؤه العلم لمعاونة غيره، ويكون كالعين التي يشرب الناس ماءها وليس لها في ذاك شيء من المنفعة، وكدودة القز التي تحكم صنعه ولا تنتفع به، فينبغي لمن طلب العلم أن يبدأ بعظة نفسه ثم عليه بعد ذلك أن يقبسه»[٨].

ليست هذه براغماتية معاصرة، كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، ولكنها قاعدة علمية وسلوكية أخلاقية معروفة، ولاسيما إذا ربطناها بالسياق الثقافي والحضاري الإسلامي، ثم ما فائدة علم لا ينفع صاحبه بدءا ولا يرفعه؟! ألم يقل الحقُّ عز وجل في سورة المجادلة (الآية ١١) ﴿ ... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾؟! فالعالم هو أول من يعظ نفسه بعلمه، ثم ينتقل لعظة الآخرين وتوعيتهم ونفعهم.

القراء المتعلمون:

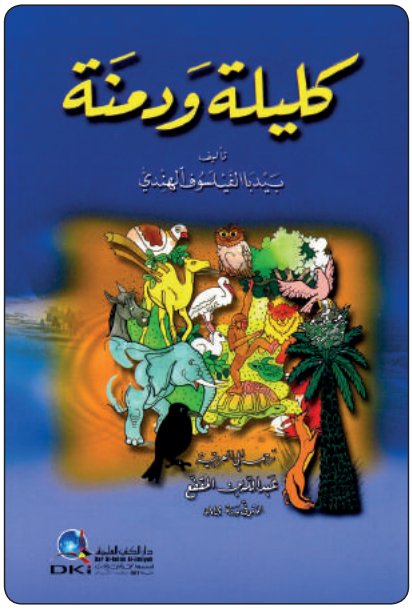

يعد ابن المقفع هذا النوع من القراءة، الخاص بالمتعلمين، سبيل الوصول إلى المرتبة الأولى السابقة، أي إنه لكي يصل القارئ إلى درجة القراء الحكماء لا بد له أن يمر من هذه الطريق؛ ولكن بشروط؛ وينهج النهج القويم في عملية التلقي للعلم، ومن ثم يرتقي حتى يصل إلى درجة السابقين وينضم إلى صنفهم ويندرج في زمرتهم. هذه الشروط هي ما يتضمنه قول ابن المقفع – وهو يتحدث عن كتاب «كليلة ودمنة»: «والمتعلم من الأحداث ناشط في حفظ ما صار إليه من أمر يربط في صدره ولا يدري ما هو، بل عرف أنه ظفر من ذلك بكتاب مرقوم.»[٩]

فعملية القراءة هنا، عند هذا الصنف، تمر بثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة الحفظ والأخذ عن ظهر قلب ودونما تدبر، ويمكننا أن ننعتها أيضا بمرحلة «الجمع» وتتطلب نشاطا مستمرا: «ناشط فيما صار إليه»، يجمع ويحفظ.

الثانية: مرحلة الكمون أو الاختمار، وهي التي يعمل فيها المتلقي، الذي يداوم على عملية الحفظ،

على توطين ما يحفظ، وتوثيقه وعقله في ذاكرته مثلما تعقل الدابة خوف انفلاتها وضياعها، وغالبا ما تتم هذه العملية بواسطة عنصر التكرار والاستظهار والإعادة بعد الإعادة التي غالبا ما تتم تحت يد ورعاية شيخ مربٍّ ومعلم.

الثالثة: مرحلة الدراية والوعي والتأويل، وهي التي يصل فيها القارئ إلى إدراك أنه «ظفر من ذلك بكتاب مرقوم»؛ أي عرف ووعى ما كان قد حفظه وتعلمه من خلال الدراسة والفهم، وهذه المرحلة هي التي يشير إليها ابن المقفع بقوله: «إذا احتنك الحدث، واجتمع له أمره، وثاب إليه عقله، وتدبر ما كان حفظ منه، وما وعاه في نفسه، وهو لا يدري ما هو، عرف أنه قد ظفر من ذلك بكنوز عظام.»[١٠]. وفي هذه المرحلة يبدأ يشتد عود المتعلم، ويتجاوز الأخذ والحفظ والقراءة إلى التدبر والإدراك والوعي والتمحيص حتى يتجاوز ما يقرأ، ويعيد قراءته من تلقاء نفسه هو، لا بما أعطي له من معلمه، ومن ثم يعيد عملية إنتاج النص وتأويله مرة أخرى. وهي العملية التي تلحقه بقافلة القراء الحكماء فيما بعد.

القراء السفهاء:

يقف هذا النوع من القراء على طرف النقيض من القراء الحكماء أساسا، والمتعلمين أيضاً، إنهم لا يختارون الكتاب ولا يقرؤونه إلا بحثا عن كوامن اللهو فيه، و«للَهْوِه» الذي يعكسه ظاهر بعض الكلام المتبطن بالحكمة والعلم والمشير إلى ظاهره، فكل «من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهرا وباطنا لم ينتفع بما بدا له من خطه ونقشه، كما لو أن رجلا قدم له جوزٌ صحيحٌ لم ينتفع به إلا أن يكسره»[١١]، وأن لهذا النوع من القراء أن يكسر عن الجوز قشرته لينتفع بما بداخله، ويقتحم عن الكتاب خطه ونقشه. وكثيرا ما ينعت ابن المقفع هذا النوع من القراء بالجهل، خاصة عندما نعلم أنهم لا يستفيدون مما يقرؤون، ولا ينتفعون به ولا يعملون، فـ «صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به، وإن لم يستعمل ما يعلم لا يسمى عالما، ولو أن رجلا كان عالما بطريق مخوف ثم سلكه على علم به سمي جاهلا»، إنه «كالمريض العالم برديء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقيله، ثم يحمله الشره على أكل رديئه، وترك ما هو أقرب إلى النجاة والتخلص

من علته.»[١٢] ؛ وذلك بسبب عدم تمكنه من عنصر الإدراك والتبصر والتمييز، والقدرة على التمحيص وإعمال النظر.

ويبلغ ابن المقفع درجة كبيرة من الاستهزاء بنموذج هؤلاء القراء السفهاء الذين يبحثون عن مواطن الهزل واللهو في الكتاب بسبب جهلهم وغفلتهم.. إنهم «أهل الهزل من الشبان»، يقرؤون كتابا ككتاب «كليلة ودمنة» «فتستمال به قلوبهم له لأنه الغرض الوارد من حيل الحيوانات»[١٣] بالنسبة لهم، لا غير. وهم صنف لا فرق بينهم وبين غيرهم من العميان، وإنما مثلهم كمثل

«رجلين أحدهما بصير والآخر أعمى، ساقهما الأجل إلى حفرة فوقعا فيها، كانا إذا صارا جميعا في قعرها بمنزلة واحدة، غير أن البصير أقل عذرا عند الناس من الضرير؛ إذ كانت له عينان يبصر بهما، وذاك بما صار إليه جاهل غير عارف»[١٤]

ويقدم ابن المقفع فهماً آخر متميزاً لنموذج هؤلاء القراء وأصنافهم، متحدثاً عن مراتبهم ومواقفهم، وهذا ما يمكن أن نستشفه من نص قصير له أورده

تلميذه الجاحظ في كتاب «الحيوان» يقول فيه: «إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيها شيء. وأما الجاهل فلستَ منه وليس منك، ورضى جميع الناس لا تناله»[١٥].. فصاحبنا يقسم فئة هؤلاء القراء إلى ثلاثة: الحاسد، والعدو، والجاهل، بينما يقف القارئ العارف في الضفة الأخرى المقابلة؛ وهو ما يجب أن يهتم به الكاتب أو صاحب الكلام. وما يلفت الانتباه هنا هو تأكيد ابن المقفع على حقيقة مهمة وأساسية وهي عدم إمكانية إرضاء رغبات كل القراء مهما بُذِل من جهد، ومهما حرص «المتكلم» واحتاط، وهو في ذلك أيضا ينبه إلى ما يمكن أن يواجه به المتلقون الرسالةَ من أحوال ونفسيات وأحكام مسبقة، أحيانا، ومشوشة على عملية التواصل التي يجب أن يسودها الحياد وحسن الإصغاء للمَقول/ الكلام ، سمعيا أو بصريا .

إن فعل القراءة وعملية التلقي إذن غير بريئين، ومن الصعب ولوج نص من قبل متلق بريء خالص الذهن وصافيه إلا فيما ندر – إن لم نقل من المستحيل- ولذلك فعلى صاحب الكلام ألا يلقي اهتماما كبيرا لهؤلاء، ويكون غاية ما يصبو الوصول إلى تحقيقه هو إبلاغ و"إرضاء" «من يعرف حقوق الكلام» من القراء الحكماء الذين سبق الحديث عنهم.

أصناف القراء عند ابن المقفع

بناء على ما عرضناه، من قبل، يصنف ابن المقفع القراء إلى أربعة أصناف:

أ- العارف بحقوق الكلام: وهو الذي يجب على المرسل إرضاؤه وإيلاؤه الاهتمام الكبير، فإذا وصل إلى هذه الغاية فقد تحققت العملية التواصلية معه وأعطى- من خلال رسالته تلك- «كل مقام حقه».

ب- الحاسد: وهو القارئ الذي لن يرضى على المرسِل ولا على الرسالة، لأن الحسد سيمنعه من ذلك، وسيشكل حاجزا وعائقا يحول دون سلامة عملية التلقي ونجاعتها، مادام ينظر إلى صاحبها لا إليها، وإلى المقول عوض القائل.

ج- العدو: وهو أيضا قارئ لا يمكن إرضاؤه بسبب نظرة العداء المتحكمة في نظرته إلى صاحب الكلام والمقال، ومن ثم لن ترضيه الرسالة أبدا مهما بلغت من درجة في حسن الإتقان وجودة السبك وسلامة

التعبير ودقة الأفكار وأهميتها، وهو أيضا يحاكم الرسالة انطلاقا من الاعتبارات الشخصية الخاصة التي تؤطر علاقته العدائية بصاحبها.

د- الجاهل: وهذا النوع من القراء لا حاجة لمنتج الرسالة به، وعليه عدم الاهتمام به، بل يجب تغييبه أثناء عملية إعداد الرسالة، فلا رابطة يمكن أن تكون بينهما: «فلستَ منه وليس منك».

لقد قدم ابن المقفع تفصيلا مهماً لمستويات القراء في تعاملهم مع القراءة والمقروء، كما تحدث عن رد فعلهم تجاههما؛ وذلك «انطلاقا من نوعين أساسيين من الحالات:

حالاتهم الشعورية (الحاقد، العدو).

حالاتهم الفكرية (العارف – الجاهل).

ويصل إلى نتائج مهمة في عملية التوصيل منها:

- أن الرسالة توجه إلى فئة دون أخرى، ويظهر ذلك في بنائها وصياغتها الفنية.
- أن إرضاء جميع القراء شيء لا ينال، لأن ثمة عوامل كثيرة ومعقدة تتدخل في عملة القراءة؛ بعضها نفسي، وبعضها الآخر فكري إيديولوجي. وهذه كلها عوائق ومشوشات تعرقل سير الرسالة، وتعيقها عن بلوغ الهدف المنشود.
- أن اختلال عملية التوصيل يقع، في الغالب، على عاتق القارئ لا على عاتق المنتِج، ومعنى ذلك أن القراءة هي المسؤولة عن إنتاج المعنى لأنها هي التي تقوم بعملية التأويل.»[١٦].

تلك إذن كانت أبرز الموضوعات والأفكار التي وقف عندها ابن المقفع وهو يحاور القراء، ويتحدث عنهم وعن أصنافهم، ودرجات تعاملهم مع المقروء/ الكتاب، وهي بذلك كله نظرات مهمة ومفيدة ودقيقة، سبق إليها هذا المفكر، وقدَّم بها بعض كتبه، وكأنه بذلك يسطر ميثاقا للقراءة والقراء المنتظَرين حتى يستطيعوا تحقيق تواصل جيد مع هذا المقروء، ويصلوا إلى الأبعاد العميقة المبثوثة في داخله، ومن ثم يصححوا بعض أخطاء القراءة، ويتجاوزوا بعض هِناتها.

هكذا يقدم لنا ابن المقفع فهما عميقا ودقيقا لمفهوم القارئ الذي وجد في عصره، في الوقت نفسه الذي يقدم فيه رأيه في القارئ كما يريده ويفترض وجوده، وهي آراء ومواقف تبدو متقدمة عن عصرها، بل ذات أبعاد متطورة ونظرات فاحصة؛ تلامس منهجا خاصا لتلقي النصوص، وترصد رؤية متميزة لم تتح لها فرصة التطوير من قبل من عاصروه أو جاؤوا بعده■

الهوامش:

(*) أستاذ بالجامعة الدولية بالدار البيضاء، وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة الحسن الأول، سطات- المغرب.

(١) عبد الله بن المقفع" كليلة ودمنة " ـ المكتبة الثقافية- بيروت/ لبنان- (ب.ت)- ص: ٣٠.

(٢) نفسه- ص: ٣٠

(٣) نفسه – ص: ٣١.

(٤) نفسه- ص: ٣٦.

(٥) نفسه- ص: ٣٦.

(٦) نفسه- ص: ٣١.

(٧) نفسه – ص: ٣٢.

(٨) نفسه- ص: ٣٢.

(٩) نفسه – ص: ٣٠.

(١٠) نفسه – ص: ٣-٤.

(١١) نفسه – ص: ٣١.

(١٢) نفسه – ص: ٣٢.

(١٣) نفسه- ص: ٣٧.

(١٤) نفسه- ص: ٣٢.

(١٥) الجاحظ: «الحيوان» تحقيق عبد السلام محمد هارون – دار الجيل ودار الفكر- بيروت: ١٩٨٨ ج:٧ – ص: ٩٢.

(١٦) محمد بلاجي: «مفهوم» القارئ «عند الجاحظ» – ضمن «الأدب والبناء الحضاري» إعداد: حسن الأمراني- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- وجدة- المغرب- سلسلة «بحوث ودراسات-٨-» الطبعة الأولى: ٢٠٠٠- ص: ٧٢.

عكاكيز

محمد عبد الصمد الإدريسي- المغرب

لا يقلق «عمر الحداد» شيء كما تقلقه حالته الخاصة التي لم يعد يطيق الظهور بها أمام الناس، إنه معاق لا يتحرك إلا بعكازين اثنين يسيران معه كما يسير ظله.. هذا أمر عادي فمئات من الناس أمثاله.. لكن ما يزعجه هو أنه ليس الوحيد في بيته، إن ولديه معا يعانيان مما يعاني منه، لكنه استساغ هذه المرارة أيضا منذ مدة، ولم يعد يشعر بحرج مع مرور الوقت.. بل سلم لقضاء الله، وواسى نفسه بأن المؤمن مبتلى.. وأن السعادة في الدنيا شيء آخر قد يتجاوز البدن.. وأن القناعة كنز لا يفنى.

ولم القلق وهذا أمر وراثي، كتب عليه وعلى أبنائه، ولم تنفع عقاقير الأطباء، ولا جراحة الجراحين في إخراج هذا الداء الذي يسكنه، وإنقاذ أبنائه معه من مرض يكمن متربصا في أبدانهم الصغيرة في سنواتهم الأولى ثم لا يلبث أن يفعل فعله فيعوقهم عن المشي بعد سنوات قليلة..هاهوذا مسلم للقضاء..راض بنصيبه، فما الذي يقلقه إذن!؟

إن الذي لا يحتمله «عمر الحداد» ولا يبعث في نفسه الارتياح هو حين يرافقه أبناؤه لضرورة ما، أو يتمشون جميعا في الشارع بعكاكيزهم. إن الأمر يبدو كما لو كان جوقة من نوع خاص لها وقع لا يستقيم ميزانه. فيكون المشهد مثيرا للانتباه وربما لمشاعر أخرى. والنظرات التي يقرؤها في عيون الناس من حوله، وإن كان يعلم علم اليقين أنها مشاعر إشفاق ودعاء، يتمنى معها لو أن له نفقا في الأرض أو سلما في السماء يمرون منه حتى لا تراهم أعين الفضول. إنه يحس بعيون الناس ونظراتهم كأنها تنتصب له في الأرض وتوشك أن تشُل خطاه. لا.. لا.. ليس هذا فقط.. إنها تُشعره في نفسه بشيء من الضعف أمام أولاده لا يعرف كنهه ولا تفسيره، بل الحق أنه يتمنى في بعض الأحيان لو لم يتعامل الناس معه بشيء

من التفضيل، أو يعطوه حق الأسبقية في المصالح والإدارات، أو يعطف عليه أحدهم هنا أو هناك.

في المرة الأخيرة في «البلدية» ما إن دخل حتى قدمه أحدهم، وسمع بعض التمتمات وهو يجتاز الصف الطويل الذي ينتظر الناس فيه دورهم. لم يلتفت ليرى من هذا اللئيم الذي ضاقت به نفسه. فقد رد عليه أحدهم:

– حرام عليك والله.. هذا «مخصوص».. احمد ربك على الصحة والعافية.

– كلنا «مخصوصون».. المشكل يا سيدي في البلدية.. لماذا لم تعمل مكانا خاصا بالمخصوصين.

– ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء..

علا الضجيج.. وخرج «عمر» وقد قضى حاجته، ثم أرسل زفرة طويلة، وسار يعبر الطريق تختلط في سمعه بقايا كلام الناس مع منبهات السيارات المارقة أمامه.. فجأة كاد أن يرتمي أرضا وهو يتراجع من الشارع اتقاء لسيارة مجنونة.. سال بعض من لعاب أمانيه، وتذكر أن لا طاقة له بسيارة تُقله هو وأولاده.. إن دخله من ورشة الحدادة التي يمتلكها يوشك أن لا يكفيه لخوض حياته اليومية، ثم فكر في العكازات الستة في بيته، فخطرت له فكرة ابتسم لها في نشوة ومضى يعبر الشارع كأنما حيزت له الدنيا بأجمعها.

انقلبت نفسية «عمر الحداد» رأسا على عقب منذ خطرت له الفكرة. ثم رفرفت الابتسامة على محياه، وهو يرى مشروعه الصغير يوشك أن يكتمل، وخبرته في الحدادة جعلته يصنع حلمه بيده، فاعتكف يشتغل.. ثم يفكر..ويشتغل..ثم يعدل ويضيف..ويجرب، واحتاج أن يذهب إلى مركز لقطع الغيار المستعملة، فساعده صاحبه بما استطاع ولم يأخذ منه شيئا. ثم استدعى أحد التقنيين من معارفه فلم يبخل عليه بخبرته. واكتشف أن القدر مازال يبسم له.

فرك يديه من النشوة وهو يرى جهده يثمر يانعاً، وصرخ صرخة مدوية أوشكت أن تهد أركان ورشته المهترئة. ثم رقص في خفة كبهلوان يقلد أعرج، لولا أنه أعرج يقلد بهلوانا.. نادى ولديه وزوجته لحضور هذا الحفل الخاص، الذي يوقن أنه لا يعدله أي حفل آخر من حفلات الدنيا، وسادت لحظة صمت وترقب.. ثم..

ثم أدار المحرك، فزفر زفرة كأنما نفثها شيطان مريد. انطلقت على إثرها هذه الآلة العجيبة تذرع الشارع، وصاحبها لا يكاد يصدق أنه صاحبها، والتفت إلى ولديه من خلفه وقد ضاق بهما الفضاء من فرط الفرح والدهشة، ثم أطل عليه ابنه من خلفه وهو يشده من كتفه:

– لا عكاكيز بعد اليوم يا أبي..

قال وهو يزيد من السرعة:

– ولا نظرات تلاحقنا يا بني، هذا حلمي الذي كبر معكما فكان ثالث أبنائي..

وطارت دمعته مع رياح السرعة في الهواء. وهو يدخل الشارع الرئيسي في المدينة. ولاحظ عيون الدهشة والإعجاب تُشيعه وهو على آلته الهجينة التي لا يعرف لها اسما.. فهي خليط بين رأس دراجة نارية وذيل سيارة «كلاسيكية» بالية..لم تكن تصلح لشيء. جَمَّلَهَا «عمر» بحذقه وبراعته، فلا يستطيع أحد تحديد جنسها ولا شكلها من بعيد مهما كان نظره حديدا. وما يهمه من شكلها أو جنسها؟؟ وقد رفعت عنه الحرج الذي تُشعره به العكاكيز!.

كان يخترق الشوارع لا يعبأ بمن حوله، كأنه محمول على شعاع من خيال. وأنفه الصغير يعوزه عن استنشاق كل ذلك الهواء العليل. يود لو طالت أنفاسه ولا تنقطع. من قال: إن الحياة لا تستحق أن تعاش؟! ألا فلتطل الشوارع ما شاء لها أن تطول. وليحملق فيه من أراد من أصحاب العيون الكبيرة والغائرة. ها هو ذا يمشي في

وسط الشارع كغيره من أصحاب السيارات، ومن حين لحين يقف مزهوا ليستقبل تهاني بعض من يعرفه في الشارع؛ فلا يكاد يقف حتى يتحلق الناس حوله ما بين مهنئ ومستطلع وضاحك..ثم لا يستسلم لهم قليلا، حتى يدير مفتاح المحرك ويدعهم في دهشتهم حائرين.

ما هذا؟؟ إنه لم يخطئ في حق أحد في الشارع !! ولم يجتز الإشارة الحمراء !! فما لهذا الذي أمامه يستوقفه ويأمره بالتنحي جانب الطريق؟؟ !!

وركن آلته العجيبة إلى جانب الرصيف، ثم نزل من السيارة التي وقفت أمامه رجل طويل القامة فخم المنظر، فجاءه في موكب من الغموض والحيرة، قال وعيناه محجوبتان بنظارة سوداء:

– أهلا سي «عمر» مبروك الـ...

رد ومشاعر من الزهو والخوف تتجاذبه:

– الله يبارك فيك.. هذا حلمي تحقق

– ما اسم هذا الـ... المولود الجديد؟

– هههههه.. لم نسمه بعد.. هذا يومه الأول..

– عندك رخصة؟ أو أي وثيقة خاصة به؟

– لا..لا.. قلت هذا يومه الأول.

– وكيف تخرج به دون رخصة؟

ثم قبل أن يجيب استطرد الرجل:

– أنا أمامك..اتبعني.

طافت سحابة من الهم والضيق في جو «عمر الحداد» وأدار مفتاح المحرك بيد مرتعشة، وعيناه تغرقان في الدموع، لقد ظن أن معاناته انتهت، وأن القدر ابتسم له ولِحَظِه الهزيل هذه المرة على الأقل.. لكن الدنيا غدارة بالفعل.. لم تمهله حتى ساعة من نهار.. إنه لم يعرف أي نوع من المتابعة من قبل، حتى قاد نفسه برجليه إليها.. يا لغبائه!! لِمَ لمْ يستعطف الرجل ليعفو عنه؟ إنها غلطته الأولى؟ آه.. من عكازيّ الحبيبين! القناعة.. ثم القناعة..

أوقف المحرك وسحب عكازيه من خلف الآلة العجيبة، ثم تبع الرجل بعد أن نزل من سيارته.. دخل تسبقه تمتماته، وترك ابنيه في الخارج يقطر قلبهما حيرة وفزعا.

جلس في الكرسي أمامه، وفكر أن يتوسل إليه قبل أن يسجل في حقه محضرا هو بريء منه. أو على الأقل لا قصد له فيما يتضمنه. ثم ابتدره الرجل فجأة بالحديث وهو ينزع نظارته ويقول مبتسما:

– أتعرف لماذا أنت هنا؟

– والله العظيم..لا علم لي.. إن الحيرة تكاد تقتلني.. ولم أفهم ما قصة الأوراق التي تحدثت عنها.

– هههه.. صحيح.. أنت لا تعرف ماذا ارتكبت من حماقة.. لكني سأوضح لك لماذا جئت بك..

– لماذا يا سيدي؟

– أنا مسؤول قسم الاختراعات والإبداع.

ثم اقترب منه ووضع يديه على كتفيه وأضاف:

– أحييك أولا على عصاميتك وجهدك. وحتى لا يضيع حقك؛ يجب أن تسجل براءة اختراع لإبداعك العظيم.. أنت مبدع حقا! ■

ما وراء القلق

محمود محمد كلزي - سورية

أنـا في أي ظـلام مطبقِ ... وهوى يسحق لي عمري الشقي
كل جزءٍ من كياني ضائعٌ ... ها هنا ملقى .. وخلف الأفق
مـزقٌ لو مـرت الريح بها ... لـرأت فيها بقايا المزق
خافقي مابين أضغاث الرؤى ... و خيالات خيالٍ شيق
قلق يمضغني يسفعني ... لست أدري ما وراء القلق
نظرتي زائغة تائهة ... خلف أسجاف المدى المزرورق
هي لا تدري أتبقى فرقداً ... في ظلام الليل أو في الغسق
الربيع الطلق ينهل ندى ... وعبيراً وشذى حبٍ نقي
وشراعاً ينشر الدفء على ... موطئ الشمس ومسرى الشفقِ
وأنا في لجة العمر على ... موجة .. يبحث عني زورقي
غصة خانقة في رئتي ... و بقلبي .. لوعة المختنق
لست أدري .. أي بحر زاخرٍ ... أنا فيه في حميم الغرقِ
وتلفتُّ فإذ بي يقظ ... في مدى أشتات عمري المرهقِ
من ترى أيقظ في روحي الهدى ... وأنار الدرب بعد الأرقِ؟
فإذا بالذكر ينهلّ سناً ... غمر الكونَ بوحيٍ مشرقِ
سكرة منه عرتني هزةٌ ... أشعلتْ مني حطامَ الرمقِ
للمتني كَرُفاتٍ نثرتْ ... وهيولى كُسيتْ بالخرقِ
فإذا بي قمةٌ شامخة ... وفؤاد مترع بالعَبَقِ
وعيونٌ سلكت دربَ الهدى ... وكيانٌ سابحٌ بالألقِ
أنا إن أشعلتُ مشكاتي .. فها ... إنني فوق براقٍ أرتقي

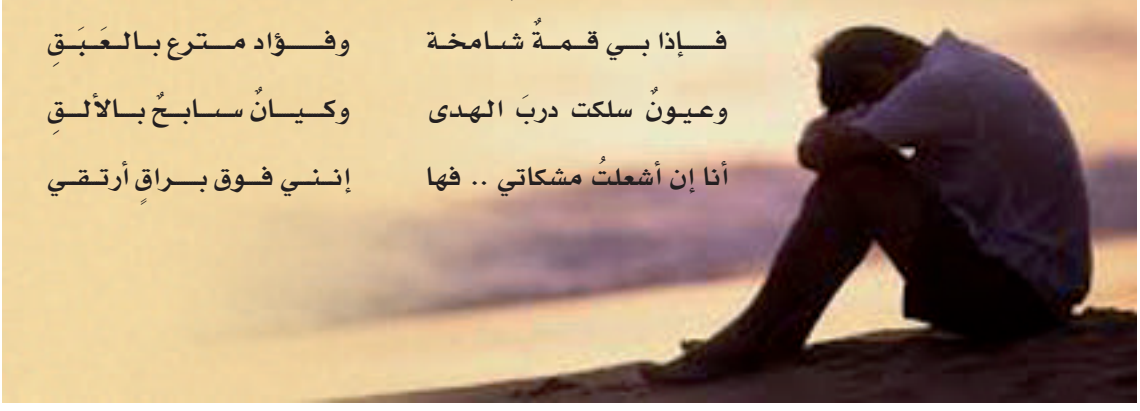

المديح النبوي
في شعر الشعراء الأردين غير المسلمين

فيضان قادر - باكستان

دراسة شعر الشعراء الهندوسيين وغيرهم من السيخ والمسيحيين تؤكد على أن اشتغالهم بكتابة قصائد المديح النبوي قديم قدم اللغة الأردية، وقد زاد اهتمامهم به بعد ثورة الاستقلال عام ١٨٥٧م؛ إذ نجد في العصر الحديث عديدا من الشعراء غير المسلمين قد أسهموا في ذلك إسهاما لا بأس به، ولا مساغ للتغاضي عنه.

ولقد أرجع الدكتور رياض مجيد سبب ذلك إلى عوامل سياسية واجتماعية من أبرزها العلاقات الطيبة التي نشأت بين المسلمين والهندوسيين بعد هذه الثورة، والتي لم تكن قوية بالدرجة التي غدت بعدها[١]، في حين نجد الشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادي - رحمه الله - يعلن ذلك بما تقبله النفوس وترضاه القلوب، وهو أقرب إلى الواقع، يقول الشيخ:

«إن نبينا محمداﷺ رحمة للعالمين، ومن ثمة كان له - من هذه الناحية - فضل كبير على الإنسانية بقضها وقضيضها، بحيث لا يسع أحدا -كائنا من كان - إنكاره على شريطة ألا يستولي عليه العناد والتعصب لقومه، ولقد سمت به هذه الصفات العظيمة والكمالات الشخصية إلى درجة إذا قرأ سيرته أحد لمحا وخطفا بشرط سلامة طبعه لا يملك نفسه من عواطف الحب الجياشة حيال الرسولﷺ، وإذا كان شاعرا تتجسد هذه العواطف القوية، فتكسب قالبا محسوسا يسمى مديحا نبويا..»[٢]

ويدلي شأن الحق الحقي - الاديب الأردوي الكبير - بدلوه مؤيدا رأيه. يقول:

«إنه يستبين من دراسة مدائحهم النبوية أنها ما قيلت للتسلية والترويح عن النفس ؛ لأنه لم يكن هناك داع إلى ذلك»[٣]

وباستعراض ما كتبته الأسماء الشعرية من المدائح النبوية يلاحظ أنهم طائفتان: طائفة تعترف له - ﷺ - بنبوته وخاتميته كما تعترف بأسوته الحسنة مشيدين بها في أمدوحاتهم بأسلوب بليغ - وطائفة تمدحه باعتباره أكبر نموذج إنساني يحتذى به وأكمله[٤].

وفيما يأتي من المقال أمثلة ونماذج مختارة من شعرهم تعبر عن مدى حب أصحابها العميق وتقديسهم البالغ للنبي ﷺ.

فالشاعر الشيخ شمشير سينك بهادر يصور مشاعره الروحية والقلبية، ويتحدث عن أنi قد غلبه حب الرسول الأعظم فشغله عن كل شيء، إذ يقول:

«ترشح حب محمد في قلبي حتى لا أتصور سواه، ولا أفكر في غيره، وبفضل هذا الحب غمرتني سعادة كبيرة ؛ لكأني في الربيع..».

والشاعر دلوزام من أشهر الشعراء الهندوسيين للمديح النبوي؛ فهو صاحب ديوان مطبوع يحوي المدائح النبوية بعنوان «كلبن نعت كوثري»، وقد اعتنق الإسلام - أحق الاديان وأهداها - في آخر أمره.

يقول في قصيدة تفيض بالوجدان والعواطف المتموجة: «كنت أعشق محمدا، وكان هذا العالم منعدما يرزق الوجود، حين لم يكن سوى فضاء متسع، وحين لم يخلق آدم ولا حواء، وحين لا وجود لملك من الملوك، ولا فلس ولا دينار. كنت أعشق محمدا آنئذ يا كوثري، مثل عشقي له اليوم، ولم يعتره الفتور[٥]».

وشعر الشاعر لاله جنوبل يمتاز عن غيره قوة وتأثيرا ورقة وعذوبة، تتجلى فيه العاطفة أقوى وأروع منها في غيره. يقول في قصيدة: «لم تبق وجوه حسان ولا ذكراها، ولقد غدا قلبي الولوع متعلقا بمحمد» ويضيف قائلا وقد عزَّ عليه طول الفراق: «أيتها العين الباكية، مالك تذرفين دموعا يصحبها دم، وأنا حامل بين ضلوعي ذكرى محمد، فلماذا هذا البكاء!!؟»[٦].

إلى أن قال:

« لقد بكيت في فراق محمد ما شاء الله أن بكيت، وأشبهت كثرة دموعي سيلا عظيما».

ثم يظهر حيرته وإعجابه بأسلوبه الرائع في المديح النبوي فيمثل نفسه بعندليب ويخاطبه قائلا:

«لا بد أنك عدت من حدائق المدينة المنورة، وإلا فمن أين يمكن أن تكون رزقت هذه العذوبة في لحنك».

وأخيرا يرجع الأمر إلى حب النبي ﷺ إذ يقول: «وأدنى ما تراه فيما أورث فيك الحب أنك أصبحت بارعا في إنشاء القصائد في المديح النبوي بالرغم من أنك هندوسي، فما أعجبه![٧].

ولله در الحب الذي يحمل المحبين على ابتكار المعاني وإبداع الأساليب! فقد استطاع كورو نانك مؤسس ديانة السيخ أن يربط كل شيء بالرسول ﷺ، وذلك، لأن العدد (٩٢) يساوي اسم محمد، ولكل

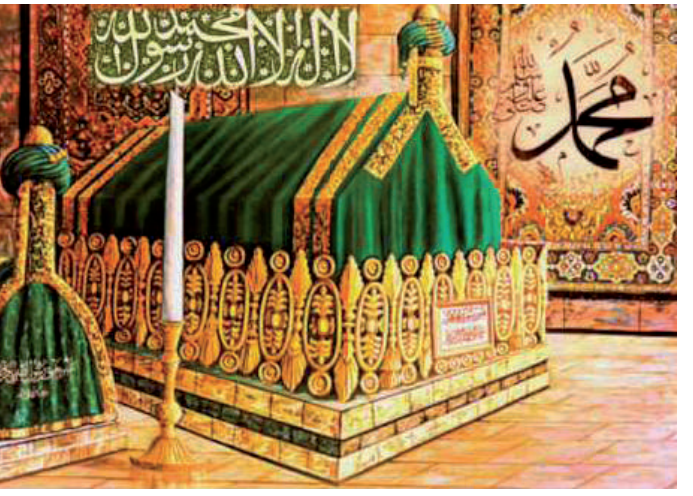

حرف من حروف الهجاء عدد بإزائه يختلف عما لغير ذلك الحرف، فللألف العدد(١)، وللباء (٢) وهكذا دواليك.

والشاعر بخشى شورى لال يتمنى أحلى ما يتمنى أن يعثر على الرمل الذي أسعدته وطأة الرسول ﷺ، إذ يقول: «ليتني أظفر برمل وطئته قدم محمد فأكتحله في عيني[٨].

وكما قال الله تعالى في القرآن الكريم: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (الأنبياء ١٠٧)، فليس

المسلمون هم الذين يعترفون بهذه الحقيقة البينة، وإنما الكثيرون غيرهم أيضا يعترفون بها، ومنهم الشاعر كنور سورج، إذ يقول:

«أنا مؤمن بمحمد، وكيف لا وهو رحمة للعالمين؟ وليس نبياً لقوم دون قوم، ولكنه نبي لجميع الأقوام باليقين..»[٩]

ويرى الشاعر كوبي نات أن الإنسان أكثر من الملك شرفاً وأكبر منه منزلة، ويستدل على ذلك بأخلاق النبي محمد ﷺ إذ يقول:

«إن الإنسان يفضل الملائكة بمرات ومرات، وإذا شككت يا هذا، فانظر إلى أخلاق محمد وسيرته حتى تتيقن بذلك.»[١٠]

ويقول في قصيدة يتخيل فيها أنه يخاطب الرسول الأعظم: «أيا مظهر التقوى، مجلى الصدق والوفاء، أنت هادي الأمم إلى طريق الهدى، عليك آلاف الصلوات والسلامات، أنت مؤسس الدين الغالب وحامي الشرع المبين، وأنت سالك الطريق إلى العرش المجيد، عليك آلاف الصلوات والسلامات، يا مفخرة الأمم وكنز الجود والكرم بكل معاني الأدب أقول: «عليك آلاف الصلوات والسلامات.»[١١]

ونختتم المقال بذكر بعض الشعراء مع دواوينهم التي تتألف من المدائح النبوية فالشاعر سركشن يرشاد له «بدية ارشاد»، وكالي داس كبتا صاحب ديوان «أجالي» أي الأنوار، والشاعر جرن سرناز صاحب « ريبر أعظم.»[١٢] ■

الهوامش

(١) أردوميس لغة كوئي.
(٢) ماينامه بريان، دبلي.
(٣) بير زمال، بير زمال.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق.
(٨) ماينامه نعت، لاهور.
(٩) المصدر السابق.
(١٠) تذكرة شعراء، أتريردليش.
(١١) المصدر السابق.
(١٢) المصدر السابق.
(١٣) المصدر السابق.

منفى

أشرف محمد قاسم - مصر

بغدادُ.. بعدكِ لم ألقَ الهوى سكنا
أنا الذي حُلمُه قد طاولَ الزمَنا
لا الليلُ يُطفئُ جمرَ الشوقِ في بدني
ولا النهارُ المُرجَّى قد غدا سكَنا
أدركتُ بعدكِ أن العمرَ مَقصلةٌ
والحبُّ وهمٌ كبيرٌ يورثُ الشجَنا

أمّاهُ..!

د. معاذ نحاس - سورية

أُمَّـاهُ يَـا قَلْبَـاً يَفِيضُ عَطَـاءَ ... أُمَّـاهُ يَـا شَمْسَاً تَشُعُّ ضِيَاءَ

أُمَّـاهُ يَـا زَهْـرَاً تَفَشَّى عِطْرُهُ ... أُمَّـاهُ يَـا مِسْـكَاً يَفُـوحُ زَكَـاءَ

أُمَّـاهُ يَا نَسَمَاتِ حُبٍّ قَدْ هَفَتْ ... تُحْيِي حَشَاشَةَ مُهْجَتِي الجَدْبَاءَ

أُمَّـاهُ يَـا دَقَّـاتِ قَلْـبِ عَاشِقٍ ... يَـرْوِي بِكَوْثَرِهِ القُلُوبَ ظِمَاءَ

أُمَّـاهُ أَنْـتِ الغَيْثُ يَهْمِي دَافِقَاً ... زَخَّـاتُـهُ تَسْقِي النُّفُوسَ رَوَاءَ

أُمَّـاهُ أَنْـتِ البَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ ... دُرٌّ تَـــلألأَ رَوْعَـــةً وَنَـقَـاءَ

أُمَّـاهُ فُقْتِ النَّجْمَ فِي عَلْيَائِهِ ... وَالبَدْرَ حُسْنَاً لِلْعُيُونِ تَرَاءَى

أُمَّاهُ يَا رُوحَاً سَرَى فِي مُهْجَتِي ... فَـازْدَادَ قَلْبِي لَهْفَةً وَصَفَـاءَ

أُمَّـاهُ يَا أَمَلاً سَرَى فِي أَضْلُعِي ... فَـازْدَادَ عَـزْمِـي قُـوَّةً وَإِبَـاءَ

أُمَّـاهُ يَا نُـورَاً سَرَى فِي أَعْيُنِي ... فَـازْدَادَ دَرْبِـي شُعْلَةً وَمَضَاءَ

أُمَّـاهُ يَا حُبَّاً سَرَى فِي خَافِقِي ... فَـازْدَدْتُ حُبَّـاً لِـلْوَرَى وَوَفَـاءَ

أُمَّـاهُ يَا قَمَـرَاً بَـدَا فِي نَاظِرِي ... فَـازْدَادَ وَجْـهِي نَضْرَةً وَبَهَـاءَ

أُمَّـاهُ يَـا عِلْمَـاً أَنِسْـتُ بِنَيْلِهِ ... فَـازْدَادَ عَقْلِي فِطْنَةً وَذَكَـاءَ

أُمَّـاهُ يَـا جُـودَاً أَلِفْـتُ عَطَـاءَهُ ... فَـــازْدَادَ كَفِّـي مِنَّـةً وَسَـخَـاءَ

أُمَّـاهُ قَدْ أَرْضَعْتِنِي لَبَنَ التُّقَى ... لِـيَرِقَّ قَلْـبِي خَشْـيَـةً وَرَجَـاءَ

أُمَّاهُ قَلْبُكِ قَدْ أَفَاضَ عَلَى الدُّنَا ... حُبَّـاً وَنُـورَاً يَكْشِفُ الظَّلْمَاءَ

وَظَهَرْتِ لِلدُّنْيَا بِوَجْهٍ مُشْرِقٍ ... فَـازْدَانَ وَجْـهُ العَـالَمِينَ سَنَاءَ

فَمَقَامُكِ الأَسْمَى بِقَلْبِي قَدْ عَلا ... فَـوْقَ الغَمَامِ يُعَانِقُ الجَـوْزَاءَ

نَفْسِي فِدَىً لَكِ وَالفُؤَادُ وَمُقْلَتِي ... وَالرُّوحُ تَفْدِي الطَّلْعَةَ الحَسْنَاءَ

وَمَحَاجِرُ العَيْنَيْنِ بِالأَشْوَاقِ قَدْ ... فَاضَتْ بِدَمْعٍ يَمْـلأُ الأَرْجَـاءَ

أُمَّاهُ أَسْأَلُكِ الرِّضَا مِنْ خَافِقٍ ... بَـرٍّ حَـنُـونٍ يَـغْـفِـرُ الأَخْـطَـاءَ

المنهج النقدي الغربي والمقدس الديني

أمينة حاج داود- الجزائر

أن ترى ذئباً في الغابة.. فإن هذا شيء بديهي وطبيعي، ولا يبعث على الحيرة أو الحذر أو السؤال، ولكن أن ترى ذئباً يحوم حول بيتك فهنا مربط الفرس! وهنا لابد أن تتوقف، وأن تتخذ كل التدابير وأسباب الوقاية كي تبقى بأمان أنت وعائلتك..!

هذا هو فعلا واقع الحال مع المناهج الغربية التي أغرقت ساحتنا النقدية الحديثة، وأبقت الناقد العربي كمن هو وسط بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فكلما تقدم جولة في محاولة فهم منهج معين واستيعابه، وكاد يهضمه بزغ إلى الوجود منهج آخر، بحفريات مختلفة وخلفيات مغايرة، وغالبا ما يكون نقيضا للمنهج الأول أو قائما على أنقاضه، فمن البنيوية إلى ما بعد البنيوية، ثم الأسلوبية وبعدها كما قال النقاد موت الأسلوبية، ثم منهج سيميائي فتفكيكي فتأويلي، بالإضافة إلى نظريات القراءة والتلقي.

هذا الكم الهائل المتسارع المتداخل المختلف من التيارات التي عصفت بساحة النقد العربي مؤخرا، وبنصه شعريا أو نثريا، أدت في الكثير من الأحيان إلى ظهور كائنات لغوية شائهة ممسوخة، وتركت النص العربي يتخبط في جداول ومربعات وترسيمات، وكأنما هي تقيده أو تخلع عنه رداء الجمال والفتنة، وتصبغه بمساحيق منهجية يحسبها الظمآن ماء، رغم أننا لا ننكر قدرة هذه المناهج واستطاعتها النفوذ إلى عالم النص العربي ولو اضطرت إلى التنازل عن بعض خصوصيتها لتستنطق هذا النص وتستقرئه، إلا أن هذا الهبوب المنهجي المتضارب كبل الفكر النقدي، وحرمه فرصة إعادة النظر في هذه المناهج ونقدها، وأبقاه حبيس مرحلة التلقي والاستيعاب من دون أن يتجاوزها إلى مرحلة أكثر تقدما كمرحلة نقد النقد، وإيجاد مصبات يلقي بها المنهج تلك الشوائب التي غالبا ما تكون عالقة به، ولا ينفك ينفثها في جسد النص لحظة الاقتران به.

المنهج النقدي الغربي يطال القرآن الكريم

لم يعد الأمر في تطبيق المنهج الغربي على النص العربي مقتصرا على النصوص الأدبية، بل تعداه إلى القرآن الكريم، ولا أريد أن أقول: النص القرآني؛ لأنه إشكالية أخرى، فإلصاق صفة النصية بالقرآن الكريم قد تجعله موازيا لغيره من النصوص، ما يذهب بشيء من قدسيته، وهذا في اعتقادي خطأ شائع يقع فيه الكثير من النقاد، حينما يقولون (النص القرآني)، والأفضل أن يقال: القرآن الكريم.

لنعد إلى المقدمة التي بدأنا بها هذا المقال، فالذئب هنا لم يعد في الغابة، وإنما نحن نراه يحوم حول مقدساتنا، فجامعاتنا اليوم لا تخلو من دراسات تستنطق القرآن الكريم أو تعالج بعض قضاياه اللغوية، باستخدام المناهج الغربية الحديثة، حتى إن الكثير من الأساتذة والطلبة يلجؤون خاصة في الدراسات العليا أو ما بعدها إلى استخدام القرآن الكريم مدونة يطبقون عليها مختلف النظريات والمناهج التي تلقوها خلال سنوات الدراسة، باعتبار أن المدونة الشعرية والنثرية العربية في مجملها مدونة مستهلكة، تطرقت إليها جل الدراسات السابقة، فأصبحنا نجد دراسة أسلوبية في سورة مريم، بنية النص في سورة الكهف مقاربة نصية للاتساق والسياق، وغيرها من الدراسات السيميائية والبنيوية، وبتنا نلحظ العديد من المصطلحات تلتصق بكلمة القرآن، فأصبحنا نسمع الكثير من النقاد يقولون: الظاهرة القرآنية، والخطاب القرآني...

إن المشكلة ليست هنا، وإنما هي تكمن في أن يكون هناك خطاب آخر في ذهنية الناقد بالموازاة مع القرآن الكريم، كالخطاب الإشهاري مثلا، ثم يأتي باحث ويدرس هذا الأخير دراسة سيميائية، ويأتي آخر ويطبق المنهج السيميائي على ما يسميه الخطاب القرآني، وبالتالي يفقد القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف هالة القدسية التي لطالما أحاطت به، ويصبح في أعين النقاد مجرد مدونة أو نص صالح للمقاربات النقدية.

إشكالية تطبيق النقد المنهجي على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا: إذا كان العقل النقدي العربي إلى الآن عاجزا أمام وضع منهج نقدي يتماشى وطبيعة النص العربي وخصوصيته، وإذا كان تطبيق هذه المناهج في كثير من الأحيان يضر بالنص، فلم نسمح لأنفسنا بأن يتربع هذا الدخيل المنهجي ويطال القرآن الكريم والحديث النبوي؟

ألا نخاف أن يكون لهذه المناهج خلفية معرفية وفلسفية قد تلقي بثقلها على كاهل هذه المقدسات فتنحرف بها عن الدلالة الصحيحة التي تحتويها؟

إن قراءة نص شعري قراءة أسلوبية تفضي بنا إلى تقويل الشاعر ما لم يقل أو حتى استخراج واستنباط

معاني ودلالات هو نفسه لم يكن مدركا لها لحظة الكتابة أمر مقبول، ولكن أن نقرأ القرآن الكريم بمنهج غربي قد يفضي في النهاية إلى النزوع نحو الخطأ في القراءة والتأويل؛ فهذا أمر غير مسموح به شرعا وعرفا.

من ناحية أخرى إذا كان تطبيق هذه المناهج مع تهجينها وعدم الخضوع المطلق المتلبد القاصر -كما ذكر الدكتور عبد الملك مرتاض- أمرا ممكنا؛ أفلا ينبغي أولا أن نعالج إشكالية اختيار المنهج؟ فنحن نعلم أن لكل مدونة طبيعة تفرض عليها انتقاء هذا المنهج دون

ذاك، فقد يفتح هذا الباب على مصراعيه أمام طلبة جدد قد يتطاول بعضهم على القرآن الكريم ولو بحسن نية، فنجدهم مثلا يسعون إلى تطبيق المنهج التفكيكي على سورة ما، أو حديث نبوي معين، مع العلم أن هذا لا يصلح؛ لأن بعض النقاد يرون أن هذا المنهج لا يصلح لقراءة الشعر، فكيف بهم وهم يجرون مقاربات وقراءات على سورة من القرآن، أو حديث للرسول عليه الصلاة والسلام!؟

محاولة إيجاد بيئة مناسبة

هذه الإشكالات والقضايا التي أردت أن أثيرها فيما سبق، لا تعني بالضرورة أن نبقى بعيدين عن محاولة الفهم والتوغل أكثر في معاني كلام الله، ولا في حديث نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن يبقى الأمر مقتصرا على التعبد والتلاوة والتشريع فقط، وإنما تعني أن نتعامل معهما بحذر وحيطة كبيرين، خاصة على الصعيد الإجرائي للمناهج، وذلك بأن نحاول في كل مرة العودة إلى علوم الدين والتشريع والتفسير وحتى الإعجاز.

عباس الجراري

وعلينا أيضاً أن نتعامل مع المنهج في شقه التطبيقي ليس فقط ونحن نجرده من حمولته الفلسفية وخلفياته المعرفية، بل نضع كذلك نصب أعيننا هذه الدعائم التي ارتكز عليها كي لا نخطئ في التعامل مع القرآن الكريم ولا مع الحديث النبوي الشريف؛ لأن النظر إلى المنهج بعين تجريدية هي نظرة قاصرة كما ذكر عباس الجراري في كتابه خطاب المنهج، حيث وصف التعامل مع المنهج أنه مجرد وسيلة للبحث عن المعرفة وفحصها لا تمثل إلا جانبا واحدا من المنهج سماه الجانب المرئي. وقال: إن هناك جانبا آخر غير مرئي باعتبار المنهج أولا وقبل كل شيء وعيا ينطلق من مفاهيم ومقولات وأحاسيس ذاتية.

ويبقى السؤال هو سيد الموقف في نهاية هذا المقال: لماذا لا نسعى لوضع منهج بديل ينطلق من النص العربي، ويراعي خصوصيته وطبيعة مواده وخلفياته وخاصة أن مجتمعاتنا العربية عامرة بقامات كبيرة في الفكر والنقد، وتراثنا الأدبي والنقدي زاخر بمختلف الموارد الفلسفية؟ ■

يا عرب.. القدس متى غده؟

عبير حسين إبراهيم - مصر

يا عربُ.. القدسُ متى غده
(أقيام الساعة موعده)
كم زلزل أركان الدنيا
(أسف للبين يردده)
وبكت في الأفق مآذنه
(مما يرعاه ويرصده)
مسرى المختار وقبلتنا
(بالدمع يفيض مورَّده)

ثمار الغرس

د.أبو فراس النطافي- الأردن

لا تقولوا إني من النور طيف
وشح الليل بالحرير المحبَّرْ

لا تقولوا إني من النار هيف
لوحت حلة الربيع المنوَّرْ

لا تقولوا هذا ولا ذاك عني
لست نوراً ولست ناراً تدمِّرْ

أنا إنسان من دم وشعور
أفعل الخير والأذى لست أكثَرْ

أنا بالود خادم لوجودي
طيب النفس ما أسر وأجهَرْ

ومنار على الشواطئ يهدي
سفن الخير حين ترسو وتبحِرْ

ينظم الحبُّ والرعاية مني
لجيود المها قلائد جوهَرْ

وريـاحينَ غضة من وداد
في قلوب العباد تزهو وتزهِرْ

وسموم الحياة توجد مني
حرداً بالضمير والعرف يسخَرْ

غصة تنفث السخام وترمي
خيرة الناس بالخنا والمنكَرْ

أنا لا أركب الذنوب وحيداً
عالم الشر قد أعد ودبَّرْ

فيَّ زهر من الحياة وشوك
ودم من أبي وأمي تحدَّرْ

أنا مرآة يبصر الناس فيها
صوراً من حياتهم فيَّ تظهَرْ

فالذي يبذر القتاد يلاقي
إبراً في الحياة أنكى وأخطَرْ

والذي يغرس الأزاهير يجني
من ثمار الغراس أشهى وأكثَرْ

غير ذا يأنف الضمير ويأبى
خفقانُ الفؤاد أن يتصوَّرْ

مخطئ من يظن أني ضعيف
في أيادي الطغاة أطوى وأكسَرْ

«من رآني أهون فليقبر الشمـ
ـس فإني كوجهها لست أقبَرْ»

أنا نور من الإله تحدى
قوة الشر أنه ليس يقهَرْ

بروتوكولات صهيون (*)

د. نعمات أحمد فؤاد - مصر

مهما قالت شعوب الأرض في اليهود من خلال عقولها المفكرة، فلن تبلغ في تصوير جناياتهم عليها، ما بلغه كتابهم البشع «بروتوكولات صهيون» من وصف شرهم المستطير الذي يتهدد البشر جميعا.

وهي تتلخص كما يقول الأستاذ العقاد «في تدبير الوسائل للقبض على زمام الصيرفة، وفيها تفسير للمساعي التي انتهت بقبض الصيارفة الصهيونيين على زمام الدولار في القارة الأمريكية ومن ورائها جميع الأقطار. وتفسير إلى جانب ذلك للمساعي الأخرى التي ترمي إلى السيطرة على المعسكر الآخر من الكتلة الشرقية وانتهت بتسليم ذلك المعسكر إلى أيدي أناس من الصهيونيين أو الماديين الذين بنوا بزوجات صهيونيات يعملن في ميادين السياسة والاجتماع.

وتتعدد رسائل الفتنة التي تمهد لقلب النظام العالمي وتهدده في كيانه بإشاعة الفوضى والإباحة بين شعوبه، وتسليط المذاهب الفاسدة والدعوات المنكرة على عقول أبنائه، وتفويض كل دعامة من دعائم الدين أو الوطنية أو الخلق القويم.

جاء هذا في مقال للأستاذ العقاد نشره في جريدة الأساس في ١٩٥١/١١/٢٣م وقد صدرت به الترجمة العربية لكتاب «بروتوكولات صهيون».

ومما جاء في البروتوكول الخامس: «لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأممين - اصطلاح يطلقونه على غير اليهود - الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا». وهذه العبارة تكشف عمرهم التاريخي أي بعد ظهور الحضارات القديمة ونضجها. نعود إلى البروتوكول الخامس «نحن أقوياء جدا، فعلى العالم أن يعتمد علينا، وإن الحكومات لا تستطيع أبدا أن تبرم معاهدة ولو صغيرة دون أن نتدخل فيها سرا».

ويجب الحصول على احتكار مطلق للصناعة والتجارة ليكون لرأس المال مجال حر، وهذا ما تسعى لاستكماله فعلا يد خفية في جميع أنحاء العالم، ومثل هذه الحرية ستمنح التجار قوة سياسية، وهؤلاء التجار سيظلمون الجماهير بانتهاز الفرص «ص١٣٤-١٣٥».

ويتضح هذا في البروتوكول السادس الذي جاء فيه: ولكي نخرب صناعة الأممين، ونساعد

(*) المسلمون، العدد ٣٧٩، تاريخ ١٤١٢/١١/٦هـ، ٨ مايو ١٩٩٢م.

المضاربات، سنشجع حب الترف المطلق الذي نشرناه من قبل.. وسنزيد الأجور التي لن تساعد العمال، كما أننا في الوقت نفسه سنرفع أثمان الضروريات الأولية متخذين سوء المحصولات عذرا عن ذلك، كما سننسف بمهارة أيضا أسس الإنتاج ببذر بذور الفوضى بين العمال، وتشجيعهم على إدمان المسكرات.

وفي الوقت نفسه سنعمل كل وسيلة ممكنة لطرد كل ذكاء أممي «غير يهودي» من الأرض، ولكي لا يتحقق الأمميون من الوضع الحق للأمور قبل الأوان سنستره برغبتنا في مساعدة الطبقات العاملة على حل المشكلات الاقتصادية الكبرى، وإن الدعاية لنظريتنا الاقتصادية تعاون على ذلك بكل وسيلة ممكنة «ص١٣٩».

والسر الثاني: وهنا أعود مرة أخرى إلى البروتوكول الخامس: أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية في البلاد حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر بوضوح في ظلامها المطبق، وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضا «ص١٣٦».

وفي ميدان السياسة يقول البروتوكول الثامن: سوف نعهد بالمناصب الخطيرة إلى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم كي تقف مخازيهم فاصلا بين الأمة وبينهم. وكذلك سوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين إذا عصوا أوامرنا توقعوا المحاكمة والسجن.. والغرض من كل هذا أنهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير الذي تنفث صدورهم به «ص١٤٣».

وقبله في البروتوكول السابع يقول حكماء صهيون: في كل أوروبا وبمساعدة أوروبا!! يجب أن ننشر في سائر الأقطار، الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة، فإن في هذا فائدة مزدوجة: فأولا سنتحكم

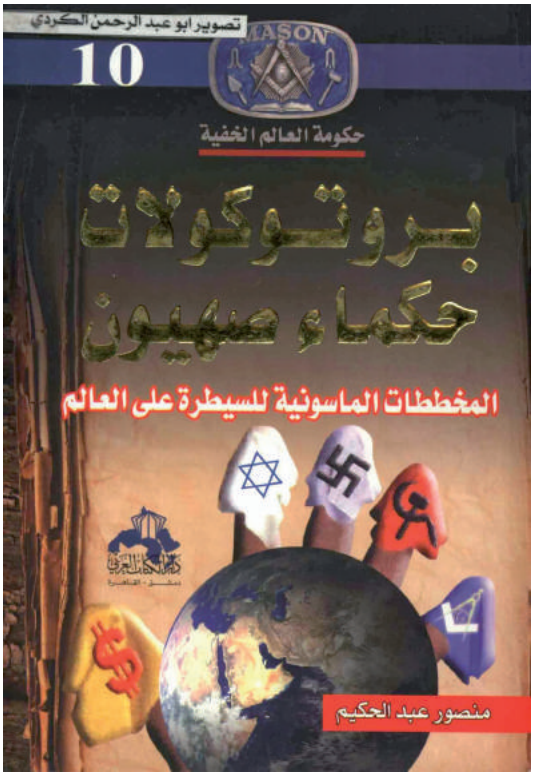

بهذه الوسائل في أقدار كل الأقطار التي تعرف حق المعرفة أن لنا القدرة على خلق الاضطرابات كما نريد، مع قدرتنا على اعادة النظام.

وثانيا: فالمكائد والدسائس، سوف نصطاد بكل أحابيلنا وشباكنا التي نصبناها في وزارات جميع الحكومات، ولم نحبكها بسياستنا فحسب، بل بالاتفاقات الصناعية والخدمات المالية أيضا.

ولكي نصل إلى هذه الغاية يجب علينا أن ننطوي على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات، ولكننا فيما يسمى «اللغة الرسمية» سوف نتظاهر بحركات عكس ذلك، كي نظهر بمظهر الأمين المتحمل للمسؤولية. وبهذا ستنظر إلينا دائما، حكومات الأمميين - التي علمناها أن تقتصر في النظر على جانب الأمور الظاهرة وحده - كأننا متفضلون ومنقذون للإنسانية «ص١٤٠».

وبايجاز من أجل أن نظهر استعبادنا لجميع الحكومات الأممية في أوروبا سوف نبين قوتنا لواحدة منها متوسلين بجرائم العنف، وذلك هو ما يقال له: حكم الإرهاب. وإذا اتفقوا جميعا ضدنا فعندئذ سنجيبهم بالمدافع الأمريكية أو الصينية أو اليابانية«ص١٤١». أي يشعلون الحروب العالمية!.

وجاء في البروتوكول العاشر: إذا أوحينا إلى عقل كل فرد أهميته الذاتية فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأمميين، ونفسد أهميتها التربوية، وسنعوق الرجال ذوي العقول الحصيفة عن الوصول إلى الصدارة.. وإن العامة - تحت إرشادنا - ستبقى تؤخر أمثال هؤلاء الرجال، ولن نسمح لهم أبدا بأن يقرروا لهم خططا «ص١٥٠».

وفيه أيضا: لقد اعتاد الرعاع أن يصغوا إلينا نحن الذين نعطيهم المال لقاء سمعتهم وطاعتهم.. وبهذه الوسائل سنخلق قوة عمياء إلى حد أنها لن تستطيع أبدا أن تتخذ أي قرار دون إرشاد وكلائنا الذين نصبناهم لغرض قيادتها «ص١٥١».

وجاء في البروتوكول الحادي عشر: أن الأمميين - أي غير اليهود - كقطيع من الغنم، وأننا ذئاب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة؟ إنها تغمض عيونها عن كل شيء.. وإلى هذا المصير سيدفعون. فسنعدهم بأننا سنعيد إليهم حرياتهم بعد التخلص من أعداء العالم، واضطرار كل الطوائف إلى الخضوع.. ولست في حاجة ملحة إلى أن أخبركم إلى متى سيطول بهم الانتظار حتى ترجع إليهم حرياتهم الضائعة.

يا إلهي أي شيطان يتقمصهم؟! أو أي سبب كما يقولون: «أغرانا بابتداع سياستنا وبتلقين الأمميين إياها؟ لقد أوحينا إلى الأمميين هذه السياسة دون أن ندعهم يدركون مغزاها الخفي، وماذا حفرنا على

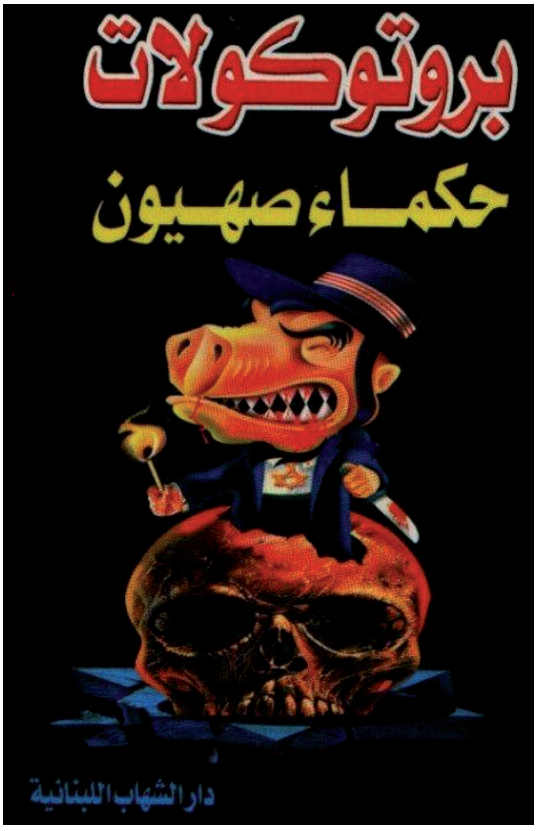

هذا الطريق للعمل وإلا عجزنا ونحن جنس مشتت عن الوصول إلى غرضنا بالطرق المستقيمة، بل بالمراوغة فحسب.

هذا هو السبب الصحيح.. والأصل في تنظيمنا للماسونية التي لا يفهمها أولئك «الخنازير» «Swine» من الأمميين، ولذلك لا يرتابون في مقاصدها التي أوقعناهم في كتلة محافلنا التي لا تبدو شيئا من الماسونية كي نذر الرماد في عيون رفقائهم «ص١٥٩».

يطول بي الاقتباس اذا تعقبت هذا الفحيح في بروتوكولات صهيون.. ولكن ما أوردته من أمثلة كفيلة بأن: تفتح عيوننا كي نتدبر أمرنا.. ونعيد حساباتنا ونتدارك تخاذلنا.. وتفككنا وصراعاتنا لعلنا نلملم صفوفنا، ونرأب صدعنا، ونوحد كلمتنا، ونجمع أمرنا في وجه عدو إن تمكن لا يبقي ولا يذر. عدو نفاث للشر والشرر■

عزف على وتر اليأس

سالم بن رزيق بن عوض - السعودية

اليَأسُ فَتّتَ مُهْجَتِي وَفُؤادِي ... وطَغَى على الأمَلِ القَرِيبِ سَوَادِي

لَمْ يَلْقَ فِي دَرْبِي سِوَايَ وَلَمْ تزَلْ ... خَلْفَ المَجَرَةِ هِمّتِي ومُرَادِي

أَرْنُو إِلَى الأُفُقِ البَعِيدِ وَفِي دَمِي ... بَحْرٌ مِن الأَلَمِ الأَلِيمِ يُنَادِي

أَكَلَ القُنُوطُ حشاشتِي وَعَباءَتِي ... وَاقْتَصَ مِنْ عَظْمِ الرَمِيمِ وَزَادِي

غَارَتْ عَلَى مَرْأَى العُيُونِ جَدَاوِلي ... وَتَبَلْقَعَتْ رَغمَ الخَصِيبِ وِهَادِي

وَدَهَتْ دَوَاهِي العَصْرِ كُلَّ لَذَائِذِي ... وَتَفَرْعَنتْ فِي خَافِقَيَّ شِدادِي

وَاهْتَاجَت الأَغْلالُ فِي دَرْبِ المُنَى ... تَطْغَى وَتَلْوِي عُدَّتِي وَعَتَادِي

وَرَأَيتُ فِي وَجْهِ القُنُوطِ سَعَادةً ... سَودَا وَدَربِاً مِنْ سَوادِ قَتَادِ

شَرَعَ الزَّمَانُ عَلَيَّ حَرْبَ إِبادَةٍ ... وإِليَّ صَوَّبَ نَارَ شَرٍّ زِنَادِ

* * *

أَنَّى اخْتَفَيْتُ أَقَامَ يَبْحَثُ فِي المَدَى ... وَيُفَتِشُ الأَجْوَاءَ عَنْ أَصْفَادِي

وَيَرَى الوَرَى حَوْلِي فَلا يُغْوِي الوَرَى ... وَتَرَاهُ يُبْحِرُ فِي يَتِيمِ وِدَادِي

يَسْعَى، يَحُثُّ الخَطْوَ، يَمْشِي، لا يَرَى ... غَيْرِي يَصُبُّ الهَمَّ فِي إِنْكَادِي

وَتَرَاهُ يَزْأَرُ فِي الضُلُوعِ وَيَنْتَشِي ... يَلْهُو يَزُفُّ إِلى الضَياعِ جِهادِي

وَيُسَرْبِلُ الأَيامَ يَمْحَقُ نُورَها ... وَيُسَاعِدُ الإِظْلامَ فِي إِبْعَادِي

وَيُدَمْدِمُ الجَوّ المُلفّعِ بالعَنَا ... نَحْوِي يَبِيعُ مِن السّرابِ سُهَادِي

يَأْوِي إِلى رُوحِي، يَهُدُّ صَلابَتِي ... وَيُشَجِعُ الأَهْوَاءَ فِي إِفْسَادِي

وَيَكَادُ يَنْحَرُ مَا تَبَقَى فِي المدَى ... مِنِّي! يُمِيتُ مِن الهَنَاءِ عِنادِي

* * *

أَنَّى اتّجَهتُ أَرَاهُ فِي شَتّى الدُّنا ... فَوقَ الحَقِيقةِ تَحْتَ كُلّ جَمَادِ

يَلْوِي تَبَارِيحِي وَيَحْفِرُ لَحْدَهُ ... يُلْقِي ضَيَاعَ العُمْرِ فَوقَ وِسادِي

وَيُرَجِلُ الحُزنَ الدّؤوبَ على المَدَى ... فِيَّ وَيَنْفُخُ فِيهِ رُوحَ فَسَادِ

حُرٌّ! عَلَى قَلبِي المُقَيدِ بَالوَنَى ... يَرْوِي مِن السمِ الزعَافِ مِدَادِي

وَيُعَطِلُ الإِحساسَ فِي غَسَقِ الدّجَى ... شَهْمٌ عَلَيَّ يَجُودُ فِي إِبرادِي

وَيُفَجِرُ الهَمّ القَرِيبَ وَينثني ... يَطْوِي على فَقْرِ الزمانِ سَدادِي

مازالَ فِي جِسْمِي جُؤَارُ صُراخِهِ ... مازالَ فِي الأَكْوابِ فَضْلُ مَزَادِي

لَمْ تَبْقَ فِي رُوحِي الحَياةُ تَقُودُها ... أُمْسِي وَأُصْبِحُ فِي رَمادِ رَمادِي

مُتَماوِتٌ فِي هِمَتِي وَسَلامَتِي ... أَشْقَى البَرِيّةِ يَقْظَتِي وَرُقَادِي

وَأَذُوبُ فِي دَرَجِ الضَياعِ مُسافِراً ... فِي غُرْبَتِي أَحْدُو لِغَيْرِ مُرادِي

لَولا بَقِيَّةُ فَضْلِ صَبْرٍ صادِقٍ ... لَتَرَكْتُ لليَأسِ العَظِيمِ قِيادِي

فلسطين في الشعر الجزائري الحديث

تعد القضية الفلسطينية واحدة من أبرز القضايا التي اهتم بها شعراء الجزائر، فقد رافق الشعر العربي الجزائري قضية فلسطين منذ ظهورها على المسرح العالمي في العشرينيات من القرن الماضي، وكان الشعراء يستغلون كل مناسبة لتأييدها، وقد تابعوها في جميع مراحلها وأطوارها المختلفة منذ إعلان »وعد بلفور« سنة: ١٩١٧م، مرورًا بانتفاضات الشعب الفلسطيني في الثلاثينيات، ثم رفضه قرار التقسيم.

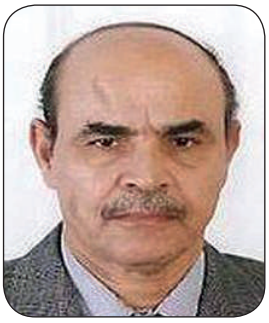

محمد سيف الإسلام بوفلاقة - الجزائر

وقد وقف شعراء الجزائر إلى جانب فلسطين والعرب أثناء حرب: ١٩٤٨م، ونكسة: ١٩٦٧م، ثم تجاوبوا مع انتصارات الثوار الفلسطينيين، وأبطال المقاومة، وأطفال الحجارة بعد ذلك حتى اليوم. فمن يطلع على النتاج الأدبي الجزائري يلاحظ أن الشعراء الجزائريين لم يكونوا معزولين عن قضايا أُمتهم العربية، على الرُّغم من الجدار الحديدي الذي ضربه حولهم الاستعمار الفرنسي منذ الاحتلال سنة ١٨٣٠م، وحتى الاستقلال سنة ١٩٦٢م، لأنَّ صلة الشاعر الجزائري بالمشرق العربي وقضاياه ومشاغله صلة وطيدة وعريقة، وتأتي قضية فلسطين في الصدارة، بحيث لا نغالي إذا قلنا: إن النتاج الأدبي الجزائري، شعرا ونثرا، في القرن الماضي دار في معظمه حول ثلاثة محاور: الوطنية والعروبة، والوحدة العربية، وفلسطين.

ولسنا في حاجة إلى أن نعدّدَ الروابط التي تربط بين فلسطين والجزائر منذ فجر التاريخ العربي حتى الآن، كما أنَّه لا حاجة بنا إلى أن نقارن بين واقع فلسطين بعد أن تآمر عليها الاستعمار والصهيونية العالمية، وبين الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، فكلاهما عرف الاستعمار الاستيطاني، وذاق الإرهاب بِشَتَّى صوره وأشكاله، وتعرّضَ لِمُحَاولات القضاء على مقوماته الأصلية من لغة ودين وتاريخ وحضارة، بل عرف أخطر من هذا، محاولة إلغاء كيانه ومحوه من الوجود، وهذا هو ما يفسر اهتمام الشعراء الجزائريين بنكبة فلسطين، وكان إحساسهم حادا عنيفا ضد الاستعمار والصهيونية والتسلط والغزو الأجنبي.[١]

ويجيء هذا الكتاب: «فلسطين في الشعر الجزائري الحديث»[٢] للباحثة فاطمة الزهراء بن يحيى، ليؤكد على أن الشعر الجزائري ركز بشكل كبير على القضية الفلسطينية منذ العشرينيات من القرن المنصرم، ومازال يتفاعل مع تطوراتها إلى أيامنا هذه.

يتضمن الكتاب ثلاثة فصول مع مقدمة، وتمهيد، وخاتمة.

في مقدمة الكتاب شرحت المؤلفة أهمية موضوعها وإشكاليته، فأشارت في البدء إلى أن قضية فلسطين تعد أهم قضية على الساحة العربية، ولا تجاريها أية قضية

أخرى في الوطن العربي، فقد ظلت هذه القضية منذ بدايتها المحك الرئيس لمدى التزام أبناء الأمة العربية بقضايا أمتهم، كما أنها ما تزال الملهم الأساس لكتابها وشعرائها الذين هبوا للدفاع عنها، ولإظهار الأخطار الصهيونية المحدقة بها، وبالأمة العربية جمعاء.

وفي توضيحها لإشكالية البحث تقول الباحثة فاطمة الزهراء بن يحيى: «لقد دفعتنا هذه الأهمية إلى جانب ما تمر به الأمة العربية في مرحلتها الحالية من تمزق وتشتت وصراعات، وما يمر به الشعب الفلسطيني من تشريد وتهجير وتقتيل، وتقطيع أوصال أرضه وتهويدها، يهدف بالدرجة الأولى إلى تصفية مقاومته المسلحة وإخراجها من معاقلها الأمامية، ونزع البندقية من يدها أمام صمت عربي فاضح، وتهريج صاخب باسم السلام ومشاريعه، إلى طرح إشكالية البحث المتمثلة في: إذا كان الشعراء العرب الذين عاصروا القضية الفلسطينية- منذ وعد بلفور إلى الآن- قد تصدوا بدرجات مختلفة إلى كل المؤامرات الداخلية والخارجية التي كانت سبباً لكثير من النكبات، فإن شعراء الجزائر وعلى الرغم من الحصار الذي ضرب عليهم قبل الاستقلال، وعدم الاهتمام بإبراز دورهم في معالجة القضية، قد لعبوا دوراً فعالاً ورائداً على الساحة العربية وهو ما يحث على التطرق إليه لإبرازه.»[٣]

خصصت المؤلفة الفصل الأول من الكتاب لرصد «القضية الفلسطينية في الشعر الجزائري الحديث قبل الاستقلال»، فتوقفت في البدء مع وعد بلفور ونتائجه، وأشارت إلى ما كتبه الشاعر عبد الرحمن بن العقون عن هذا الوعد، كما أشارت إلى تعريض الشاعر محمد العيد آل خليفة بغدر الانجليز وتآمرهم مع الصهاينة في أسلوب كله سخرية واستهزاء.

وتنبه المؤلفة حينما رصدت الشعر الجزائري الذي كُتب عن فلسطين من (١٩٣٠-١٩٤٨م) إلى أن الكثير من الشعراء الجزائريين لمسوا خيوط المؤامرة على فلسطين، ففي سنة ١٩٣٠م كتب أحد الشعراء الناشئين -لم يذكر اسمه- قصيدة تزخر بالمشاعر النابضة والإيحاءات النافذة.

وقد سعى في تلك الفترة عدد كبير من الشعراء إلى توعية الجماهير بالمخاطر المحدقة بفلسطين، وبعد الأحداث التي وقعت سنة ١٩٢٩م، نتيجة لازدياد النفوذ الصهيوني في القدس كتب الشاعر عبر الرحمن العقون قصيدة اشتهرت فيما بعد أيما اشتهار وسمها «آه على أمة القدس التي بسطت للجار إحسانها»، يقول في مطلعها:

أمن الكوارث أزمات نعانيها
أم من تذكر من تهوى معاليها
أرقت حزناً ومنك البال مضطرب
والقلب خاض بحاراً لا يُجاريها

كما قام الشاعر بتوضيح مساعي الصهاينة التي ظهرت في المؤتمر اليهودي سنة ١٩٢٩م، والتي تعهد فيها عدد كبير من الصهاينة بالتبرع بأموال ضخمة لإقامة وطن يهودي على أرض فلسطين، ومن بين ما قاله في هذا الشأن:

قامت لصهيون ثلة طغت بثرى
تبتاع من أمة الهدى أراضيها
تنوي إقامة دولة ومملكة
وما درت أن ذا مضى بماضيها

ومن بين الشعراء الذين تفاعلوا مع التطورات التي وقعت في فلسطين في تلك المرحلة بشكل كبير محمد العيد آل خليفة الذي عبر عن رفضه للتقسيم، إضافة إلى الشاعر أحمد سحنون الذي كتب الكثير عن مأساة فلسطين وجراحها.

وفي تعليقها على الخصائص الفنية التي طبعت الشعر الجزائري الذي كُتب عن فلسطين في تلك الفترة تذكر المؤلفة أن شعرهم اتسم بالحماسة والرفض في تناولهم للصراع وما نتج عنه من تطورات خطيرة، كما تميزت بعض الأشعار بالضعف من ناحية الشكل والجودة والمضمون.

وترى المؤلفة أن التطورات التي وقعت سنة ١٩٤٨م بعد النكبة أعطت الشعراء الجزائريين نفساً جديداً للخروج من الدائرة التي كانوا يدورون فيها، وجعلتهم أكثر التزاماً وأكثر واقعية في توعدهم بالأخذ بالثأر والانتقام لفلسطين التي اعتبروها قضية كل العرب الأولى.

ومن أبرز الشعراء الذين كتبوا عن فلسطين في تلك الفترة الشاعر عبد الكريم العقون الذي كتب الكثير قبل النكبة وبعدها، وكان ينادي قبل وقوعها إلى ضرورة توحيد الصف، وتحقيق الوحدة العربية، ونصرة الشعب الفلسطيني.

وتأثر الشاعر عبد الوهاب بن منصور بما وقع لفلسطين، وكتب مجموعة من القصائد التي يطبعها الحزن والألم الشديد على ما وقع لفلسطين الحبيبة، من بينها قصيدة بعنوان «قم في الحشود» كتبها سنة ١٩٤٩م، مطلعها:

قم في المحافل منشدا
شعراً يذيب الجلمدا

وقد عاصر الشاعر محمد جريدي مأساة فلسطين، وكتب أشعاراً كثيرة شرح فيها أسباب الهزيمة وفق رؤيته الخاصة للتطورات التي وقعت مع بداية العشرينيات.

وكتب الشاعر صالح خرفي الكثير من القصائد عن فلسطين وربطها بواقع الجزائر، وأكد على ضرورة الوحدة بين مختلف الأقطار العربية في وجه أعداء الأمة.

ومن أهم ما أكدت عليه المؤلفة في ختام هذا الفصل أن الشعر الجزائري الذي كُتب عن فلسطين في تلك الفترة أصبح شعاراً للوحدة العربية، وقد تجاوب بشكل كبير مع الأحداث التي وقعت في فلسطين على الرغم من الحواجز التي وضعها الاستعمار الفرنسي لعزل الشعب الجزائري عن قضايا أمته العربية.

محمد العيد آل خليفة

في الفصل الثاني من الكتاب تناولت المؤلفة «القضية الفلسطينية في الشعر الجزائري الحديث بعد الاستقلال»، أي استقلال الجزائر عن الاستعمار الفرنسي سنة ١٩٦٢م، وقد افتتحت هذا الفصل بالإشارة إلى أن شعراء الجزائر أدركوا بعد استقلال الجزائر أن المشوار لم ينته، حيث ظلوا يؤكدون على أن اكتمال استقلالهم مرتبط بتحرير الأراضي الفلسطينية، فمهمتهم على درب النضال لم تنته، فالشاعر والمناضل الكبير أبو القاسم خمار مثلا، كتب سنة ١٩٦٢م قصيدة بعنوان «هتاف الجزائر»، عبر فيها عن فرحته باستقلال وطنه الجزائر بعد التضحيات الكبيرة التي قدمها أبناء الشعب الجزائري، غير أن فرحته الكبيرة بانتصار وطنه، لم تنسه الآلام التي يعانيها الشعب الفلسطيني، ولاسيما الذين هجروا منه إلى خارج ديارهم، حيث يقول:

أيها النازحون في الليل صبرا
إن آلامكم ستبدع فجراً
ما فلسطين للعروبة إلا
أمل يلهب الجوانح جمرا
أي نصر كسبته في بلادي
ليس نصراً ما دمت أحمل ثأراً

فانهمر يا دم الكفاح بأرجا

ئي ولون شبرا فشبرا

ومن بين الشعراء الذين أكدوا في الكثير من قصائدهم على عودة الشعب الفلسطيني إلى أراضيه التي هجروا منها الشاعر محمد الأخضر السائحي، ولعل أشهر قصائده التي أنشدها الكثير من أبناء الشعب الجزائري قصيدة «حلفنا سنعود» التي كتبها سنة ١٩٦٣م.

كما كتب الشاعر الدكتور صالح خرفي جملة من القصائد التي أظهر فيها حزناً شديداً على ضياع فلسطين، وعلى زرع نبتة خبيثة في قلب الأرض العربية، وظل يؤكد في جميع قصائده على الوحدة العربية لتحقيق آمال الأمة. ومن بين الشاعرات اللاتي كتبن الكثير عن فلسطين الشاعرة مبروكة بوشامة.

ولعل الطابع العام الذي تميز به الشعر الجزائري بعد الاستقلال في معالجته لقضية فلسطين هو رفض الاستسلام والخنوع، والدعوة إلى الاتحاد والتضامن لمواجهة العدو الأول للأمة العربية المتمثل في الكيان الصهيوني، ومن بين الشعراء الذين رفضوا الهزيمة بشدة الشاعر أحمد هويس، ومفدي زكرياء، وخمارو محمد ناصر، وأزراج عمر، وعبد العالي رزاقي.

كرست الباحثة فاطمة الزهراء بن يحيى الفصل الأخير من الكتاب لتسليط الضوء على الخصائص الفنية التي ميزت الشعر الجزائري الذي اهتم بالقضية الفلسطينية، وقد بدا لها أن الشعر الجزائري قد عالج القضية الفلسطينية انطلاقاً من نظرة دينية وقومية وإنسانية، ولم يقتصر على الشعر العمودي فحسب، بل انفتح على الشعر الحر أيضاً، وقد كان في مجمله ذا دلالات ثورية وروحية خالصة.

وقد حفل الشعر الجزائري بمضامين عميقة، وواكب تطورات القضية الفلسطينية بدقة، وهاجم بعض الحكام المتخاذلين، وصب غضبه على الجرائم الصهيونية المرتكبة في حق الشعب الفلسطيني المقاوم والصامد في وجه المظالم، كما أنه لم ينطلق من نظرة عنصرية وعصبية، بل كان هادفاً وواقعياً في طرحه للقضية الفلسطينية وطرائق حلها من خلال انطلاقه من أسس واقعية يمليها على الشعراء التاريخ والحقائق التي تؤكد حق الشعب الفلسطيني في تحرير كامل أراضيه المغتصبة.

مفدي زكريا

وقد ذهبت المؤلفة في رصدها للأبعاد الإنسانية التي ميزت الشعر الجزائري الذي كُتب عن القضية الفلسطينية إلى أنه مثل ظاهرة إنسانية واحدة، وهي المناداة بالحرية والتحرر، كما مزج بين القضية الفلسطينية والقضايا التحررية في العالم، وتميز برؤيته المقاومة والواقعية الدقيقة.

ومن أبرز الظواهر الفنية التي لاحظتها المؤلفة في الشعر الجزائري الذي تناول القضية الفلسطينية التعبير عن المعاني بأسلوب صريح ومباشر، واستعمال أساليب السخرية في تصوير بعض الظواهر، والاقتباس من القرآن الكريم، والتراث الشعري العربي القديم ■

الهوامش:

(١) للتوسع ينظر:د. عبد الله ركيبي : فلسطين في النثر الجزائري الحديث، مجلة الثقافة الجزائرية، العدد : ٢٧، جوان – جويلية، ١٩٧٥ م، ص : ٣٧ .

(٢) كتاب: فلسطين في الشعر الجزائري الحديث، للمؤلفة فاطمة الزهراء بن يحيى، منشورات طاكسيج، الجزائر،٢٠١٢م. عدد الصفحات: ٢١٦.

(٣) فلسطين في الشعر الجزائري الحديث، ص:٢.

بطل من سراب

عائشة سجيد- المغرب

أنهكه التعب كثيرا، وخدر البرد القارس أطرافه وهو يبحث عن حلم العمر، تتقاذفه الأزقة، فالأحياء.. كلت قدماه، واستنجدت معدته من شدة الجوع، أدخل يده في جيب معطفه فأخرج بعض الدراهم فعدها ثم أعادها، اتجه إلى المقهى المقابل له وهو ينفخ في قبضتيه بالتناوب، وجد المقهى شبه فارغ فتفقد ساعته، إنها الثانية ليلا.. احتمى بزاوية من زوايا المقهى فأتاه النادل الذي بدا له شبه مستيقظ، فسأله بصوت أغرقه الكسل و الخمول حد الثمالة: ماذا تريد سيدي؟

لابد أن الشاب قد أعجبته كلمة سيدي ورفعت من شأنه ولو قليلا، فأجاب: الحساء سيدي النادل لو سمحت.

لكن هذا الإحساس لم يطل، فقد انتظر دقائق كثيرة حتى كاد النوم يسرق وعيه، بعدها ناوله النادل البطيء ما طلبه، فشربها بسرعة فائقة قبل أن يصل النادل حيث يقصد..

يا ثقيل الدم يا هذا.. كم الأجرة؟

أجابه بصوت أكثر ثمالة من الأول: ث..ثلا.. ثلاثة دراهم.

ناوله إياها، فخرج بخطى ثقيلة ربما أثقل من خطى النادل، كانت الرياح جد قوية تتلاعب بالأكياس والأوراق والملصقات التي تفترش الشارع، والسماء ملبدة بالغيوم تبعث على النوم العميق في حضن سرير دافئ. قال في نفسه: «تبا.. كما العادة أدور وأحوم وأطوف لكن بلا جدوى».

أصدر قهقهة عالية رددتها من فوقه السماء الحالكة، وعلى جانبيه البنايات الشامخة والدكاكين التي كانت ترقد في نوم عميق، فهمس في أذن الرياح:

«إني مجنون.. لكني لا أريد أن أستعيد رشدي.. أتعلمين.. لا لا.. لا شيء، فقط دعيني أراقصك وهذه الأكياس والقمامة التي تحومين بها.. أريد أن أكون مجنونا حقيقة، لا أحمل هم صغيرة ولا كبيرة.. ولا أركض وراء حلم ولا حق.. ما أروع الجنون!.. أنا مجنون منذ زمن بعيد، ولي في الجنون إجازات وشهادات ودبلومات.. نعم كنت مغفلا مذ وثقت في هذا العالم.. ثم إني،..».

لطمت ورقة وجهه، فضحك ساخرا من نفسه، فنظر إلى السماء بعدما أمسك الورقة في يده وهو يقول: «عجيب أمر هذا العالم، يحتقرني البشر.. بل حتى القمامة صارت تلطمني.. على الرحب أيتها الهموم، هزيني.. مزقيني.. شرديني إن شئت، أو اقتليني فقد ألفتك..».

وقف فأسند ظهره إلى عمود الكهرباء يلمح السماء الغاضبة في صمت رهيب.. ألقى بجسده المنهك أرضا فأخذ الورقة يقرؤها.. جحظت عيناه فجأة! فقفز من مكانه فرحا يقبل الورقة ويصيح: «مرحبا باللطم إذا كان سيجيء بمثل هذا..»!

قرأها من جديد: «مطلوب وجوه جديدة في تمثيل مسرحية، ويشترط في المترشح للدور: إتقان اللغة العربية الفصحى + شهادة في التكوين المسرحي –على الأقل– وذلك قبل العشرين من أكتوبر.»

هلل وكبر، فأخذ يركض إلى بيته: إنه أنا بالطبع، ومن غيري سيتقن ذلك!؟.. مرحى سأصبح ممثلا! مرحى لحلم العمر مرحى!..

دخل بيته مسرورا وقد تلاشى همه تماما، وكانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحا، نظر إلى نفسه في المرآة فرأى في عينيه احمرارا شديدا من شدة التعب، فقال: «لابد أن أنام قليلا، فهذا مظهر مرعب لا يليق بممثل.. ولكن مهلا سأعد المستلزمات والملابس التي سأرتديها، فاليوم آخر أجل..».

عندما أعد كل ما يلزمه كانت الساعة تشير إلى الرابعة صباحا، انكمش فوق سريره، فنام على أمل أن يستيقظ الساعة السابعة صباحا أو قبل، بعدما ضبط المنبه.. كان جد منهكٍ ومتعبٍ، فهو لم ينم منذ يومين من فرط الأرق.

مرت ثلاث الساعات بسرعة البرق، فرن المنبه.. ليلقي بيده الثقيلة عليه فيسكته دون وعي.

■ ■ ■

ارتدى ملابسه، أخذ أوراقه خفيفا نشيطا، بدا لنفسه أوسم من ذي قبل، انطلق بخفة تحفه السعادة من كل جانب. وصل للمقر.. كل المترشحين ينظرون إليه.. الأنظار من كل ركن تتجه إليه، فعلت همته، وزاد إعجابه بنفسه أكثر من ذي قبل، تفقد أوراقه من جديد.. «نعم كل شيء مضبوط تماما.. أنا البطل..!» جلس بالقرب من شاب ممتلئ، عريض الكتفين، طويل القامة، عبوس الملامح، دنا منه فسأله:

-ما كل هذه الوجوه؟ ولماذا المكان محتقن هكذا..؟ لا تقل: إن كل هؤلاء سيجربون حظهم؛ فقد لا أصدقك!.

رمقه الشاب بنظرة كالسهم، وأطلق قهقهة هزت المكان، وحولت إليه كل العيون، وقال:

- وماذا تخال يا...

- سعيد.. نعم سعيد.

- يا سعيد.. إنها فرصة العمر لكل هؤلاء العاطلين.. لقد حضر كل من سمع بأمر هذه الفرصة من قريب وبعيد، وتوافرت فيه الشروط.. أخوك له دكتوراه في التاريخ، وأتقن ست لغات، ولي شهادات كثيرة في هذا المجال، لكن حظي ضرب شهاداتي وخبرتي في الصفر..

أخذ الحاضرون يدخلون قاعة الاختبار واحدا واحدا.. فحان دور سعيد.. كان أداؤه رائعا، صفق المختبِرون معجبين بما أداه، فقال أحدهم: «إني أضمن لك دور البطولة يا سعيد.. إنك ستبهر الجمهور حقا..!

■ ■ ■

فتح عينيه مذعورا.. فرك مقلتيه.. فركها.. ثم فركها.. إنها الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً، لم يستطع تصديق ما حصل..! فخرج مهرولا والأوراق تحت إبطه دون أن يغير ملابسه التي جاب بها شوارع المدينة واحدا واحدا.. حينما وصل وجد المقر فارغا، لم يكن فيه إلا رجل واحد، ذو بذلة رمادية اللون، يحمل حقيبة بنية في يده.. ركض سعيد نحوه، أنفاسه كادت تسلك آذانه، يلهث في توسل وتضرع:

- س... س.. سي.. أرجوك سيدي لقد تأخرت رغما عني.. و..

رماه الرجل بنظرات مهملة ينمقها الكبر واللامبالاة، وقال:

- لقد توقفنا عن استقبال الملفات، كان عدد الأشخاص كبيرا جدا، وكأن أهل المدينة كلهم جاؤوا.. أخذنا ما يكفي وأغلقنا الموضوع!.

- لكن..

- قلت: انتهى.. وكفى!

لم يرد سعيد ببنت شفة بعد ذلك، فاضت عيناه.. وعاد أدراجه منكسرا، وهو يندب حظه العاثر في قرارة نفسه، ويمزق شهاداته واحدة بعد أخرى.. كما تمزقت أحلامه!■

عبد الرحمن بن عوف

أمين في أهل السماء، أمين في أهل الأرض

صوت: عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً».

(المدينة المنورة. في رابعة النهار والشمس ساطعة. المدينة ساكنة هادئة. غبار أصفر يبدأ يتصاعد من رمال الصحراء الناعمة – الغبار في مسالك المدينة كأنه عاصفة رملية. ما إن بدأ الناس يتنبهون لهذا الغبار الذي بدأ يحجب الشمس، حتى لامس أسماعهم دبيب هز أركان المدينة.

بعض الرجال يخرجون من المسجد. ينصرفون. أحدهم: صفوان أكبرهم سناً، يتوقف وينظر إلى الأفق رافعاً إحدى يديه فوق رأسه ليحسن الرؤية. يحاول أن يستطلع الجو. ينضم إليه رجل ثان: سعد، ثم ثالث: عمرو.)

صفوان: ما هذا يا سعد؟

سعد: الله أعلم يا شيخ صفوان.

عمرو: هذا غبار أصفر من الصحراء.

صفوان: لعلها عاصفة رملية.

سعد: لم نشهد عواصف في هذا الوقت من العام.

صفوان: وهذا الدبيب الذي يهز أركان المدينة؟

سعد: أهو الزلزال؟

صفوان: الزلزال؟

الثلاثة: اللهم فرج كرباتنا وآمن روعاتنا!.

صفوان: اللهم إنا لا نسألك ردّ القضاء ولكن نسألك اللطف فيه.

(رجل رابع: بكر، يقبل مهرولاً)

بكر: اطمئنوا أيها الإخوة، هذه قافلة آتية من الشام

(ينصرف مهرولاً)

الثلاثة: قافلة تحدث هذه الرجة؟

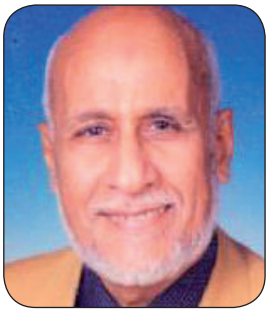

د. حمادة إبراهيم - مصر

(رجل خامس: مالك، يقبل مهرولاً)

مالك: هذه قافلة عبد الرحمن بن عوف آتية من الشام.

(ينصرف مهرولاً – رجل سادس: عمير، يقبل مهرولاً)

عمير: قافلة عبد الرحمن بن عوف.. بها سبع مئة راحلة.

صوت١: سبع مئة راحلة.

صوت٢: سبع مئة راحلة تحمل تجارة من الشام!

عمرو: وصلت قافلة عبد الرحمن بن عوف؟

سعد: نعم. وصلت، هيا لنكون في استقبالها.

(رجل آخر: عبد الله يمر)

عبد الله: ما هذا الذي يحدث في المدينة؟

عمرو: هذه قافلة عبد الرحمن بن عوف تحمل تجارة من الشام.

عبد الله: قافلة تحدث هذه الرجة؟

سعد: نعم! إنها سبع مئة راحلة.

عمرو: هيا نستقبلها. هيا.

الجميع: هيا. هيا!

(صفوان لا يستطيع لكبر سنه أن يلحق بهم – يتوكأ على عصاه ويتبعهم في بطء، يتوقف قليلاً قبل أن يستأنف سيره ليقول بصوت واضح النبرات بعد أن يتأمل الأفق كأنما يبحث عن ذكرى أو مقالة سمعها:)

صفوان: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبْواً».

إظلام

سعد: **(داخلاً البيت وخلفه عبد الرحمن بن عوف)** تفضل يا أخي في الإسلام تفضل يا عبد الرحمن بن عوف.

ابن عوف: **(يدخل متردداً)**

سعد: (مشيراً ومرحباً) تفضل يا عبد الرحمن. هذا بيتك.

ابن عوف: السلام عليكم ورحمة الله.

سعد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. تفضل يا أخي اجلس.

ابن عوف: **(وهو يجلس)** بارك الله لك في دارك يا أخي.

سعد: هي دارك أيضاً يا أخي.

ابن عوف: هذه أخوة الإسلام – الأخوة في الله.

سعد: الحمد لله على نعمة الإسلام.

ابن عوف: الحمد لله على نعمة الإيمان.

سعد: اسمع يا عبد الرحمن. لا حرج في الدين. وهذه وصية رسول الله ﷺ.

ابن عوف: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول.

سعد: اسمع يا عبد الرحمن: تعرف أنني أكثر أهل المدينة مالاً. فلك نصف مالي.

ابن عوف: بارك الله لك في مالك يا أخي.

سعد: ولي امرأتان فانظر من تعجبك حتى أطلقها فتتزوجها.

ابن عوف: بارك الله لك في مالك وأهلك يا أخي.

سعد: هذه هي المؤاخاة التي يؤاخي بها رسول الله بين المسلمين، بين مهاجر من مكة وأنصاري من المدينة.

ابن عوف: بارك الله لك في مالك وأهلك يا أخي. ولكنني أريد منك شيئاً آخر.

سعد: مرني يا أخي.

ابن عوف: أنت من أهل المدينة وأعرف بها مني. فدُلني على السوق.

سعد: عبد الرحمن أنت أخي وضيفي وكل ما تريده من السوق أنا حقيق بأن أوفره لك بعد أن نتناول الطعام إن شاء الله.

ابن عوف: أنا لا أريد السوق لشراء شيء معين يا أخي.

سعد: إذن ما حاجتك للسوق؟

ابن عوف: أريد أن أشتري وأبيع.

سعد: تتاجر يا أخي؟

ابن عوف: وماذا في ذلك؟

سعد: التجارة تحتاج إلى خبرة وأنت لم تمض يوماً كاملاً في المدينة.

ابن عوف: الخبرة موجودة والحمدلله.

سعد: والتجارة تحتاج إلى رأس مال.

ابن عوف: وهذا أيضاً معي.

سعد: يا عبد الرحمن، من أين لك بالمال؟ أنت لا تملك منه إلا دراهم معدودة.

ابن عوف: هذه الدراهم تكفي إن شاء الله. وسترى مني ما يسرك يا أخي بإذن الله.

سعد: يا عبد الرحمن!

ابن عوف: دلني على السوق يا سعد وسترى مني ما يثلج صدرك ويسر فؤادك.

سعد: نتناول الطعام أولاً.

إظلام

سعد: (داخلاً البيت وخلفه عبد الرحمن بن عوف) تفضل يا أخي في الإسلام تفضل يا عبد الرحمن بن عوف.

ابن عوف: (يدخل متردداً)

سعد: (مشيراً ومرحباً) تفضل يا عبد الرحمن. هذا بيتك.

ابن عوف: السلام عليكم ورحمة الله.

سعد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. تفضل اجلس يا أخي.

ابن عوف: (جالساً) ما أشبه الليلة بالبارحة.

سعد: أهلاً بك يا أخي.

ابن عوف: بيتك كما هو يا سعد. كأني به كما دخلته قبل عشر سنين.

سعد: يوم آخى رسول الله بيني وبينك.

ابن عوف: يوم دللتني على السوق. فاشتريت وبعت وربحت، حتى أصبحت من أغنى أغنياء المدينة.

سعد: بارك الله لك في مالك.

ابن عوف: هكذا كان دعاء رسول الله لي ﷺ يوم تبرعت بنصف مالي. قال لي: يا عبد الرحمن، بارك الله لك فيما أنفقت. وبارك الله لك فيما أمسكت.

سعد: صلى الله عليه وسلم.

ابن عوف: ومنذ ذلك اليوم يا سعد، راجت تجارتي وتضاعفت أرباحي بشكل أثار عجبي قبل أن يثير

عجب الناس، حتى لقد رأيتني لو رفعت حجراً لوجدت تحته ذهباً أو فضة.

سعد: أنت تنفق أيضاً يا عبد الرحمن بسخاء يثير عجب الناس أيضاً.

ابن عوف: ولكن رسول الله يا سعد قال لي مرة أخرى: يا بن عوف، أنت من الأغنياء وإنك ستدخل الجنة حبواً. فأقرض الله يطلق لك قدميك.

سعد: وهذا ما يشغلك يا بن عوف؟

ابن عوف: نعم يا أخي.

سعد: مع أنك من العشرة المبشرين بالجنة.

ابن عوف: ولكنني أدخلها حبواً يا سعد.

سعد: تريد أن تدخلها هرولة وجرياً؟!

ابن عوف: مع إخواني وأصحابي.

سعد: لقد قالها لك رسول الله: أقرض الله يطلق قدميك.

ابن عوف: وهل تراني ممسكاً يا أخي؟ والله إني كلما أقرضت الله ضاعف لي أضعافاً كثيرة. حتى إني لا أعرف أعداد مالي ومقدار ما عندي من الذهب والفضة.

سعد: عجباً لك يا بن عوف، الناس يشكون الفقر وأنت تشكو الغنى.

ابن عوف: أليس الغنى هو الذي يقيد قدمي في الجنة؟

سعد: المدينة كلها يا بن عوف تتحدث عن إنفاقك في سبيل الله. من لا يذكر اليوم الذي قمت فيه ببيع أرضك

التي بلغ ثمنها أربعين ألف دينار وزعتها جميعاً على أهلك وعلى أمهات المؤمنين وفقراء المسلمين؟

ابن عوف: اللهم اجعله في ميزان حسناتي.

سعد: ومن ينسى يوم قدّمت لجيوش المسلمين خمس مئة فرس؟ ويوم قدمت ألفاً وخمس مئة راحلة؟

ابن عوف: الله اجعله خالصاً لوجهك الكريم.

سعد: هون عليك يا بن عوف. نفطر إن شاء الله، فنحن صائمان. ولكن طعامنا ليس طعام الأغنياء.

(يخرج سعد لحظة ويعود حاملاً الطعام فيجد ابن عوف يبكي)

سعد: تبكي يا بن عوف على الطعام؟

ابن عوف: أشهد الله أني صائم. ولكن ليس بي شهية للطعام.

سعد: يا بن عوف كنت جائعاً قبل ساعة، ونحن في الطريق إلى هنا.

ابن عوف: والله لقد كنت جائعاً قبل ساعة. ولكنني ما إن رأيت الطعام حتى فقدت شهيتي.

سعد: أمرك عجيب يا بن عوف!

ابن عوف: لقد تذكرت أخي مصعب بن عمير وهو خير مني، حينما استشهد كفنّاه في بردة قصيرة، إن غطت رأسه، ظهرت رجلاه، وإن غطت رجليه ظهر رأسه. وحينما استشهد حمزة، عم رسول الله، وهو خير مني، لم نجد ما نكفنه فيه إلا بردة.

سعد: رحم الله شهداءنا، وألحقنا بهم بفضله وجوده ورحمته.

ابن عوف: ثم بسط الله لنا من الدنيا ما بسط، وأعطانا منها ما أعطانا. وإني لأخشى أن نكون ممن عُجّلت لهم حسناتهم وأذهبوا طيباتهم في الدنيا.

سعد: لماذا خوفك يا بن عوف وأنت ممن بشرهم رسول الله بالجنة؟

ابن عوف: ﷺ. لقد مات وهو سيد الناس، وخير خلق الله، وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير.

سعد: صلى الله عليه وسلم.

ابن عوف: اسمع يا سعد. إن أحمال قافلتي ما تزال فوق رحالها، وهي سبع مئة راحلة أشهدك أنها بجميع ما فيها في سبيل الله. سأقوم بتوزيعها على فقراء المدينة.

سعد: بارك الله لك يا بن عوف.

ابن عوف: وأُشهدك يا بن الربيع أن أهل المدينة جميعاً شركاء لابن عوف في ماله. ثلث يُقرضهم، وثلث يَقضى عنهم ديونهم، وثلث يصلهم ويعطيهم.

سعد: والله لقد وفيت يا بن عوف. فأنت كما قال رسول الله، أمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض. هيا إلى الإفطار إذًا.

ابن عوف: والله إني أخاف أن أُحْبَس عن أصحابي لكثرة ما كان لي من مال.

(تسمع جلبة هرولة في الخارج وأصوات عالية)

صوت١: يا سعد بن الربيع، قُتل عمر بن الخطاب!.

صوت٢: يا سعد بن الربيع، قُتل أمير المؤمنين!.

إظلام

(عبد الرحمن بن عوف وحده يحدث نفسه: إيه يا عبد الرحمن! قُتل أمير المؤمنين. قُتل عمر. والخلافة شاغرة، تنتظر من يشغلها. الخلافة يا عبد الرحمن. لا المال ولا الذهب ولا الفضة ولا الخيل ولا حمر النعم، ولا كنوز الأرض تعدل الخلافة. السلطان يا عبد الرحمن. على الكبير والصغير، والأمير والحقير، والقاصي والداني، في كل بلاد المسلمين. كل بلاد المسلمين طوع إشارة منك. ومن أحق منك بالخلافة؟ أنت الأمين في أهل السماء، وأنت الأمين في أهل الأرض. هكذا قال رسول الله!.

وبذلك تكون الدنيا كلها قد دانت لك: المال والسلطان. فماذا تنتظر؟ ماذا تنتظر يا عبد الرحمن؟ أن يتولى

الخلافة واحد غيرك من الستة الذين اختارهم عمر؟ أنت أحدهم. وأنت أحقهم. أنت ثامن ثمانية في الإسلام. صاحب اليد العليا. ومالُك لا تنعم به وحدك، بل ينعم به أهلك ورحمك وإخوانك والمجتمع كله، تعطي وتقرض وتقضي الدين عن المدينين، هيا! هيا يا عبد الرحمن. الأصابع تشير نحوك يا بن عوف. وبعض الصحابة فاتحوك بأنك أحق الستة بالخلافة.

ولا تنس بلاءك في الإسلام وجهادك: يوم أُحد، أصبت بعشرين جرحاً. بل إن إحدى إصاباتك سببت لك هذا العرج الدائم في إحدى ساقيك. كما سقطت بعض ثناياك فسببت لك هذا الهتم الواضح في نطقك.

هيا يا بن عوف! هيا! هيا! (كالصدى) هيا! هيا! هيا! لحظة. كمن يفيق من كابوس أو حلم مزعج. في قوة وتصميم: لا! لا! لا! كلهم خير مني! كلهم خير مني! كفاني فتنة المال! والله لأن تؤخذ مدية فتوضع في حلقي، ثم يُنفذ بها إلى الجانب الآخر أحب إلي من ذلك. والله لأذهبن من فوري لأعلن تنازلي عن حقي الذي أعطانيه عمر).

إظلام

(عبد الرحمن بن عوف على فراش الموت، وسعد بن الربيع)

ابن عوف: عبد الرحمن بن عوف الذي كان يوماً في الشام، ويوماً في اليمن، وراء تجارته، يبيع ويشتري، ويجمع المال، ويجهز السرايا والجيوش، وينفق، ويعطي، ويصل، ويقضي الديون. هاهو ذا عبد الرحمن بن عوف حبيس الفراش يموت موت البعير.

سعد: ماذا يضيرك يا بن عوف وقد بشرك رسول الله بالجنة؟

ابن عوف: أدخلها حبواً يا بن الربيع. لكم تمنيت أن أفوز بالشهادة لعلها تطلق قدمي. والله إني أخاف أن يحبسني مالي عن أصحابي.

سعد: لقد أنفقت يا عبد الرحمن: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

ابن عوف: وإني أشهدك يا سعد، أني أوصي بخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأوصي لكل من بقي ممن شهدوا بدراً بأربع مئة دينار، وأوصي بخمس مئة دينار لكل واحدة من أمهات المسلمين.

سعد: وهذه عائشة يا بن عوف تريد أن تخصك بشرف لم تخصَّ به غيرك، ولعلها تعبر عن شيء سمعته من رسول الله. إنها تعرض عليك يا بن عوف أن تُدفن في حجرتها بجوار رسول الله، وأبي بكر وعمر.

ابن عوف: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه. هذا كرم من عائشة جزاها الله عني خير الجزاء. هذا شرف لا أستحقه، ومقام لا أرتفع إليه.

سعد: إذًا هو عهدك القديم مع صاحبك عثمان بن مظعون أول من دفن في البقيع من المسلمين؟

ابن عوف: نعم، عثمان بن مظعون أول من توفى من المهاجرين بالمدينة تعاهدنا أيّنا يموت بعد صاحبه، يدفن إلى جواره■

من القيامة الأولى

عادل فرج عبدالعال - مصر

سقط القمر..
وانساب ظلك بين أشجار النخيل ممزقاً،
في الأرض يسعى دفعةً..
أشلاء حلمٍ..
شارد عبر الدخان إلى دمي..
سكتت عصافير المساء..
وخبأتني خلف حبات المطر..
سكن الهواء.. وعانق الموت جناح فراشة..
وارتد صوتك عاريا آهٍ..
ممزقة تشق الصمت..
يحملها جنون الليل حزناً ظامئاً لا يرتوي..
ضيعت وجهك في زحام العائدين إلى السفينة وانكسر..
كنت الحقيقة، والسؤال المستحيل..
وكان جرحي نجمةً مهجورة..
لبست سواد الليل ثوبا.. ثم نامت.. وهي تحلم بالقمر
من يُسكن الموتى ؟!..
ومن يأتي صدى صوتي بظبي سابح في اليم
وحدي.. أنا والرماد / وجهك والمطر
سكت الصدى.. لا صوت.. إلا وقع أقدام الهزيمة في دمى
والأرض راحت في ظلام الليل تبكي وحدتي..
وحدي..
أنا والرماد / وجهك والمطر
رحلت حقول القمح خلف الذاهبين إلى اليباب..
حط الحمام على يدي.. لم يزل خمسون عاما..
لم أرث غير الهزيمة والسؤال.. خمسون عاماً..
لم تزل أمي على صدر الجدار تعلق المفتاح.. لا
تدري.. بأن الدار قد أمست ولا أبواب..
يسكنها عواء الريح والموتى وأوراق الخريف..
نم يا حمام.. تعب الكلام من الكلام..
وبكت عيون الأنبياء فأوجعتني..
كل حزنٍ خلف وجه ضائعٍ قد صار حزني..
كل موتٍ عابر
شُدي إليك نهايتي كي أستعيد بدايتي..
هزي إليك بجذع أحزاني..
وردي القوس..
ضميني إلى حدقات عينيك لتعصمني من
الطوفان والماء..
أعيدي لي خيول البحر..
كي أنسى دمي المنفي
فوجه الأرض.. مذبحة
وعيناك هما.. شمسي

النقد التطبيقي عند حسين علي محمد .. دراسةً وتقويماً

بحث مكمل لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير الموازي في البلاغة والنقد ومنهج الأدب الاسلامي

إعداد الباحث: مساعد بن مطلق نهار المعيلي الحربي

إن حسين علي محمد أستاذ جامعي، وأديب، وناقد، مارس النقد بقسميه التنظيري والتطبيقي. فدراسته النقدية بأنواعها المختلفة مبثوثة في ثنايا كتبه، وفي الصحف والمجلات الأدبية، وهي بحاجة إلى استخلاص طريقته في هذه الدراسات، وآرائه النقدية حول أبرز القضايا التي تناولها.

ولحسين علي محمد دراسات في النقد التطبيقي شاملة لجميع الأشكال الأدبية، بلغت واحدا وثلاثين كتابا، تناول فيها مختلف القضايا النقدية، وبرز فيها اهتمامه بالنقد التطبيقي في الشعر بنوعيه العمودي، والتفعيلة، وأنماط السرد بأنواعها المعروفة: الرواية، والقصة القصيرة، والمسرحية، وأيضا نشر الكثير من البحوث في الصحف والمجلات.

ووقع اختياري على موضوع البحث التكميلي لإنهاء متطلبات برنامج الدراسات العليا لمرحلة الماجستير الموازي: عند حسين علي محمد: دراسة وتقويما، وتكمن الأسباب التي دعتني لدراسة هذا الموضوع في غزارة الإنتاج النقدي لحسين علي محمد، ثم تنوعه، وغلبة الجانب التطبيقي عليه، وبروز الرؤية الإسلامية في نقده، ووضوح تطبيقه لمنهج الأدب الإسلامي.

وهدف البحث إلى الوقوف على أبرز القضايا النقدية التي قام حسين علي محمد في دراستها في نقده التطبيقي للأجناس الأدبية المختلفة التي ذكرناها، واستخلاص خصائص النقد التطبيقي عنده، وحصر القضايا الأكثر حضورا في نقده، ثم تقويم جهوده في النقد التطبيقي.

واعتمدت في دراستي للنقد التطبيقي عند حسين علي محمد على المنهج الوصفي لأنه هو المنهج المناسب للإلمام بجوانب هذا الموضوع، واستفدت من المنهج التاريخي في بعض الأحيان، وخصوصا في تقصي دراسة الظواهر المدروسة من مثل: «دراسته لظواهر التجديد في الشعر العربي، وصولا إلى شعر التفعيلة، والنثيرة (مايسمى قصيدة النثر)، وتطور بعض الفنون السردية كالرواية، والمسرحية.

مساعد بن مطلق الحربي

ومن خلال اطلاعي على المطبوع من الكتب النقدية والرسائل العلمية لم أجد دراسة مستقلة خصصت لدراسة النقد التطبيقي عند حسين علي محمد.

وقد تعددت المحطات التي توقفت فيها مع النقد التطبيقي عند حسين علي محمد، وكثرت الشواهد والمعطيات التي تعاملت معها في رحلتي مع هذا البحث معتمدا على المنهج الوصفي في دراستي النقدية، عبر تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

كان التمهيد لمحة عن حياة حسين علي محمد وسيرته، ولمحة عن جهوده الأدبية والنقدية.

في الفصل الأول استعرضت أبرز قضايا النقد التطبيقي للشعر في ثلاثة مباحث شملت القصيدة العمودية، وقصيدة التفعيلة، والنثيرة (مايسمى قصيدة النثر)، وحددت أبرز القضايا النقدية التي درسها في نقده التطبيقي للشعر مثل: الألفاظ من حيث الدقة اللغوية، والتكثيف والإيجاز، والإيحاء، والمعاني والأفكار من حيث الوضوح والغموض، وصحة المعنى، وملاءمة الألفاظ للمعاني، والعمق والسطحية، والتجديد والابتكار، وعنوان القصيدة ومدى توافقه مع المضمون، والأخيلة والصور، وأوضحت موقفه من بعض الآراء النقدية التي تتعلق ببعض الأشكال الشعرية (القصيدة العمودية، قصيدة التفعيلة)، وبينت طريقته النقدية للشعر، وأحكامه النقدية على الشعراء، وأوضحت موقفه من مصطلح النثيرة، والكتابة فيها، ونقده لبعض الكتابات فيها كنقده لديوان «شحارير بيضاء» لمصطفى النجار، وأوضحت رأيه في مستقبل النثيرة.

واستعرضت في الفصل الثاني، وفي ثلاثة مباحث نقده الفنون السردية من حيث عناصر البناء الفني، ومن حيث الشخصيات، والأحداث، والحبكة الفنية،

د. حسين علي محمد

والزمان والمكان، وطريقة توظيف الكتاب لهذه العناصر، والعناصر الأكثر حضورا في نقده التطبيقي للفنون السردية، وعلى مستوى الرؤية الفكرية، وأوضحت رأيه فيما يجب أن يكون عليه المضمون، من حيث سلامة المعتقد، وبعده عن الأفكار الدنيئة، وقمت من خلال دراستي لنقده التطبيقي على الفنون السردية باستخلاص موقفه من الرواية، والقصة القصيرة، والقصيرة جدا، والمسرحية.

واستعرضت في بعض الأحيان ما يوافقه من آراء لنقاد آخرين في بعض القضايا النقدية في الفنون السردية مثل: اللغة من حيث الفصحى والعامية، والالتزام الإسلامي، وحدود استعمال الرمز، والموقف من استدعاء التراث خصوصا في نقاشه للشخصيات في المسرحية، ومصادر الروايات، والمسرحيات.

في الفصل الثالث قمت بتقويم لجهود حسين علي محمد من خلال ثلاثة مباحث شملت الالتزام الإسلامي، حيث أوضحت موقفه من قضية الالتزام، وأوردت صورا من نقده التطبيقي توضح بعض المآخذ التي سجلها على الشعراء والكتاب وخصوصا تلك التي توحي بفساد في المعتقد، أو بعد عن القيم والأخلاق، وشمل هذا الفصل مبحثا في العمق والسطحية لأنه هو الأقرب في تقويم جهده في النقد التطبيقي، فكتبت بعضا من صور العمق في نقده التطبيقي مثل: طريقة اختياره لأعمال أدبية متماسكة في البناء الفني وسليمة في الرؤية الفكرية لتخضع لدراسته النقدية، وأوردت بعض الشواهد على هذه الاختيارات كما بينت أنه مما يكسب دراساته النقدية الدقة اعتماده خططا محكمة في دراساته النقدية، واعتماده على طريقة منهجية قائمة على الوصف والتحليل واستحضار النصوص، وربطها بالمكونات الثقافية لمبدعها.

وللحكم على جهوده النقدية كان لزاما علي أن أورد مبحثا ثالثا أسجل فيه آراء النقاد في نقده،

وقد سجلت آراء لنقاد أكاديميين عاصروا حسين علي محمد، ونقاد آخرين تتلمذوا على يديه، وسجلت آراء لنقاد كتبوا عن نقده بعد وفاته، وقد أوضحت هذه الآراء منزلة حسين علي محمد النقدية.

وقد أبان البحث بعض السمات الرئيسية للنقد التطبيقي عند حسين علي محمد، أبرزها ما يأتي:

١. غلبة النقد التطبيقي على جل دراسات حسين علي محمد النقدية المبثوثة في تضاعيف مؤلفاته الأدبية والنقدية، وبحوثه النقدية المنشورة في الصحف والمجلات، وشمولها لجميع المجالات الأدبية في الشعر والفنون السردية.

٢. استحضار النصوص الأدبية، وتقديم وصف لمضمونها وبنائها الفني، ونبذة عن مبدعها، ثم تحليل النص الأدبي مستحضرا المكونات الثقافية الداخلة في النص من حيث ثقافة مبدعه وعقيدته وأفكاره،، والمكونات الخارجية عن النص من حيث الزمان والمكان اللذين كتب بهما النص الأدبي، وأقوال من سبقه من النقاد فيه، ويبتدئ بالمقدمات، ثم ينتهي بالجزئيات، ليحدد في النهاية رأيه في النص بعد أن يعدد الإيجابيات والسلبيات التي وقع فيها مبدع النص.

٣. بعده في أغلب الأحيان عن استحضار المناهج النقدية الحديثة مما أكسب نقده وضوحا فكريا وأدبيا، وجعله سهل المأخذ، وألبسه لباسا من الموضوعية حيث يتحول النقد عنده إلى إبداع، فتلمس في نقده التطبيقي ملامح من النقد

الأدبي القديم من حيث المعاني والأفكار، وإيراد الشواهد، بالإضافة إلى حرصه على سلامة المعتقد، وتطبيقه منهج الأدب الإسلامي.

٤. كشف البحث عن مقدرة حسين علي محمد النقدية، وامتلاكه وسائل تعبيرية بمفردات واضحة، ومعان يسيرة، سهلة المنال.

٥. خضع مقياس الميزان النقدي في نقد حسين علي محمد التطبيقي لمقاييس المضمون والشكل معا، وقد تتفاوت من نص أدبي إلى آخر، ففي مقياس المضمون يهتم أولا بالالتزام الإسلامي، ثم يقوم المعاني والأفكار بحسب المقاييس النقدية الأخرى المعروفة عند النقاد، ويخضع أيضا عناصر الشكل للمقاييس النقدية الخاصة بها.

وكشف البحث عن مواضيع تتعلق بالنقد أو الإبداع عند حسين علي محمد يبدو أنها صالحة للدراسة، من أبرزها ما يأتي:

١. المسرحية
٢. النقد التنظيري.
٣. استدعاء التراث في النقد التطبيقي.

وفي الختام أتوجه بالشكر والعرفان للأستاذ الدكتور وليد بن إبراهيم قصاب الذي رعى بذور هذا البحث فكرة وبناء حتى استوى على سوقه، واكتمل بناؤه، فله مني الدعاء بالتوفيق والسداد.

وقدمت الرسالة ونوقشت في جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، في الرياض للعام الجامعي ١٤٣٢/١٤٣٣هـ■

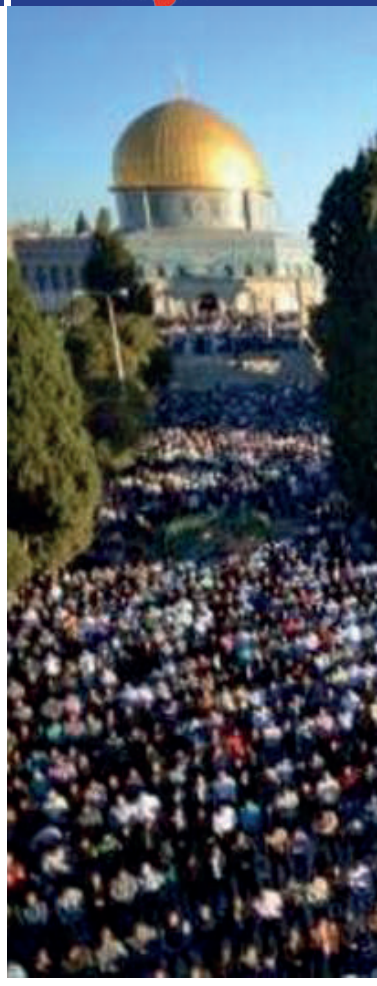

القدس مدينة الصلاة

سهام عبد الله – سورية

تزهو على شفة الأثير وتفخر ... وتطل في برد العفاف وتبهرُ
عرباء كحلت المآثر هدبها ... وتوشحت بالطهر جذلى .. تخطرُ
والنور ينثر بالربوع رذاذه ... ويضوع مسك بالربوع وعنبرُ
واختالت الأمجاد في شرفاتها ... سل ما تشاء تجبك عنها الأعصرُ
سفر تجلى في قداسة مهدها ... والقدس تورق بالوداد وتزهرُ
والمجد كيف تلفتت ألحاظه ... يرقى انتشاء بالسمو ويسحرُ؟
كيف استحل الغزو طهر حياضها ... والنخل ينحب والربا تتذمرُ
والجامع الأقصى يئن عماده ... والصمت يلتحف الهوان يخدرُ
وكأن قطعان العروبة دمية ... يلهوا بها حيف ويخجل منظرُ
نضب الحياء بوجهها وتيبست ... والوجه لطخ بالقذى يتعفرُ
و«بنو قريظة» عصبة همجية ... وفحيح أفعى بالنوازل يصفرُ

* * *

يا «أحمدُ» العربي[1] يا طفلا يرى ... ما لا يطاق وما يسر المبصرُ
ما زلت طفلا والفجائع جمة ... والرعب عربد والمنايا تنذرُ
يا أحمد العربي لا تلم العدى ... رحم العروبة عاقر لا يثمرُ
جثمت على إخوانه حمم اللظى ... وانتابه هلع مريع يزأرُ
وتناثرت أشلاء غزة بالمدى ... وتفحمت جثث تذوب وتصهرُ

* * *

تتأوه الأسرار في صمت الدجا ... بعض يفض ، وبعضه قد يقبرُ
هل زف خل فرحة في يعرب ... والخلف قانون يسن وينشرُ
وعلى الصدور رحى الضغينة أطبقت ... والصلُّ في رحم الأخوة يقطرُ
والحلم خنثى لا تبشر بالمنى ... أسمعت خنثى بالوليد تبشرُ؟
يا أحمد العربي أعياني الشجى ... الدرب وعر والخطا تتعثرُ
أكبرت صبرك في مجازر غزة ... كيف احتملت النائبات وتصبرُ؟
أتقنت في فن المقال بلاغة ... ما لا تطال مدى البلاغة «عبقرُ»
كيف الغزاة يهودون ترابنا ... لا الخيل تصهل أو يسل الخنجرُ؟
زالت «طليطلة» وأخشى بعدها ... مما توالى، والمنى تتقهقرُ

(*) من الأدب الموافق.
(١) الطفل أحمد عوض شاهد على محرقة غزة.

الوسطية في الأدب الإسلامي

تأليف: د.وليد قصاب

الوسطية مركب النجاة في الطوفان الذي يهددنا في هذا العالم، ورغم كثرة الداعين إليها، والمدعين لها؛ فإن قلة من الناس ربما يكونون على جدد الوسطية التي أرادها الله سبحانه لنا؛ إذ قال في كتابه العزيز: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

ولعل من طرائف المؤلفات التي طرقت هذا الموضوع كتاب «الوسطية في منهج الأدب الإسلامي» للدكتور وليد قصاب، والحديث عن المنهج هو الضابط للموضوع، أما مفردات الأدب الإسلامي فإنها تختلف من أديب إلى آخر، وعند الأديب نفسه من نص إلى نص، أو من فن أدبي إلى فن أدبي آخر، فالأدب النازع بطبيعته إلى الخيال، والمشحون بالعاطفة، يغافل صاحبه مرة بعد مرة، فيند ويشطح إذا لم يكن دائم المراقبة لنفسه والمراجعة لما يكتب.

وفي هذه الصفحة المتاحة من مجلة الأدب الإسلامي لعرض كتاب في هذا الموضوع نلم بعمومياته الدالة على تفاصيلها من خلال العناوين الرئيسة بين دفتيه.

فبعد التصدير والمقدمة والتمهيد تحدث المؤلف عن معنى الوسطية في اللغة، ثم أعطى لمحة عنها في القرآن الكريم، وفي الحديث الشريف، وفي أقوال بعض الصحابة والفقهاء، وهذا كله تأصيل لمفهوم الوسطية، وتطبيقاته في الإسلام الذي ينبثق منه الأدب الإسلامي، ويتسم بسماته العديدة، ومنها سمة الوسطية.

يقول المؤلف في المقدمة مبينا أهمية انبثاق الدعوة إلى الأدب الإسلامي: «وفي ضوء ما أصاب الأدب العربي الحديث من تغرب وهجانة تحدث عنها كثير من الدارسين، بسبب تقليد المذاهب الغربية، كان لا بد من مراجعة وتصحيح لمسيرة هذا الأدب، كان لابد من دعوة تعود به إلى جادة الأصالة، وتحفظ عليه ماء وجهه الذي أريق على أعتاب فكر الآخرين وأدبهم.. وتمثل ذلك في الدعوة إلى الأدب الإسلامي». (ص١٤)

ويأتي الحديث عن الوسطية في أقوال بعض النقاد ألصق بموضوع الكتاب المباشر، ذلك أن النقد يسير خلف الأدب ويتتبع أثره، ويصدر أحكامه على النص مؤيدا ومعارضا، وقد يتجاوزه إلى صاحبه أحيانا، وليس له من ضابط يشكم جماحه إلا منهج الوسطية.

ويدخل المؤلف إلى صلب الموضوع فيتحدث عن «الوسطية في منهج الأدب الإسلامي» من خلال خطة الثنائيات التي تحكم الإبداع الأدبي، فتحدث في الفصل الأول عن: ثنائية الشكل والمضمون، والتجاذب بين المتطرفين إلى الشكل، والمتطرفين إلى المضمون،

ليعطينا وسطية المنهج عند الذين جمعوا بين الشكل والمضمون.

وفي الفصل الثاني تحدث عن ثنائية الفن والالتزام، بتفصيل أكثر في العناوين الفرعية التي شملت العناوين الآتية: نظريتا الطبيعة والوظيفة الشكلية والخلقية، قدم النظريتين، سبق النظرية الخلقية، الشكلية والخلقية في النقد الغربي، وظيفة الشعر، نقد المعاني، الضبط العقدي لأغراض الشعر، عدم رواية ما صادم العقيدة، إسقاط منزلة الشاعر بسبب عقيدته، إيثار الصدق.

وفي الفصل الثالث تحدث المؤلف عن تجاذب آخر يواكب الأجيال وهو: ثنائية القديم والحديث، وضم هذا الفصل العناوين الآتية: القديم والحديث في التراث العربي، أصحاب القديم، أصحاب الجديد، أصحاب الوسطية، القديم والحديث في الفكر العربي، الجموح في التجديد، الحداثة وتغريب الأدب، الوسطية الإسلامية في قضية القديم والحديث، من ملامح الوسطية الإسلامية في إشكالية القديم والحديث.

في هذه الفصول الثلاثة دار الحديث عن «الوسطية في منهج الأدب الإسلامي» في أدبنا العربي عامة، والأدب الإسلامي منه خاصة، وهو حديث يدور فيما عندنا، ولأن ذلك غير كاف بسبب تأثر أدبنا الحديث بالآداب العالمية عموما، وبالغربي منه خصوصا؛ فقد جعل الفصل الرابع الأخير من الكتاب عن: ثنائيات المذاهب الأدبية الغربية. وجاء في أربعة محاور بعد حديثه عن ارتباط المذاهب الأدبية بالعقائد والفلسفات، وهي: ثنائية العقل والعاطفة، ثنائية الواقع والمثال، وثنائية الشعور واللاشعور، وثنائية الداخل والخارج. وتحدث في كل محور عن التصور الإسلامي له.

إن فكرة الثنائيات هذه التي بنى عليها المؤلف د.وليد قصاب كتابه، هي فكرة أصيلة في الحياة نفسها أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الذاريات:٤٩)، ولعل هذه الزوجية الثنائية هي المقصودة أيضا في الآية الأخرى: (وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) (الحجر: ١٩)، ومن هنا نلاحظ أن هذه المنهجية ليست نظرية اجتهادية، بل هي مرتبطة بأصل الخلق كله، فطرة فطر الله الخلق عليها، لتعتدل الحياة التي نختارها لأنفسنا حسب الميزان الذي وضعه الله سبحانه في خلقه.

وقد حقق المؤلف في عرضه لمحاور الكتاب ما ذكره في المقدمة إذ يقول: «وهذه الوسطية الأدبية الإسلامية تعني جمع وجوه الحسن كلها من عناصر العمل الأدبي المتميز، لا يفرط بأي عنصر من هذه العناصر، لأن لكل منها وظيفته وجماله وتأثيره، وحضوره يحفظ على العمل الأدبي توازنه؛ إذ يهيئ له المتعة والفائدة، والجمال والالتزام، الإبهار والهدف».(ص١٨)

ويلخص المؤلف في خاتمة كتابه ما قاله في المقدمة وما عرضه في ثناياه فيقول: «إن منهج الأدب الإسلامي يقوم على النظر إلى هذه الثنائيات على أنه يكمل بعضها بعضا، لا على أنها متناقضة، متنافرة، كما ينظر إليها في الفكر الغربي، وأنه يمكن الاستفادة من كل وجه إيجابي تحمله أية واحدة منها، لتشكيل رؤية متوازنة تقوم على الاعتدال والقصد، وتبتعد عن الإفراط والتفريط». (ص ١٨٣)

هذا الكتاب يستحق القراءة، وأن يُولى مزيدا من العناية لأهمية موضوعه لنا جميعا، وللأدباء خاصة. وقد صدرت الطبعة الأولى عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، في سلسلة روافد، عام ١٤٣٣هـ، الموافق ٢٠١٢م■

إعداد: شمس الدين درمش

مكتب الرياض- محمد شلال الحناحنة:

تكريم د. عبد القدوس أبو صالح في ندوة الوفاء

أقامت ندوة الوفاء بالرياض لعميدها الشيخ أحمد محمد باجنيد حفلا تكريميا خاصا للدكتور عبدالقدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو الهيئة الاستشارية للندوة، وأحد روادها المهمين منذ أيام الأديب الأستاذ عبد العزيز الرفاعي صاحب الندوة الرفاعية التي تعد ندوة الوفاء استمرارا لها. وأقيم حفل التكريم مساء الأربعاء ١٤٣٦/٢/١١هـ، الموافق ٢٠١٤/١٢/٣م، وشهد حضورا كثيفا.

وتضمنت فقرات حفل التكريم تلاوة آيات من القرآن الكريم للشيخ عبد العزيز القاري، ثم كلمة عميد الندوة الشيخ أحمد محمد باجنيد عضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي حيث ارتجل كلمات معبرة عن تقديره للدكتور عبد القدوس، وأكملها ابنه الأستاذ حسين باجنيد، تحدث فيها عن بدايات تعرفه على الدكتور عبدالقدوس وعلى عدد من الشخصيات الأدبية والعلمية الذين كانوا على صلة به، مثل الشيخ مصطفى الزرقا، والدكتور معروف الدواليبي، والشاعر عمر الأميري وغيرهم.

بعد ذلك قدمت أربع أوراق عن الدكتور عبد القدوس أبو صالح، الأولى للدكتور عبد الله العريني بعنوان: **الآثار العلمية والأدبية للدكتور عبد القدوس**. وقد بدأ الدكتور العريني حديثه عما تركه الدكتور عبد القدوس من أثر في نفسه منذ السنة الأولى من دراسته في الجامعة على يديه، وكيف كون شخصيته طالبا، وقال: إنه مازال يختزن تلك اللحظات الجميلة في ذاكرته، ثم تحدث بإيجاز عن أبرز مؤلفات الدكتور، وهي تحقيقه لديوان ذي الرمة بشرح الإمام أبي نصر الباهلي، وهو رسالة الدكتوراه، وكتابه يزيد بن مفرغ الحميري حياته وشعره، وهو رسالة الماجستير، وكتاب العفو والاعتذار للرقام البصري، وهذه الكتب الثلاثة في مجال التحقيق، وهي كتب مهمة بذل فيها المحقق جهودا غير عادية حتى صارت في المكتبة العربية التراثية. ومن الكتب الأخرى للدكتور عبد القدوس كتاب شعر الجهاد في العصر الحديث، نشر جامعة الإمام، وهو بالاشتراك مع د.محمد رجب البيومي، وكتاب أحاديث وأسمار، وهو كتاب منوع يخرج عن الطابع العلمي الأكاديمي إلى قصد الإمتاع والفائدة من خلال تعدد الموضوعات، وبساطة العرض، ومخاطبة الشريحة الكبرى من القراء. وهو في كثير منه أحاديث إذاعية ألقاها المؤلف عبر الأثير.

وكانت الورقة الثانية للدكتور وليد قصاب، بعنوان: **د.عبد القدوس أديبا وناقدا**، وقد أبرز في حديثه أن رابطة الأدب الإسلامي أخذت من الدكتور عبد القدوس أبو صالح جهده ووقته؛ ولم تدع له ما يتفرّغ به لقلمه المتدفّق السّيّال، وأنه أديب قرض الشّعر، وكتب القصّة، وهو ناقد أنشأ كثيرًا من البحوث والأحاديث والمقالات، وتمثل بأبيات له مازال يستحضر صدى إنشادها في أذنيه بصوته الجهوريّ، ونبراته الحارّة المعبّرة. وركز د.وليد

قصاب على ما كتبه د.عبد القدوس في الأدب الإسلامي الذي صنّفه في ثلاث دوائر: دائرةِ الأدب الإسلاميّ الهادف، ودائرة الأدب الذي لا يخالف التصور الإسلاميّ وإن لم يكن هادفًا ملتزمًا، ودائرة الأدب الذي يخالف التصوّر الإسلامي ويناهضه، والأدب المرفوض هو أدب الدائرة الثالثة. وإن عالمية الأدب الإسلامي تتحقق بتعدد لغاته. وإنه لا يتناقض مع الأدب العربي، ولا يتعارض معه، إذ الأدب العربي نسبة إلى اللّغة، والأدب الإسلامي منسوب إلى المضمون الذي ينطلق من تصور عقديّ هو التصوّر الإسلامي. وعرض في حديثه لمسوغات الدعوة إلى أدب إسلاميّ، والتي منها إيجاد الانسجام بين عقيدة المسلم وحسّه الأدبيّ وتكامل شخصيته. ووضّح بجلاء الفرق بين الالتزام الذي هو سمة الأدب الإسلامي، وبين الإلزام؛ فالأوّل اختيار حرّ مسؤول، والثاني قسريّ مفروض فرضًا، وغير ذلك من التفصيلات التي يضيق عنها وقت الحفل.

وفي الورقة الثالثة تحدث الدكتور عبد الباسط بدر بعنوان: **ذكريات ومواقف مع د.عبد القدوس**، مختصرا قليلا من كثير، بادئا من موقف اللقاء الأول بينهما في مكتبة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام في الرياض، إلى الاهتمام بقضية الأدب الإسلامي، ووضع لبنات أساسه مع د.عبد الرحمن رأفت الباشا، وآخرين في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وتشكيل فريق عمل من الحاضرين يدرس الموضوع بعمق، ويستشير أولي الرأي من الأدباء والمفكرين

د. عبدالله العريني

د. وليد قصاب

د. عبدالباسط بدر

د. ناصر الخنين

والقانونيين، وكان الدكتور عبدالقدوس أنشط أعضاء الفريق وأكثرهم متابعة، وعلى امتداد سنوات ثلاث وضعت صيغة تكوين الرابطة وهيكلها، كان الدكتور عبدالقدوس المنظر الأول لخبرته في الأنظمة والقوانين، واختير الشيخ أبو الحسن الندوي لرئاسة الرابطة، لتحقق سمات الإسلامية الوسطية والأدبية والعالمية فيه. ثم متابعة ذلك في مؤتمرات وندوات وجهود أثمرت عن تأسيس أكثر من ستة عشر مكتبا في العالم العربي والإسلامي، على رأسها المكتب الرئيس في الهند، والمكتب الإقليمي في الرياض، ومكاتب مصر والأردن والمغرب.

ويصفه د.عبد الباسط بدر قائلا: إنه صاحب رسالة بحق، وربان السفينة التي لا يغفل عن مقودها طرفة عين. وقد وفقه الله سبحانه وتعالى بفضله أولا، ثم بما بذله من جهود جبارة إلى أن يقيم صرح أول تجمع أدبي إسلامي عالمي في تاريخ الأدب العربي، بل في تاريخ الشعوب الإسلامية وآدابها كافة.

واختصر الدكتور ناصر الخنين في الورقة الرابعة: **جهود د.عبدالقدوس في خدمة الأدب الإسلامي**، قائلا: إن هذا الرجل عجيب في همته، شامخ في عزمته، فإنه قد حمل الرابطة في قلبه، وما ذلك إلا لحب الإسلام أصلا، وجعل الأدب الإسلامي رسالة يحمل بها الدعوة إلى الله عز وجل، فكافح ونافح في سبيل مد بساط هذه الرابطة إلى أنحاء العالم الإسلامي.

وبعد وفاة الشيخ أبي الحسن الندوي اجتمع مجلس

أمناء الرابطة في الدورة الحادية عشرة لانتخاب رئيس للرابطة، فأجمع الحاضرون على انتخاب الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيسا للرابطة.. وبعد ذلك نقل موقع الرابطة من لكنو بالهند إلى الرياض بالمملكة العربية السعودية بموافقة سامية حصل عليها مكتب الرابطة بجهود حثيثة من المحتفى به، وبتوقيع من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد آنذاك عام ١٤٢٠ هـ.

ومن أبرز جهود الدكتور عبد القدوس إصدار مجلة الأدب الإسلامي، وقد كانت جهوده وبصمته ظاهرة من خلال افتتاحياتها المعروفة لترسيخ فكرة الأدب الإسلامي حتى بلغت (٨٤) عددا. وكذلك جهوده في تحديد الخط الذي تسير عليه الرابطة، فنأى بها عن الصراعات الحزبية، وعن النتوءات الشاذة التي تخالف هدي الإسلام وهدي السلف، وكان يؤكد على الوسطية والابتعاد عن التطرف والغلو في التعامل.

بعد ذلك تحدث عدد من الحضور عن علاقتهم بالدكتور عبد القدوس أبو صالح، وانطباعاتهم عنه، مشيدين بجهوده وعلاقاته المتميزة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والندوات الأدبية والثقافية التي تعقد في الرياض، فتحدث كل من الشيخ أحمد محمد بافضل، والدكتور إبراهيم الفايز، والدكتور يحيى أبو الخير، والدكتور خالد الحليبي الذي حضر من الأحساء وفاء لحق أستاذه، والدكتور حبيب المطيري الذي عبر هو الآخر عن عميق تقديره لأستاذه، والذي شفع كلمته بقصيدة جميلة معبرة ومحلقة جذبت الحضور بكلماتها وإلقائها، وقصيدة وصلت بالبريد الإلكتروني للشاعر المصري عبد الرحيم الماسخ قرئت نيابة عنه، وشارك بالشعر أيضاً الدكتور الشاعر أحمد الخاني، والشاعر جميل الكنعاني.

وقد أدار الحفل الدكتور عائض الردادي، الإعلامي المعروف وعضو مجلس الشورى السابق، فقدم موجزا للسيرة الذاتية والعلمية للدكتور عبد القدوس، وهو نفسه عايش المحتفى به في جامعة الإمام طالبا، ثم في أمسيات الندوة الرفاعية، وندوة الوفاء، وفي رابطة الأدب الإسلامي، فكان حديثه حميميا عن قرب. وفي الختام شكر د.عبد القدوس أبو صالح في كلمته الشيخ أحمد محمد باجنيد على هذا الاحتفاء، وعلى ما قدمه من دعم سخي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ومجلتها، وشكر الحاضرين، والمشاركين في الحديث، ومدير الندوة د.عائض الردادي، ثم قدمت ندوة الوفاء درعا تكريميا للدكتور عبد القدوس أبو صالح.

معجم الدوحة التاريخي للغة العربية

حضر الدكتور وليد قصاب مدير تحرير مجلة الأدب الإسلامي مؤتمر «معجم الدوحة التاريخي للغة العربية» الذي عقد في تونس من ٤-٢٠١٤/١١/٧م، وقدم بحثا عن الشعر وشروحه في قرن ونصف، من (٣٥٠-٥٠٠هـ).

بين يدي المجد

مهداة لشيخنا الأستاذ الدكتور عبدالقدوس أبو صالح بمناسبة تكريمه في ندوة الوفاء بالرياض.

د.حبيب بن معلا المطيري - السعودية

ما لشعري دهاه صمت وعِيٌّ ... حرفه الـ(كان) ذا ليان عصيُّ

رهبة الموقف الكبير غشته ... ليس يغني بيانه العبقريُّ

هو في حضرة الجلال بكِيٌّ ... ولدى موكب الجلال عييُّ

كلما قلت قد تأتّى تأبّى ... لفه خاطر ذَهول حييُّ

إنني في رحاب شيخي وهل لي ... في رحاب البيان قول جليُّ

كيف أهدي إلى البيان بياناً ... إنني ها هنا بصمت حريُّ

غير أني أتيت أزجي التحايا ... للشموخ ازدهى ضياه السنيُّ

شيخَنا الفذَّ يا نديَّ السجايا ... أنت والله رمزنا الألمعيُّ

نحن طلابك الذين سقاهم ... غيثك العذب فيه شِبْع وريُّ

أنت فينا فيوض علم ونبل ... وابتدار به العطاء سخيُّ

يستوي في انتجاع غيثك دانٍ ... من ندى القطر والبعيدُ القصيُّ

كل حرف بنيت فيه صروحاً ... من جلال ضياؤها سرمديُّ

رأيك الرأي ليس فيه التباس ... إنه العلم والبيان القويُّ

نتجارى بقولنا فإذا ما ... قال عبد القدوس فرّ الدعيُّ

قد حملت الهموم عنا ولكن ... ليس يدري عن الشجيِّ الخليُّ

لم تهادن طوال عمرك خِبّاً ... لم يفارقك عزمك الأحوذيُّ

كلما كلَّ عزمنا قمت فينا ... صادق الروح بالمضاء حفيُّ

لك منا أبا يمان فيوض ... من ثناء حُداه حب نديُّ

قد روينا عن الجبال شموخاً ... وحديث الجبال نشر وطيُّ

أن أعلى منازل الناس قدراً ... منهج راسخ وطبع رضيُّ

مكتب القاهرة - محيي الدين صالح

أمسية شعرية في الإسكندرية

أقام مكتب الرابطة بالقاهرة بالتنسيق مع مركز الإبداع، ومركز شباب الأنفوشي بالإسكندرية ندوة أدبية في قاعة المحاضرات بمركز الشباب، وذلك يوم الخميس الموافق ٢٥ سبتمبر ٢٠١٤م، حضرها لفيف من أعضاء الرابطة وعدد من المبدعين السكندريين، تحدث في الندوة كل من الدكتور زهران جبر، والدكتور محمد زكريا عناني عن دور الرابطة في الحفاظ على الأدب النقي وتبنيه ونشره.

ثم أقيمت أمسية شعرية شارك فيها عدد من شعراء الرابطة والسادة الضيوف فقدم الدكتور زهران جبر قصيدتين في بداية الأمسية، الأولى بعنوان (النورس والغراب) والثانية بعنوان (القرد والقراد)، ثم قدم الشاعر محيي الدين صالح قصيدتين الأولى بعنوان (هي راودتني عن نفسي)، والأخرى بعنوان (سهام الوجد)، وقدم الشاعر محمود الفحام قصيدة بعنوان(رأيت الله)، كما قدم كل من الشعراء علاء عبد الغني ومحمد سالم ورحاب عابدين قصائدهم. وقرأت الأديبة سهير شكري قصة قصيرة، كما شاركت الأديبة منى سالم في الندوة، واختتم الأمسية الدكتور زكريا عناني بقصيدة عنوانها (تباريح الروح).

أدار الندوة وقدم لها الشاعر جابر بسيوني وختمها بقصيدة له، وشكر الحضور والمشاركين جميعا.

د. محمد زكريا عناني

غازي التدمري

محمود مفلح

نوال مهنى والبحث عن أطلانطا

أقيمت ندوة أدبية لمناقشة رواية الأديبة نوال مهنى عن الخيال العلمي عنوانها (البحث عن أطلانطا)، وذلك يوم الاثنين الموافق ٢٠ أكتوبر ٢٠١٤م، حيث قدم كل من الأستاذ محمد علي عبد العال، والشاعر عدنان برازي، دراسات نقدية عن الرواية، كما علق على الرواية الأساتذة محمد حافظ، والناقد السوري محمد غازي التدمري، ومداخلات من وفاء السيد، ورجب الشريف، وكامل فراج. أدار الندوة وقدم لها الشاعر محمد حافظ.

إبداعات الشاعر محمود مفلح

عقدت ندوة أدبية حول إبداعات الشاعر الفلسطيني محمود مفلح، وذلك يوم الاثنين الموافق ٢٧ أكتوبر ٢٠١٤م، وتحدث في الندوة الشاعر محمود مفلح عن مشواره الأدبي وإبداعاته. واختتمت الأمسية بلقاء شعري مع شعراء الرابطة بالقاهرة، فقدم الشعراء: محمد حسن داود، وأحمد فتحي، ونوال مهنى.. نماذج من أشعارهم، ثم قرأ عصام الدالي قصة قصيرة من إبداعاته. وأدار الندوة الدكتور زهران جبر.

إبداعات شوقي والجارم

استضاف مكتب الرابطة يوم الاثنين الموافق ٣ نوفمبر ٢٠١٤م، الدكتور شوقي رضوان في ندوة عن إبداعات الشاعرين أحمد شوقي وعلي الجارم، استعرض فيه الضيف مسار الحركة الأدبية في أوائل القرن العشرين، وقدم الندوة الشاعر محيي الدين صالح.

مشاركات الحقيل الأدبية والثقافية

شارك الأستاذ عبدالله بن حمد الحقيل أمين عام دارة الملك عبد العزيز سابقا، وعضو الرابطة؛ في الملتقى العلمي الخامس عشر لجمعية التاريخ والآثار بجامعات دول مجلس التعاون، والذي عقد بالكويت من ٢٢-١٤٣٥/٦/٢٥هـ. وألقى قصيدة في حفل الافتتاح بعنوان: تحية الكويت.

ألقى الأستاذ عبدالله الحقيل محاضرة في ثلاثائية أحمد السديري بالرياض، بعنوان مواقف وذكريات في ميدان التربية والتعليم، ودارة الملك عبد العزيز، وذلك يوم ١٤٣٦/١٠/٤هـ.

وشارك الأستاذ الحقيل في المؤتمر السنوي لاتحاد المؤرخين العرب، الذي عقد في القاهرة من ٥-٦ محرم ١٤٣٦هـ.

مجموعة «الآنسة وداد» في رسالة ماجستير

نوقشت رسالة ماجستير في التعليم الموازي بعنوان: مجموعة الآنسة وداد القصصية للدكتور وليد قصاب، وذلك يوم ١٤٣٥/١١/٢١هـ. تقدمت بها الباحثة سهام بنت عبدالله المانع، في كلية اللغة العربية قسم البلاغة والأدب ومنهج الأدب الإسلامي، بجامعة الإمام بالرياض. أشرف على الرسالة الدكتور حبيب المطيري، وناقشها كل من الدكتور إبراهيم السماعيل، والدكتورة الجوهرة آل جهجاه.

ملتقى شعراء جازان في الرياض

استضاف ملتقى أبناء جازان في الرياض أعضاء ملتقى شعراء جازان في أمسية شعرية فريدة العرض والأسلوب مساء يوم الاثنين ٣٠ / صفر/ ١٤٣٦هـ، في فندق المطلق بمدينة الرياض. وشارك فيه عدد من أعضاء الرابطة.

افتُتحت الأمسية بتلاوةٍ آيات من القرآن العظيم تلاها الشيخ طاهر صميلي، فكلمة أعضاء الملتقى بالنيابة الشاعر يحيى رياني، فقصيدة ترحيبية من د.جبران بن سلمان سحّاري عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومؤسس ملتقى شعراء جازان والمشرف عليه.

بعد ذلك قدم الشاعران هادي بن محسن مدخلي، ود.مهدي بن أحمد الحكمي؛ مختارات من شعرهما في ثلاث جولات، تخللتها مشاركات من شعراء أبناء جازان في الرياض للشعراء: أحمد بن جابر الفيفي، وحسن بن منصور صميلي، وحاتم بن أحمد الجِديبا، ويحيى رياني مسرعي.

وفي المداخلات النثرية تحدث: نائب رئيس الملتقى وعضو مجلس الشورى د.عبدالرحمن بن أحمد هيجان، وأمين سر المكتب الإقليمي للرابطة بالرياض شمس الدين درمش، والأستاذ حسن بن أحمد الحازمي رئيس نادي جازان الأدبي، والأستاذ حمد الصفيّر مدير سبتية الشيخ عبدالكريم الجاسر الثقافية.

وشكر رئيس الملتقى د.حسين بن مشهور الحازمي، الجميع على ما قدموا، واختتمت الأمسية بتكريم ضيفي الملتقى، ورئيس نادي جازان الأدبي، ومشرف الملتقى. وقدم فقرات الحفل الشاب المبدع ياسر السبعي.

مكتب عمان- اللجنة الإعلامية: هيام ضمرة - صالح البوريني

مهرجان شعري بمناسبة عيد الأضحى المبارك

في ختام أمسيات العام الهجري ١٤٣٥هـ، أقام المكتب الإقليمي للرابطة في عمان أمسية وداعية شعرية بعنوان (في ظلال معاني الحج وعيد الأضحى المبارك)، وذلك يوم السبت ١٨ /١٠/ ٢٠١٤ م، الموافق ١٢/٢٣/ ١٤٣٥ هـ.

وشارك في الأمسية الشعرية خمسة من شعراء الرابطة هم: سليم ارزيقات، وخالد فوزي عبده، وعلي فهيم الكيلاني، ومحمود إبراهيم، وفايز عليان، فقدموا قصائد استحضرت بعض مشاهد الحج والشعائر المقدسة وعرضت صورا من تفاعل قلوب المسلمين مع مناسبة العيد المبارك، والعلاقة بين الديار المقدسة في مكة والمدينة وبين فلسطين.

أدار الأمسية الأستاذ صالح البوريني، مرحبا بالحضور ومثنيا على الهيئة الإدارية للرابطة برئاسة د.كمال مقابلة، بما تبذله من جهود متواصلة للمضي بمسيرة الرابطة إلى الأمام، وما تعنى به من متابعة مستمرة وتغطية فعالة للمناسبات الإسلامية والتاريخية والوطنية.

سليم ارزيقات

خالد فوزي

علي الكيلاني

نظرية الأدب الإسلامي: الماهية والمفهوم

بدعوة من مسرح عمون للثقافة والفنون في العاصمة عمان قدم الدكتور كمال مقابلة رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن، محاضرة علمية بعنوان (نظرية الأدب الإسلامي: الماهية والمفهوم)، يوم الثلاثاء ٢٠١٤/١١/٣م، بين خلالها علاقة المصطلح بمقومات النظرية مؤكداً أن نظرية الأدب الإسلامي تنطلق من مجموعة من الأفكار والآراء المتسقة والعميقة والمترابطة التي تستند إلى فلسفة الإسلام ونظرته إلى الكون والإنسان والحياة. ودار نقاش موسع أغنى أفكار المحاضرة التي أدارها د.عبد الله الخطيب أمين سر المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن،

وفي الختام قدمت أسرة مسرح عمون وسام المسرح وشهادة تكريمية للدكتور كمال مقابلة تقديرا لجهوده في إحياء عشيات عمون الثقافية.

ثلاث شاعرات في أمسية شعرية

وفي مساء الثلاثاء ٢٠١٤/١٠/٢٨م؛ أحيت ثلاث شاعرات مبدعات أمسية شعرية في مقر مكتب الرابطة بعمان، وهن: الشاعرة انتصار الرجوب، والشاعرة مزنة الحسناوي، والشاعرة الفتية روان هديب، وقد تفاعل الجمهور مع قصائدهن بعبارات الإعجاب والتصفيق.

واقدساه..! مهرجان شعري

أقام المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن مهرجانا شعريا عن القدس والمسجد الأقصى، يوم السبت ٢٠١٤/١٢/٦م الموافق ١٣/ ٢/ ١٤٣٦هـ

وشارك في المهرجان الشعراء: خالد فوزي عبده، ومحمود إبراهيم، وفايز عليان، وبسام زكارنة، وسليم صبّاح، ومحمد الخليلي. وشارك عبر البريد الإلكتروني الشاعر د.كمال أحمد غنيم، أستاذ الأدب والنقد في الجامعة الإسلامية في غزة، ونائب رئيس مجمع اللغة العربية في فلسطين بقصيدة ألقاها عريف المهرجان نيابة عنه.

وتخلل فقرات المهرجان أنشودة بعنوان (موطني) للمنشد الشاب إسماعيل البقاعي. وكان مسك الختام الشاعر الواعد الطفل حمزة الخليلي؛ الذي ألقى مقطوعة شعرية قصيرة من إنشائه، صفق له الحاضرون إعجابا وتشجيعا. وألقى رئيس مكتب الرابطة د.كمال مقابلة كلمة قصيرة رحب فيها بالحاضرين، وأثنى على مشاركات الشعراء.

كيف نقرأ القرآن الكريم!؟

ألقى الدكتور عودة أبو عودة الرئيس الأسبق لمكتب الرابطة الإقليمي في الأردن محاضرة علمية بعنوان (كيف نقرأ القرآن الكريم) في مقرّ الرابطة في عمّان، وذلك يوم السبت ٢٩ محرم ١٤٣٦ هـ، الموافق ٢٠١٤/١١/٢٢م.

وطبّق الدكتور أبو عودة منهج القراءة الواعية على الآيتين ٢٣ و٢٤ من سورة الإسراء، فبيّن الدلالات العميقة المستكنة وراء الكلمات التي اختارها القرآن للتعبير عن أهميّة العناية بالوالدين، وجمال التصوير الفني في الآيتين.

أمسية أدبية لعائشة العمد وفاتن أبو شرخ

ومساء السبت ٢٠١٤/١١/٢٩م، أقامت القاصة عائشة العمد، والشاعرة فاتن أبو شرخ، أمسية أدبية. فقرأت الأديبة فاتن أبو شرخ مجموعة من النصوص بين القصة والخاطرة والقصيدة الشعرية. وتلتها عائشة العمد، فقرأت مجموعة مختارة مما أسمتها بالخواطر القصصية، وأدارت الأمسية الأديبة نافذة الحنبلي.

محمّد إقبال محطات من حياته وشعره

ألقى نائب رئيس المكتب الدكتور عدنان حسونة محاضرة بعنوان «محمد إقبال، محطات من حياته وشعره» وذلك مساء السبت ٢٠١٤/٩/٢٠م، وتحدث المحاضر عن ولادة الشاعر ونشأته وثقافته، وأن فطرته القويمة، وتربيته القرآنية، وثقافته العربية الإسلامية حفظته من الذوبان في الحضارة الغربية، التي نقدها بقوة ووضوح.

وأشار المحاضر إلى دواوين محمد إقبال الشعرية بالفارسية والأردية، وذكر أبرز خصائصه الشعريّة الفنية. وفي نهاية المحاضرة قرأ بعض قصائد محمد إقبال المترجمة. وقد أدار اللقاء وقدم المحاضر الأستاذ عبدالله شبيب عضو الرابطة.

الشعراء ينشدون في مسرح عمون

في مسرح عمون بقلب العاصمة عمّان وبدعوة كريمة من ملتقى القمة للإبداع والفنون صدحت أصوات الشعراء وتألقت حناجر المنشدين، وذلك السبت ٢٠١٤/٩/١٣م.

شارك فيه الشعراء: محمد الخليلي ومحمد طكو وعامر عمران. والشاعر الشعبي السوري هاني الفاعوري. وقدمت فرقة ياسمين الشام للفلوكلور (إسماعيل ومحمد البقاعي) وصلاتٍ غنائيةٍ عن الحبيبتينِ دمشقَ وغزة، وسلم مسرح عمون شهادات تكريم للمشاركين المبدعين.

اثنان من أعضاء الرابطة شاركا بالفوز بجائزة نادي الباحة الأدبي في السعودية

فاز بجائزة نادي أدبي الباحة الثقافية في نسختها الثانية لهذا العام ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، كل من الدكتور عبدالناصر هلال بالمركز الأول من مصر، والدكتور عبدالحميد الحسامي بالمركز الثاني من اليمن والدكتورة آمنة بلعلي من الجزائر، والفائزان الثاني والثالث عضوا رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

وفاة الأستاذ الدكتور حسن عباس زكي

انتقل إلى رحمة الله تعالى في القاهرة معالي الأستاذ الدكتور حسن عباس زكي، عضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين بمصر سابقاً. وكان للدكتور حسن عباس زكي الفضل بعد الله تعالى في احتضان المكتب الإقليمي للرابطة بمصر، حين استضاف مكتب الرابطة بمقر جمعية الشبان المسلمين في شارع رمسيس بوسط القاهرة، منذ سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ورعى أنشطة المكتب ومؤتمرات الرابطة في القاهرة حتى افتتاح مقر مستقل لمكتب الرابطة، بتاريخ: ١٤٢٧/٧/٢٣هـ، الموافق ٢٠٠٦/٨/١٧م. وفيما يأتي موجز عن سيرته الذاتية الحافلة بالعطاءات:

ولد الأستاذ الدكتور حسن عباس زكي في ٢ يناير عام ١٩١٧م، في مدينة بورسعيد بمصر. تخرج في كلية التجارة بجامعة القاهرة عام ١٩٣٨م، وحصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد من الولايات المتحدة الأمريكية.

تولى عدداً من المناصب داخل مصر وخارجها منها:

رئيس لجنة المفاوضات مع الإنجليز عقب إعلان الاستقلال سنة ١٩٥٦م، لتحرير أرصدة مصر لدى بريطانيا، وعضو وفد مصر بهيئة الأمم المتحدة عام١٩٥٧م، ووزير الاقتصاد والتنمية القومية من ١٩٥٨حتى ١٩٦٢م، ووزير الاقتصاد والتجارة الخارجية من ١٩٦٥ إلى ١٩٧٢م. ورئيس جمعية المركز العالمي للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية. وترك مكتبة خاصة تضم ٢٠ ألف كتاب في جوانب شتى من العلوم والمعارف.

توفي أ.د. حسن عباس زكي يوم الخميس ٥/ صفر/١٤٣٦هـ، الموافق ٢٠١٤/١١/٢٧م، وصُلي عليه بمسجد السيدة نفيسة بالقاهرة، ودفن في قرية شبلنجة بمحافظة الشرقية. تغمد الله الفقيد بالرحمة والرضوان، وألهم ذويه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفاة الأستاذ الدكتور عثمان أوزتورك

توفي بمدينة إستانبول بتركيا الأستاذ الدكتور عثمان أوزتوزك رئيس المكتب الإقليمي للرابطة بتركيا، وقد ولد عثمان أوزتورك عام ١٩٤٣ في مدينة طرسوس. وتلقى تعليمه الأولي في مدينته، وختم القرآن الكريم في وقت كان تدريس القرآن محظورا في تركيا. تابع دراسة العلوم الشرعية وتعليمه العام في آن واحد في إستانبول. وسافر إلى دمشق للاستزادة من العلوم الشرعية.

تخرج من قسم اللغة العربية والفارسية بكلية الآداب بجامعة إستانبول، وحصل على شهادة الدكتوراه عام ١٩٧٢م. وعمل أستاذا في خمس جامعات تركية، منها جامعة إستانبول، وجامعة أنقرة، وعمل مدرسا للعلوم الشرعية والأدب الإسلامي في مدرسة الأئمة والخطباء في أنقرة.

وقد عمل د.عثمان أوزتورك مع زميله الأستاذ الأديب علي نار على تأسيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في إستانبول بتركيا، وتطويره، واستضافة أربعة مؤتمرات للهيئة العامة للرابطة من ثمان، مصاحبا بفعاليات أدبية ودورات لمجلس الأمناء. وأصدرا مجلة الأدب الإسلامي التركية (إسلامي أدبيات)، وهي مجلة فصلية صدر منها (٦٣) عدداً حتى نهاية عام ٢٠١٤م. وأسسا وقف الأدب الإسلامي التركي، وصار مقر الوقف نفسه مقرا للمكتب الإقليمي للرابطة، ومجلته. وكان د.عثمان أوزتورك نائبا لرئيس المكتب، ونائبا لرئيس تحرير المجلة، وتولى رئاسة المكتب بدلا من الأستاذ علي نار في السنوات الخمس الأخيرة.

كانت وفاة الأستاذ الدكتور عثمان أوزتورك يوم الثلاثاء ١٤٣٦/٢/١٠هـ، الموافق ٢٠١٤/١٢/٢م، وصلي عليه بعد صلاة العصر في جامع السلطان محمد الفاتح. رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، ورزق أهله وذويه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إصدارات حديثة

صدر حديثاً للشاعر مصطفى عكرمة في العام ٢٠١٤م:

- عمر أبو ريشة (شاعر أمَّة.. إطلالة وقطوف) دراسة انطباعية، عن مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري كتاب نقدي
- أناشيد أحباب الله، وأناشيد فتى التوحيد وكلاهما عن دار القدس بالقاهرة.
- من وحي الجراح، ديوان شعر للدكتور وليد قصاب، من منشورات الدائرة الثقافية في الشارقة، في سلسلة كتاب الرافد. ط١، ٢٠١٤م.
- خطرات فكر في رياض الشعر والنثر، علي خضران القرني، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، النادي الأدبي بالطائف، السعودية.
- رحلات ومشاهدات سائح في البلاد الأوروبية، عبدالله حمد الحقيل، ط١، دار الحضارة للنشر، الرياض.

أهدت دار الألوكة للنشر عددا من إصداراتها لعام ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ط١، إلى مكتبة رابطة الأدب الإسلامي، وهي:

- الكلمة القرآنية وعربية اللسان، تأليف د.محمد أديب الصالح.
- خطة تصنيف علوم الدين الإسلامي، تأليف محمد خير رمضان يوسف.
- تدليس ابن مالك في شواهد النحو: عرض واحتجاج، تأليف فيصل ابن علي المنصور.

ومن إصداراتها لعام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ط١:

- دوحة القرآن، مجموعة مقالات لطائفة من كتاب الألوكة.
- قصة السيرة النبوية، تأليف عبد الرحمن داود العبيدي.
- محمد رسول الله، تأليف د.محمد منير البياتي، ط٤.

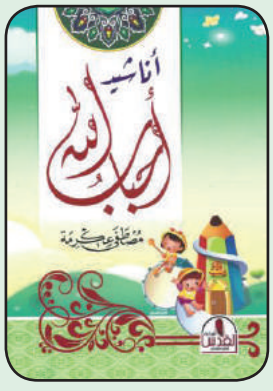

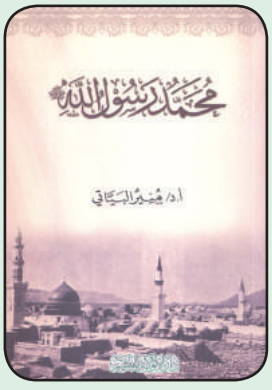

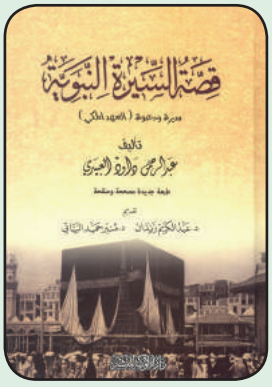

مدين لمجهودكم العظيم في حقل الأدب الإسلامي

إلى حضرة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

إني أتابع - ولا أزال- أعمال الرابطة بأبعادها العلمية والدعوية والأدبية مهما كان إليه من سبيل، وبالتالي فأنا مدين لمجهودكم العظيم، ولاسيما في حقل الأدب الإسلامي، وأحمل لكم بين ضلوعي من الشعور الودي، وإليكم من الرغبة ما لا أقدر أن أصفه بدقة.

والآن بين يدي العدد (٧٩) من مجلة الأدب الإسلامي يتلألأ أعلاها هذا الاسم: «الأدب الإسلامي»، ولعمري ما أجمله!.. وما أمكنه في قلبي!.. وما أجمعه في محتواه!.. وأسماه في رسالته!.. لولاه مقرونا بهذا الوصف.. وصف «الأدب الإسلامي» لربما ما جرأتني نفسي على الكتابة إليها، ولا اهتممت بالمساهمة فيها. إنه بشأنه الكذائيّ يكاد يكون ضربة على الأدب القومي، وطبلة على أذنه.

حضرة الرئيس! إننا أسرة بعيدة عنكم وعن بلادكم، بعيدة جدا، ولكنها قريبة في الوقت نفسه. إن بعد بنا المكان، وحال دوننا جبال هملايا والبحار؛ فإن العقيدة والدين بنا أقرب، والمجلة أداة مؤثرة في تحقيق هذه الغاية، إنها لتطير إلينا بمقالكم

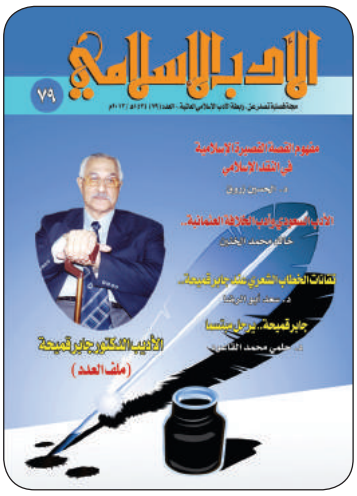

وبكم على أجنحتها، فإذا بنا كأننا بين أيديكم.. إنها وقعت إلي على غير رجاء مني، وأخذت من قلبي مكانها الذي تستحقها، فهي مني وأنا منها. ومما يجب أن أقول: إننا نلقى مشقة في اقتناء المجلة لدينا، فأرجوكم أن تولوا من عنايتكم هذا الجانب؛ لتكون بمتناولنا، كما ألتمس إرسال ما صدر من الأعداد اللاحقة.

عبد الوهاب الدويري

جامعة دار العلوم، كراتشي، باكستان.

تميز هذا العدد

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح حفظه الله

رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعد:

فقد تلقيت العدد الجديد (٨٤) من مجلتنا الناهضة المقروءة «الأدب الإسلامي»، والحافلة بما لذ وطاب، من الموضوعات الأدبية والثقافية -كعادتها- لمشاهير الكتاب والأدباء والشعراء والنقاد.

وقد تميز هذا العدد، بملف عن الأديب الشاعر الناقد الراحل الأستاذ

الدكتور محمد بن سعد بن حسين -رحمه الله- الأكاديمي المعروف، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، والذي أغنى بمؤلفاته الكثيرة والمتنوعة المكتبة العربية، وكانت ومازالت مرجعاً هاماً وحقلاً خصباً للباحثين والدارسين على حد سواء.

وهي عادة حسنة وجهد موفق درجت عليه مجلة «الأدب الإسلامي» في تكريم الراحلين من الرواد في مجال العلوم والآداب والثقافة، والإشادة بما قدموه من خدمات وجهود رائدة في خدمة أممهم وأوطانهم ومجتمعاتهم.

رحم الله الراحل، وأسكنه فسيح جناته، وجزاه بما عمل وقدم وأنجز لأمته ووطنه ومليكه خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناته.

علي خضران القرني

الطائف - السعودية

د. عبدالباسط بدر

أدبنا المعاصر والتاريخ

كان أسلوب العرب القدماء في تمجيد أحداثهم الكبيرة يتوافق مع طبيعة حياتهم، فقد كانوا أمة مشافهة ورواية، وكانت لهم حافظة عجيبة، تمكنهم من حفظ القصيدة في وقت قصير.. ولربما حفظها بعضهم إذا سمعها مرة واحدة. لذلك اختاروا الشعر الوجداني سجلا لأحداثهم المهمة، مثلما هو سجل لانفعالاتهم وعواطفهم... فحفظوا فيه وقائعهم وأيامهم، وصوروا بطولاتهم، وعظموا أبطالهم.

وعندما ظهر الإسلام وانتشر، بدأت صناعة الأمجاد الحقيقية في حياتهم.. وفتح الشعر صفحاته لها وسجلها في قصائد كثيرة مختلفة، بدأها حسان بن ثابت رضي الله عنه، وتوالت من بعده على ألسنة الشعراء المؤمنين جيلا فجيلاً إلى عصرنا الحاضر، فما من وقعة، ولا حدث كبير إلا ويضع الشعر فيه قصائد رائعة: من غزوة بدر إلى الفتوحات الإسلامية في أنحاء الأرض.. إلى حطين و عين جالوت، بل إلى وقائع ملوك المسلمين في الهند و أفريقيا قبل قرنين من وقتنا هذا. ومنذ منتصف القرن الماضي كان الوعي بقضية الاستمداد من التاريخ كبيرا لدى الأفراد والمؤسسات الثقافية، فاهتموا بها جميعا.

ولئن كانت موضوعية التاريخ تمنعه من أن يمجد الحدث بأسلوب عاطفي يلهب نفوس القراء.. فإن وجدانية الأدب تنوب عنه في ذلك، فالعمل الأدبي بطبيعته مزيج من الحدث والشعور، وهو أقدر على تحويل الواقعة إلى مشهد ينبض بالحياة، لذلك كانت لفتة الأدباء قبل نصف قرن إلى التاريخ عظيمة الفائدة، وكان اهتمامهم به نابعا من إحساسهم الصادق بحاجة الجيل إلى شحنات وجدانية تعبر بهم جزر الإحباط، وتخلصهم من الشعور بالعجز عن مقاومة الاحتلال الأجنبي، والتخلف الحضاري، وتعيد إليهم ثقتهم بأنفسهم.. فما تفتح ديوانا من دواوين الشعر آنئذ إلا وترى التاريخ شاخصا فيه، ترى وقفات متفرقة عند أحداثه المجيدة، وتذكير الجيل بأنه أبناء أولئك الذين صنعوها.. وحضا على اللحاق بهم.

ومن أولئك الآباء أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وأحمد محرم وإسماعيل صبري ومحمد عبد المطلب والزهاوي وبدوي الجبل وغيرهم من الشعراء كثير.

وكذلك فعل كتاب القصة على اختلاف مشاربهم - فقد اهتموا بالقصة التاريخية. سواء بدافع إيماني - كما فعل علي أحمد باكثير وعبد الحميد جودة السحار، أو بدافع قومي كما فعل محمد فريد أبو حديد ومعروف الأرناؤوط.

ولقد قدم ذلك الجيل من الأدباء منجزات أدبية كثيرة، وظفوها في إعادة بناء الشخصية العربية المسلمة توظيفا يذكر لهم بالفخر والاعتزاز.

واليوم.. وقد ظهر بعدهم جيل وجيل ثان.. نشهد تراجعا في هذا المنحنى، فالقصيدة التي اعتنت بقيم فنية كثيرة، أكبت في الغالب - على الحاضر تندب عثراته، ولم يعد له ذلك الاهتمام الكبير بالتاريخ - اللهم إلا قصائد الإسلاميين والتراثيين، والقصص التاريخية تقل يوما بعد يوم، وتزاحمها القصص العاطفية والبوليسية والرمزية.. وبعض الأدباء يتعلل بأن الاعتماد على الأحداث التاريخية تكرار لما فعله جيل شوقي وباكثير.. ولا شك أن هذا التعلل غير مقنع، فكنوز التاريخ ما زالت في مناجمها الكثير والكثير، وإن المعالجة الفنية الصادقة للحدث الواحد تبقى مؤثرة قوية ولو سبقتها معالجات كثيرة.

إن جيلنا اليوم في حاجة إلى أن يستمد من التاريخ ما يستعلي على فرقته وضعفه، ويدعم شخصيته في جوانبها العقدية، والثقافية.. فهل يدرك الأدباء ذلك، ويكبون على التاريخ يصفون منه ملاحم عصرية، تمتعه بفنها الرائع، وتملؤه بالمشاعر التي لا يجوز أن تغيب عنه!؟ ■

من إصدرات
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
(المجموعة الأولى)

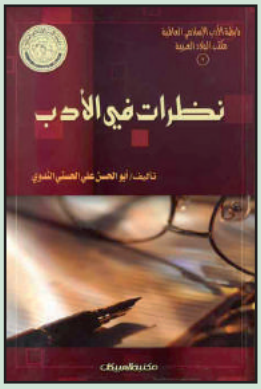

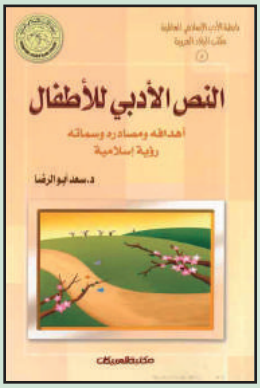

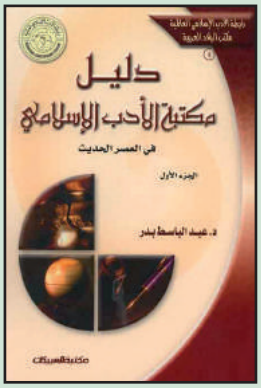

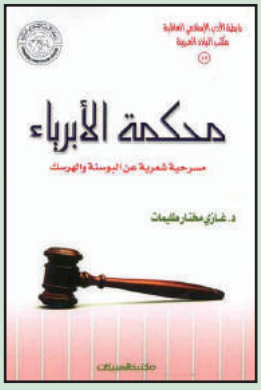

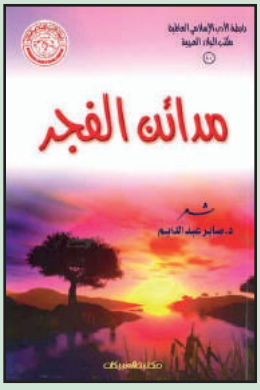

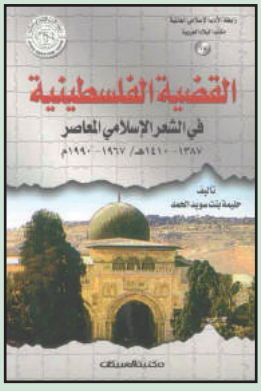

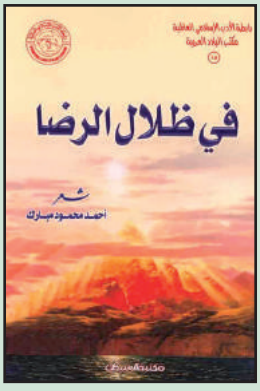

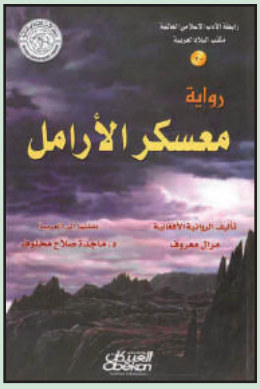

من إصدرات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

(المجموعة الثانية)